مُذَكِّرَاتٌ وَذِكْرَيَاتٌ

سِتُّونَ عَامًا فِي سَبْعٍ وَخَمْسِينَ دَوْلَةً

سِتَّةُ عَشَرَ دَوْلَةً أَفْرِيقِيَّةً

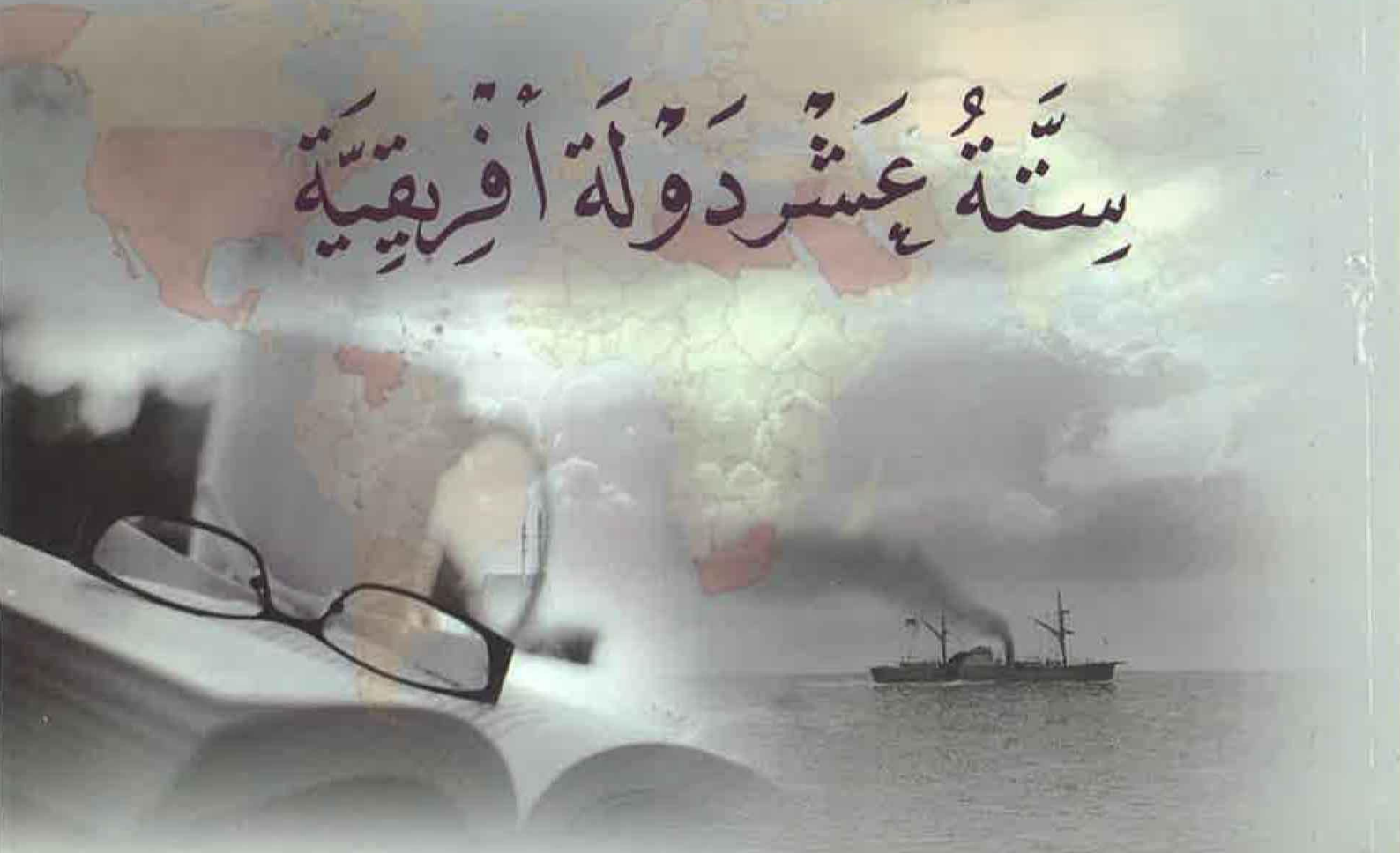

بِقَلَمِ

إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَعْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَتِيقٍ

دَارُ الصَّمِيعِيِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

مذكرات وزكريات

إسماعيل بن سعد بن إسماعيل آل عتيق

بسم الله الرحمن الرحيم

طوفت في الأرض من سهل إلى حزن *** وكنت كالطير صداحاً على فنن
لا استقر بدار حين أعرفها *** ولا أحابي بها حبي على وطني
أنا الذي شربت كفاي من كدر *** لله للدين أحي طامس السنن
استلهم الرشد من وحي وقافلة *** سارت على الرشد حتى ساعة الكفن
فمصر والمغرب والسودان يشهد لي *** إني وصلت لها جواً وفي سفن
وغرب أفريقيا ثم مشرقها *** وفي الشمال إلى أن طفت باليمن
اهديك ما سطرت كفاي من قلمي *** شكري إليك إذا ما قلت يعجبني
وإن أسأت فما لي من يكلفني *** فوق المطاق لوصف العجز والوهن
وأختم القول مني بحوقلة *** تنبيك عجزي في سري وفي علني
ثم الصلاة على من كان قدوتنا *** في العسر واليسر والسراء والمحن

استهلال

أفريقيا المحمود فيها والمذموم أعزو للكاتب الشهير الحسن بن محمد الوزان الزياتي نقلاً عن كتابه وصف أفريقيا قوله أن الأفارقة الذين يسكنون مدن البربر ولا سيما مدن الجر المتوسط يجدون متعة كبيرة في التعلم وينصرفون للدراسة بعناية كبيرة ومن بين هذه الدراسات العلوم الإنسانية والشرعية والإسلامية والتي تمثل المكانة الأولى، كما يتصفون بشدة تقواهم فهم يطيعون علمائهم وأئمتهم ويهتمون بشكل كبير في معرفة الأمور الضرورية لديانتهم وفضلاً عن ذلك فإن سكان البربر ماهرون في الأشغال المختلفة الطبيعية التي يتقنونها ويتمتعون بتربية طيبة وحسن مجاملة للناس ويظهر الصدق لديهم في القلب واللسان وهم رجال أولوا بأس وشجاعة لاسيما أهل الجبال منهم ويحترمون العهد قبل كل شيء وهم غيورون إلى أبعد الحدود ويحتقرون الحياة مقابل إهانة حول موضوع نسائهم ويحبون المال حباً جماً مثل ما يحبون الثروة والسمعة الطيبة ويذهبون إلى مختلف أنحاء العالم بتجارتهم إلى مصر وبلاد المغرب وفارس والهند وتركيا، والزنوج فيهم أوفياء ويستقبلون الأجانب بترحاب كبير ويصرفون وقتهم في المتعة فيرقصون ويزاولون كل ضروب التسلية وهم حاذقون جداً، أما العيوب المذمومة عند الأفارقة فإن لديهم من العيوب قدر ما لهم من مزايا وهي متفاوتة في ظهورها كسكان بلاد البربر فقراء ومتغطرسون حقودون لدرجة لا مثيل لها وهم غير موطئ الأكتاف ولا يألفون ولا يؤلفون ولا يستطيع الغريب سبيلاً إلى صداقتهم وهم على درجة السذاجة تجعلهم يصدقون كل خبر وليس لأمرائهم مكانة يعتد بها وليس لهم وجهاء ولا قضاة يكلفون بإدارة شئونهم أو ينصحونهم وهم أكثر الناس بخلاً فلا يرغب الواحد منهم في إيواء الغريب لا مجاملة ولا تقرباً إلى الله ومعظم هؤلاء

ليســوا بمســلمين ولا يهود وليس لديهم أي معتقد ولا يقومون بأي صلاة وليس لهم معابد وهم كســائمة، قال الزياتي والديتون فيهم أكثر من الذين يتصفون بالعفة فكل الفتيات تراهن يرغبن أن يعشن في غمرة الحب وحتى الأب يقوم باســتقبال عاشق ابنته بكل ترحاب وكذلك الأخ العاشق لأخته ولكن بعد أن تتزوج الفتاة يتوقف الشــباب عــن مطاردتها ويعتذر الكاتب بأنه يشــعر ببعض الحياء عند ذكر عيــوب الأفارقة وهي موطنه وبها قضى أزهى وأطول شــطراً من حياته ولكن العذر عند المؤرخ الذي يقول حقائق الأمور بدون أن ينحرف بإرضاء شخص ما وهذا هو الوجه الضروري لذكر المعائب قلت أن الحياة الســائدة في العالم الغربي الحاضر المتحضر هي تلك الحياة التي عليها من ذكر فالشــح عند الأوربيــين والبخل وعبادة المادة أمر جبلوا عليه فقد يجلس الأب مع ابنته على مأدبة وكل يحاسب عن نفسه، أما العرض والبذاءة الخلقية فأمر لا يوصف فالشــابة التي لا صديق لها ولا قرين معقدة في الحياة وحرية الإرادة والاختيار على مســتوى تقود الإنسانية إلى البهيمية، ذكرت فيما كتبت أن الشــعب الســويدي على أربع طبقات الطبقة الأولى المرأة ولها القيادة والســيادة والأمر والنهي حتى عقد الزواج وانفصامه فهي سيدة الموقف ثم يليها في الاحترام الطفل وهو الطفل المدلل الذي يأخذون به تجاه التربية النفسية ومما يفعلونه أن الحضانة من سن الولادة إلى الســابعة يخلطون الذكور مع الإناث عــراة مجردين حتى يكون الأمر معروفاً مألوفاً في غريزة الشاب والشابة، أما الدرجة الثالثة فهو الكلب وله قيمته القصوى من بين المخلوقات الإنسانية والحيوانية فهو القرين في الحياة وهــو بمثابة الابن أو القريب إلى درجــة أن يوصى له في التركة بعد موت ســيده، أما الدرجة الرابعة والأخيرة فهو الرجل هذا الرجل الإنساني الذي يحمل اسم الرجولة والذكورة هو من يصنف في الدرجة الرابعة بعد النساء والأطفال والــكلاب هذه نظرة الأوربيين المعاصرة المدعية بالحضارة والتقدم والحمد لله على نعمة الإسلام.

التقديم
أفريقيا

الحمد لله مولج الليل بالنهار ومولج النهار بالليل وهو على كل شيء قدير.

قارة أفريقيا سماها البعض بأفريقيا السوداء وآخرون بأفريقيا الخضراء وكلا الوصفين مخالف للحقيقة ولو من باب التغليب فأطراف القارة الأفريقية وجهاتها الأربع بينها من التباين تباين الليل والنهار فلا ينطبق عليها اسم الخضراء ولا السوداء، فالصحراء الكبرى قاحلة جرداء وهي من أفريقيا، وما كان على ضفاف النيل من بحيرة فكتوريا إلى مصر فخضراء أو ما كان على خط الاستواء كغرب أفريقيا، ولكن المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا بماذا يصفونها، فلتبقى على ما سماها الجغرافيون أفريقيا كما سمو جارتها بآسيا، هذا استهلال لما سأكتبه عن ست عشرة دولة أفريقية قد زرتها وهي (مصر ـ المغرب ـ السودان ـ موريتانيا ـ تونس ـ الصومال ـ جيبوتي ـ تنزانيا ـ كينيا ـ الحبشة ـ نيجيريا ـ السنغال ـ سيراليون ـ غانا ـ غامبيا ـ مالي) كنت وعدت بالكتابة عنها فور صدور ما كتبته عن آسيا إحدى وعشرون دولة، ولعل المانع من إنجاز ما وعدت به هو الفارق الزمني حينما كنت بأفريقيا والحال قابلة للتغيير والتبديل مما لا فائدة للقراء في ما هو من خبر كان ومع هذا فإني أنجز ولو بإيجاز ما وعدت به حتى لا أصنف «وإذا وعد أخلف» عدت استلهم ما نسيت وأتذكر ما غاب عني، راجعت ملفات الدول وما بها من تقارير وتوصيات إلا أنني لا استحسن ذكر ما هو رسمي كالتقارير عن الدعاة وسير عملهم وبعض الجمعيات والمراكز الإسلامية حال تصنيفها وتقويمها، وما أكتبه هو خواطر ومعلومات عامة لا يتعلق بما هو رسمي ولا ما هو من خصوصيات الأفراد والمجموعة،

لذا كان الاختصار ملجئي حين افقد المعلومات، كما وقد راجعت ما كتبت للصحف وما نشـرته في المجلات الإسـلامية وإن كنـت قد فقدت الكثير منها، والمهم في الأمر التذكير بأهمية هذه القارة التي هي معقل من معاقل الإسـلام ولا يزال أهلها يلهجون بالإسلام. ألم تر حال الزنوج في أمريكا ودول الكاريبـي عادوا يقولون ديننا الإسـلام بعد أن كانـوا أرقاء للغرب مسـتعبدين، ومع أن الكثير يؤمن بالإسلام إلا أن شوائب الشرك والابتداع هو الذي صرفهم عن حقيقة الإسلام، فالطبيعة الأفريقية سهلة سمحة تنقاد بأخذ الزمام بالترغيب أو الترهيب إن يكن هذا فإن قوى السياسة المبنية على الطمع وحب الشرف كان من أسباب هبوط شخصية المسلم الحقيقي. رأيت في غرب أفريقيا كيف كانوا يسجدون حين يمر موكب الأمير بسيارته أو هو علـى حصانه ولا يعتبرون ذلك عبـادة له، بل هو إكرام وتبجيل والانحناء والجلوس تحيـة الكثيرين فيما بينهم ولا ينكر هذا إلا من خرج على الطبع والعادة ولو كان من المسلمين.

من عام ١٣٨١هـ ـ ١٤١٧هـ سبعة وثلاثون عاماً كنت صاحباً لأفريقيا وأهلها وأطول مدة أقمتها في نيجيريا تسعة أشهر، والغالب في بقية الدول ثلاثة أشهر فأقل لبست الملابس الفضفاضة وعلمت الهوسا في غرب أفريقيا والسواحلي في شرقها وأكلت ما يأكله الأفارقة كاليام والموز المشوي وعصيدة الذرة، تتلمذ علي في المركز العربي بأجيجي من ضواحي لاجوس نيجيريا عدد كبير كانوا إخواني وتلاميذي، وفي شـمال نيجيريا عرفت السـلاطين والأمراء كالأمير ذي القرنين سـليمان أمير مقاطعة الورن بالشـمال، وكذا أمير المؤمنين السـلطان في سوكوتو دار الخلافة الإسلامية كما يسمونها منذ عهـد الفلاني عثمان، وإن تعجب فإن ما أكنه لأفريقيا هي تلك التقاسـيم فـي وجوه القوم ودماثـة الأخلاق والتواضع المفـرط، عاتبني مدير المركز العربـي الحاج آدم حينما أركـب الباص من أجيجي إلى لاجوس على بعد ثلاثين كيلو بأن مثلك لا يجوز أن يركب مع سـواد الناس سيما وأن الكثير

من ركاب الباص هم النساء والأطفال وضعفاء الحال بل وألزمني أن أسكن في شقة من المسلح بمفردي حتى لا تهبط نظرة الناس للمركز حينما يرون مدرساً على المستوى الشعبي في المركب والمسكن.

هذه مقاييس القوم في نيجيريا ومع التزامي بمشورة الشيخ آدم رئيس المركز فإني آكل مع الطلاب والأطفال وأدعوهم حيناً بعد آخر بالاشتراك معي في صنع الطعام، هذه نظرة الأفارقة وإن كانت في عموم البشر غالباً إلا أنها في الأفارقة السود أمضى وأشد تعلقاً بها، ومن دراستي للوضع الاجتماعي لغرب أفريقيا ما يملئ الصحائف ويحبر الأوراق فقبيلة اليوربا هم سكان جنوب نيجيريا دخلوا الإسلام بعد الهوساء سكان الشمال ويتهمون برقة الدين وضعف الغيرة وصعوبة تقبل الإسلام، وبالذات السلوك، رأيت شيخاً لا يبرح المصلى، سألته كم لك من زوجه فقال أربع والخامسة أم الأولاد غير أني لا أجامعها، وفي مفهومه أن ترك الجماع هو طلاقها، ومن تلاميذي المدعو جامع لديه زوجتان وليس لديه غير غرفة واحدة وسرير واحد، فقلت مداعباً هل تنام بينهن فقال لا من تكن ليلتها تكن أعلى السرير والأخرى تحت السرير، ومن المشاع بينهم إلى حد الدراسة والتعليم السحر ويدعى صاحبه بالعالم فتشت كتب بعض الطلاب فرأيت الرسوم للحيات والعقارب والآيات القرآنية منكسة فقلت ما هذا قالوا دعاء لا شيء فيه، دخلت على زعيم من زعمائهم في لاجوس ويدعى بالحاج الياس وعند انصرافي منه وهب لي خمسة شلن (عملة نيجيرية) قال أشرب بها الشاي فأبيت فقال مصاحبي أن هذه عادتنا ولا يصح أن تعتذر أقبلها وأعطيني إياها. كان السفير السعودي الشيخ علي الصقير هو المعروف بالكرم وحسن الخلق لا آتيه إلا ويأمر بسيارته مع رفع العلم السعودي لإعادتي إلى المركز، قال هذا يزيد من معنويات مدير المركز بين الطلاب والمدرسين تمشياً مع الاعتداد بالمظاهر وجرياً على المألوف عند الأفارقة هذا في غرب أفريقيا، أما في شرقيها فهي أقرب إلى عادات العرب عرب الجزيرة سيما

الحبشـــة والصومال وكينيا وجيبوتي فهم والعرب خلطاء بل تكثر المصاهرة بين الأحباش واليمنيين وفي ممبســـا في كينيا تظهر مظاهـــر التقاليد العربية الحضرمية، وللصومال خصائص لا ســـيما للبادية فهم أصحاب إبل ورعي الجمـــال فقد كان الملك فيصل ـ رحمه الله ـ لـــه نظرة خاصة للصوماليين حينما أقام معهد التضامن الإســـلامي ومســـجد التضامن الإسلامي، وكان الرئيس الأسبق عبد الله ادن هو من وضع كفه بكف الملك فيصل إلى حين كان الإنقلاب وتولي زياد بري الحكم.

أما الشمال فذاك أمره معلوم سيما المغرب وتونس فهما المظهران البارزان في حضارة الغرب، وأثر الفرنســـيين بادئ على الوجوه خلاف ما هو عند الموريتانيين والجزائريين، وبعد هذا التقديم المســـهب نأخذ الدول الستة عشر دولـــة دولة كما هو في التقديم وليعذرني القـــارئ حين لا يلقى المعلومات التحضيرية بالأرقام والرسوم، فإن ما اكتبه خواطر وإنشاء ليس بدراسة ولا تقويم للبلاد من حيـــث الأداء والعطاء، فالأمر له رجال ولرجاله الأمر. . والله أعلم.

كتبه عشـــية يوم ١٥/ ٨/ ١٤٣٥هـ بقلمه إسماعيل بن سعد بن إسماعيل بن حمد بن عتيق بداره بحي الشفا بالرياض جعلها الله دار يمن وسعادة وهو في آخر العقد الثامن من ســـني العمر أحسن الله خاتمته في الدارين وألزمه كلمة التقوى وأهلها . . وصلى الله على محمد وصحبه وسلم .

ص.ب : ٣٢٦١٦
الرياض : ١١٤٣٨

(١) الدولة الأولى أول رحلة لأفريقيا العربية
مصر القاهرة

هي أم العرب والمدخل الرئيسي الازدواجي بين قارة أفريقيا وآسيا ودول الغرب، بلد النيل والحضارة هي أذن العرب وبصره وقاعدته ومنطلقه لكثافة السكان وتنوع الطبقية في كل مجال من زراعيين ومهندسين وأطباء وعمالة ومهرة الفن بأنواعه للأصوات والألحان، فما صوت عبد الباسط عبد الصمد القارئ المقرئ، وأم كلثوم الشادية إلا شامة يعرفها كل العرب ويطرب لها كل سامع ولو في التواشيح الدينية، في بداية العقد الثالث من سني العمر والسن أربعة وعشرون عاماً وطأت قدمي تربة الإسكندرية المصيف العالمي وعلى البحر الأبيض المتوسط من اللاذقية امتطي الباخرة لتبحر في يومين كاملين للإسكندرية وقد ارتبط جأشي بحب مصر وأهلها لأسمع ما يسر وانظر ما يفرح ولكنها اللحظات المشئومة وتعاسة الفأل حين التقي بالجنود المصريين ممن جاءوا لسوريا لتعزيز الوحدة بين الدولتين مصر وسوريا في غطرسة وكبرياء كانت الوحدة من ١٩٥٨ ـ ١٩٦١م، وكنت قرأت أن هناك وشائج بين المملكتين مصر والسعودية، ففي عام ١٣٥٥هـ تقرر إنشاء مفوضية سعودية في مصر تولاها فوزان السابق في جمادى الأولى من العام نفسه، وكان ممثلاً للحكومة السعودية، وفي عام ١٣٦٤هـ قام الملك فاروق بزيارة إلى المملكة العربية السعودية، وفي عام ١٣٦٥هـ وصل الملك عبد العزيز إلى قناة السويس بدعوة من الملك فاروق لزيارة مصر، وتم التوقيع على أول وثيقة عربية تجمع العرب وتطلق قيام الجامعة العربية، غير أن الأمر لم يعد كما كان وفي عام ١٩٥٢م قامت الثورة والتي أنهت بإقصاء الملك فاروق عن الحكم وإنهاء الملكية في مصر لتكون جمهورية، من هنا بدأت نشوة الثائرين تتوسع بالإطاحة بالملوك العرب

لتكون وحدة عربية قوامها القومية العربية والاشتراكية وكان لهم بعض ما تحقق بالانقلاب في ليبيا واليمن، وقد كنت كتبت فصلاً عن زيارتي الأولى في مصر في كتابي حقائق في مرآة الزمان أعيده للقراء بعنوان (مع الجنود المصريين في الباخرة).

توجهت من اللاذقية السورية إلى الإسكندرية المصرية عام ١٣٨١هـ بحراً ولمدة يومين في البحر الأبيض المتوسط، وقد اخترت الدرجة الثالثة التي هي أرخص درجة الركاب غير أني في اليوم الأول وفور صعودي الباخرة صادفت جنوداً من المصريين على ظهر السفينة وقد عرفوا أني سعودي فدعوني وأوسعوني شتماً ولعناً فأخذتني رجفة وخوف من هؤلاء الوحوش، سألوني: لماذا تذهب إلى مصر؟ فقلت: لأدرس في الأزهر فازدادوا سخرية واستهزاء وتعالوا علي بالاستنكار والتفاهة والغفلة حاولت التخلص من هذا المشهد البذيء إلا أن البعض منهم قبض على يدي ليفتش كم معي من النقود، وقال: سأرميك في البحر بكيت وأثنيت على الرئيس جمال عبد الناصر، زعيم العرب وقلت كلاماً حول هذا مما سبب تخفيف غضبهم والتخلص منهم، عدت إلى إدارة الباخرة ورغبت تعديل تذكرتي إلى الدرجة الأولى وهي غرف مقفلة أشبه بغرف الفندق وإن كان سعرها كبير ولكني أردت أن أومن نفسي من هذه الطغمة الشقية الخبيثة من الجنود المصريين فأغلقت علي الغرفة ولم افتحها إلا بعد وصولي إلى الميناء مع الخوف من ملاحقتي بعد النزول فلم يكن شيء من ذلك، نزلت فندقاً صغيراً شعبياً يدعى فندق حلب الشهباء وكان معي شاب من العراق على معتقد الروافض رافقني الشاب الرافضي إلى هذا الفندق وقد جاء للسياحة وكان الفندق رخيصاً للغاية فقد كنا فيما أشبه بالصالة الكبيرة وفيها خمسة أسرة، اخترت واحداً وزميلي آخر فقد كان معي راديو صغير فيلبس وعند خروجنا من الفندق أودعته صاحب الفندق حتى العودة بعد التمشية وفور خروجي مع زميلي العراقي تلقفنا شاب وسيم الوجه حسن الهندام فقال إنه

يعمل على خدمة السياح فأي شيء تريدونه فقال الشاب العراقي أنا أريد قبر الإمام البصيري ورؤية مقامه فقال الشاب المصري هو قريب غير أنني رفضت زيارة القبر معه وذهبا سوياً، وبعد المغرب عاد إلى العراقي بدون جاكيت والذي كان فيه مصاريفه وجوازه سألني: هل رأيت الرجل فقلت: لا فقال لقد دخلت لأتوضأ وخلعت كوتي وأعطيته إياه وبعد الوضوء ما رأيته وفيه كل حاجاتي ومصاريفي حتى الجواز فقلت: هذه ثانية وأنا أعطيت الراديو صاحب الفندق أمانة عنده فجحدني وهددني وطلب مني إيصالاً على تسليم الراديو له، هذه مصر زعيمة العرب ورئيسها عبد الناصر أشرت عليه أن يغادر حالاً الإسكندرية إلى القاهرة ليذهب إلى سفارته لإعطائه جوازاً ومساعدة، أعطيته نقوداً توصله في القطار، وبعد مغادرتي عزمت على التخلي عن هذا الفندق (فندق حلب الشهباء)، وسكنت في فندق العالم العربي وكان أحسن حال من ذلك نزلت القاهرة بعد الإسكندرية المصيف الجميل المتحلل من الأخلاق بعدما راجعت المطابع التي تم الاتفاق معها على طباعة كتاب جدنا الشيخ حمد بن عتيق (إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد) وكتابة المقدمة له وترجمة، وفي القاهرة نزلت فندق البرلمان العتبة الخضراء وهو لا يبعد عن الأزهر كثيراً لم أعرف أحداً ولم أتعرف على أحد سوى المتاحف والمزارات البدعية، والأهرام، ومسجد محمد علي إلا أنني أوي إلى جماعة أنصار السنة المحمدية في عابدين وقد توفى الشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة، وترأس الجماعة الشيخ محمد علي عبد الرحيم أستاذنا في الجغرافيا والتقويم في المعاهد العلمية بالمملكة وكان يحضر غالباً في المساء لإلقاء الدروس في حي عابدين في القاهرة، وكانت تلك الأيام السياسية بالغة الخطورة بين المملكة العربية السعودية وجمال عبدالناصر، لذا لم أجد من يفتح لي صدره ويضفي علي جلباب الرحمة، تكررت الزيارة للأزهر وكنت أصلي فيه غالباً ولم أر في مصر ما يوجب التسجيل والملاحظة في زيارتي الأولى لها عام ١٣٨١هـ غير أني

خدعت في فندق البرلمان كما سرقت في فندق حلب الشهباء، طرق علي باب الغرفة أحد موظفي الفندق قائلاً هنا سيدة سعودية تريد أن ترى أحد السعوديين من نزلاء الفندق لأنها خائفة ولا تعرف عن هذا الفندق شيئاً وطلب مني الذهاب إليها لإعطائها فكرة عن الفندق وعدم الخوف فخرجت وقابلت المرأة السعودية من أهل جدة (ولعلها مصرية) ومعها ثلاثة أطفال صبي وبنتان سألت: هل في الفندق لصوص؟ وهل هو حسن المعاملة؟ وأخبرتها أنني أسكن منذ أيام ولم أر شيئاً وكان معي في هذا الفندق الشيخ أحمد بن عبد الرحمن القاسم جاء لشراء كتب للأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود، وكذا صالح بن راشد صاحب مكتبة الرياض، وأخوه عبد الله بن راشد حين كان طالباً وهو أحد تجار الكتب، أما الأخ الرابع فهو الأخ عبد الله بن حسين اليماني جاء للعلاج، أما أنا فإن سفري للقاهرة للترفيه والنزهة.

وكنت ألبس البدلة الإفرنجية أعود إلى حديثي مع المرأة السعودية حيث رغبت مني الذهاب معها وأطفالها إلى الأزهر للصلاة، أخبرتها أنني أصلي في الأزهر صلاة المغرب وفي حال رغبتك كوني على الاستعداد قبل الأذان بربع ساعة أو أكثر لمسافة الطريق إلى المسجد فخرجت للصلاة وخرجت بخروجي هي وأطفالها، وبعد الصلاة عدنا إلى الفندق وفي طريق عودتنا رغبت أنأناأأن تشتري من السوق وطلبت مني مالاً حيث أنها لم تحمل في جيبها نقوداً حينما تصل إلى الفندق فأعطيتها ما طلبت وبعد وصولنا الفندق ذهب كل منا إلى غرفته، وفي الصباح سألت عن المرأة قالوا غادرت ليلاً، فعرفت أنها حيلة نعوذ بالله من كيد النساء.

أمضيت في زيارتي الأولى لمصر خمسة عشر يوماً، خمسة أيام في الإسكندرية وعشرة أيام في القاهرة، وفي الإسكندرية سعدت برؤية العالم الفاضل الشيخ عبد الله بن علي أبو يابس حظيت بزيارته في منزله إذ دعاني لوجبة غداء بعد الظهر وأتحفني بمعارف غائبة عن الذهن فهو المتحدث

اللســـن والواصف العارف المتأكد لما يقول بصدق وأمانة عجبت لما هو عليه من هيئة لبس العقال المقصب والثوب والغترة، وقد أمضي في مصر عقوداً فلم يغير الزي الذي هو عليه في بلده ، الشـــيخ عبد الله أبو يابس طوحت به الأقدار وعشق الأســـفار وكانت الشهرة لأهل الحديث في الهند فامتطى رحله وسار لها وحده واستقر بدلهي بمدارس أهل الحديث ومنها إلى مصر لشـــهرة علماء اللغة والبلاغة والبيان في الأزهر وغيره فكان في مصر غير أن ما تشربت به هوايته الأولى حب التوحيد وأهله ومنابذة الشرك والبدعة والخرافة جعلته ينفرد عن المجتمعات غير السلفية ولم يلق قبولاً في الهيئات الإســـلامية فلم ينتظم لحزب ولا مجموعات دعوية كأنصار السنة المحمدية والجمعية الشـــرعية والأخوان المسلمين وكان تواصله مع بلده ومشايخه في الرياض كأمثال الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي، غير أن زميله الشريف عبد العزيز بن راشد من أهل الحريق لبس العمة الأزهرية وانضم لجماعة أنصار السنة المحمدية فكان رئيساً لها في الإسكندرية ، قابلت الشيخ الشريف في المجامع العامة ولم يكن ذاك المتطلع للأخبار والأحوال عن نجد وأهلها بلده الأولى فلم أحظ منه بدعوة ولو بجلســـة انفرادية فكان مصرياً أزهرياً غفر الله لهما.

ومن مناقب الشـــيخ أبـــو يابس أنه رد على زميله فـــي الطلب عبد الله القصيمـــي حين ألف كتاب الأغلال وأبدع في رده وانتشـــر كتابه في مصر وخارج مصر وكانت أخويات أيام الشـــيخ عبد الله أبو يابس في الرياض، توفى عام ١٣٨٩هـ يغفر الله لنا وله.

عشـــرة أيام في القاهرة بعد خمســـة أيام في الإسكندرية، كيف أقضيها ومع من أمضيها، بحثت عن مركز أنصار الســـنة المحمدية قالوا في عابدين ولقربهم من الحراك الســـلفي وبعدهم عن سياسة الثوريين كانوا محل رقابة ومتابعة فقد ســـلمت على الشـــيخ محمد عبد الرحيم وهو إذ ذاك الرئيس العام لأنصار الســـنة بعد أن ألقى درسه في المركز وعرفني فكأنه لا يعرفني

وانصرف وحاولت مع الجهاز الإداري في المركز أي معلومة للسائح المسلم في مصر فكان الصمت والإحجام عن التجاوب أو مد العون لمن يستعين فقلت وهذه حدوتة (صدمة) أخرى أخبرتهم بأني قابلت الشيخ محمد حامد الفقي في الرياض وأني من تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم وأن لأنصار السنة في مصر عند النجديين شأن فعرفت أن لا مكان لي، مكثت أحضر الدروس العامة في المركز وفق جدول زمني حددوه وغالباً بعد المغرب، ظللت في فندق البرلمان العتبة الخضراء سبعة أيام، فقلت أنوع السكن في فندق آخر فكان الأمر كما كان لا قبول للسعودي، ترددت على الإهرام وهو الوجه الحضاري لمصر وركبت الحصان وشاهدت الأجسام المحنطة من آثار الفراعنة وأخذت الصور التذكارية ثم مزقتها، طوفت أروقة الأزهر وشاهدت الطلاب كأنهم عمال محترفون لضعف الحال وقلة المال وعلى مقربة من الأزهر مسجد الحسين وأي الحسين قالوا الحسين بن علي الذي وزع جثمانه بين مصر والعراق فلا يمكن أن تستبد كربلاء بالحسين فليكن لها الجثمان وللقاهرة الرأس، ورأيت قبر السيدة نفيسه ت ٢٠٨ أو ما يسمونه بالمزار وبجانب شباك القبر صناديق النذور والصدقات يا لها من تجارة رابحة خاسرة ربحت المال وخسرت الثواب وقل ما تشاء في طنطا قبر السيد البدوي الذي يتخذ له أعياد في العام مرة أو مرتين وبالأخص أيام المولد كما وقد وقفت على قبر البويصري صاحب البردة في الإسكندرية داخل المسجد والمسجد بلا قبر خراب والمعمور منها ما كان فيه مشهد أو مزار.

غادرت القاهرة إلى الرياض وقد انطبع في ذهني غير المؤمل في مصر إلا أن الذي أروى غليلي وشفى سقمي تتلمذي على الأساتذة المصريين في المعهد العلمي وكلية الشريعة فكانوا رسالة صدق أنموذج حق لعلماء الأزهر المصريين كالأستاذ المربي والداعية المؤمن بفكره ومنهجه المفسر الشيخ مناع خليل القطان والعالم الأصولي المفتي الشيخ عبدالرزاق عفيفي

تسعودا وأمضيا في الرياض بقية العمر ودفنا فيه، تتلمذ عليهما داخل فصول الدراسة وخارجها جيل حملوا أمانة العلم بالتلقي والإدراك الإداري والمنهجي المنظم، وقد كان للبعثة الأزهرية دور الإنشاء بصرح المعارف المتنوعة في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والرياضيات، اشتهر بعضهم بألقاب لفت نظر الملك سعود حين زيارتهم له والتعريف بهم لدى الملك، الأستاذ يوسف الضبع والأستاذ سرحان والشيخ عبد المنعم النمر والمعلم الغط الشيخ محمد عبدالرحيم ناله ما ناله حين تدريسه مادة الجغرافيا فاستنكر البعض هذا الاسم فقال هو تقويم البلدان وطبع على المقرر هذا الاسم ولكن كروية الأرض ودورانها والبراكين والتضاريس ونزول المطر والسحاب المتراكم كيف يعلل بظواهر الطبيعة والمناخ هذا ما استنكره بعض مشايخنا المحليين مما جعل رئيس المعاهد والكليات الشيخ محمد بن إبراهيم أن يأمر بفتح قسم خاص لا يدرس فيه المواد الرياضية ولا الجغرافيا ولا الهندسة وكنت ممن اختار هذا القسم وليتني لم أفعل، جهلت العالم جهل دراسة وتصحيح وحرمت نعمة الخط وترويض الفكر بالرياضيات ثم بعد أن انضم إلى المعاهد كثير من الطلبة كانوا في حلق المساجد ألغى الشيخ هذا القسم الخاص وأصبح منهج المعاهد موحداً رحم الله الشيخ محمد بن إبراهيم في حنكته وإدارته.

عود على مصر في رحلات متقطعة فبعد عودتي من نيجيريا عام ١٣٨٧هـ كانت المحطة الأولى القاهرة، من كانوا الشمالية في نيجيريا ولم يكن في جوازي ذكر الجمهورية العربية المصرية فقط شطب عليها في الجواز ومنع السعوديون من دخول مصر من قبل السلطان السعودية غير أن الحجز ترانزيت من نيجيريا إلى الرياض والتوقف في مصر لتغيير الطائرة ولكن الذي حدث أن لا طائرة من القاهرة إلى الرياض فالاضطراب السياسي سرى إلى النقل والمواصلات هبطت بي الطائرة في مطار القاهرة وهنا بدأ خفقان القلب أمام ضابط شرس عادت ذاكرتي إلى جنود الباخرة من اللاذقية إلى الإسكندرية

صففت مع طابور إنهاء الجوازات وبعد تسليمي الجواز رأى المراقب أن مصر مشطوب عليها في الجواز فأبقاه عنده وأمرني بالانتظار حتى نهاية الطابور وقال حكومتك لا تريدك أن تدخل مصر فقلت وأنا لا أريد ولكني مسافر انتظر أول رحلة لبلدي فأغادر عليها فقال أين بلدك فقلت المدينة المنورة فضرب رأسه الصلاة على النبي حبيبي محمد أنا أعطيك خمسة أيام تدخل القاهرة وتؤكد حجزك ولكن بشرط الفاتحة عند النبي، ولكن حين اختم على جوازك ما يثبت دخولك مصر فقد تعاقبك السلطات السعودية فقلت سأبدي لهم عذري وأريهم التذاكر فقال الحل غير ذلك أنا أختم لك على ورقة أثبتها في الجواز وعند الخروج تنزع هذه الورقة، ووعدته بقراءة الفاتحة عندِ قبر النبي ولم أفعل ولست من أهل المدينة ولكنها حيلة المضطر. دخلت القاهرة للمرة الثانية بعد رحلتي الأولى ولا يزال الوضع كما كان لا قبول للسعوديين البتة ولا مكان لهم غير الشتائم والنكت المصرية، حاولت الإسراع بالخروج من القاهرة وبعد ثلاثة أيام تم الحجز وغادرت القاهرة.

الرحلة الثالثة إلى مصر في عام ١٤١٤هـ وقد عادت الأمور إلى مجاريها ومات من مات وانتظم سلك الاتفاق بين مصر والمملكة وغابت سحابة الركام السياسي المظلم. كانت وجهتي إلى ألبانيا لأبقى بها أربعين يوماً بالاتفاق مع مؤسسة الحرمين الخيرية، والطريق على القاهرة قررت نزول القاهرة ولو لأيام لاستطلع الأحوال وأغسل ما علق في ذهني من شؤم السياسة ونقلها إلى الأوساط العمرانية البشرية وكنت أحمل معي أمانة من النقود للمساعدات الخيرية في ألبانيا، بقيت في القاهرة يومين وكان من مجريات الأعمال الإدارية المصرية التفتيش على القادمين وحصر ما لديهم من النقود بالعملة المحلية أو الأجنبية، وعند التفتيش أخبرتهم بما لدي فيما يخصني ولم أكشف سر الأمانة خشيت لفت الأنظار مع أني لا أعرف عددها وعلى هذا دخلت القاهرة ولكن عند الخروج عادت الأزمة مع المصريين فعند التفتيش أثبت لهم ما دخلت به وكانت الأمانة في الحقيبة

اليدويـــة فأمرني بفتح الحقيبة ورأى صرة فقـــال ما هذا فقلت نقود، لم لم تســـجل عند الدخول فقلت لا أعرف عددها وهي أمانة عندي أوصلها إلى مســـلمي ألبانيا البلد الفقير المنكوب، أنتم السعوديون لا تعرفون النظام فأنا ملزم بمصادرتها أو تعود بها إلى القاهرة، حاولت إقناع الرجل بأن المال ليس لي وإنما أنا وصي فلتحتســـب أجرها على الله يا مسلم فقال لا يدري أحد تفضل يا سعودي يا محسن تقبل الله منك، فكان هذا الإجراء مع الإجراء الإداري حين وصولي إلى القاهرة بشـــرط الصلاة على النبي أوجد بصيص أمـــل في التعامل العاطفي مع الأخوة. الرحلة الرابعة إلى القاهرة اطمحني نيل شـــهادة الدكتوراه من مصر دار العلوم أن أرحل إلى مصر للمرة الرابعة لأقدم أوراقي وقد نلت درجة الماجستير من باكستان فقد منحت دار العلوم الدكتوراه لمن يحمل نفس الشـــهادة وهي معادلة لماجســـتير دار العلوم، فما أن وصلت القاهرة حتى اتصلت بالسفارة السعودية الملحقية الثقافية وأبديت لهم رغبتي لدار العلوم لتسجيل نيل الدكتوراه كما فعل فلان وبواسطتكم، فأبدى الملحق اســـتعداده للعمل حسب الطاقة فأرسل معي الأستاذ الدكتور الشـــرقاوي وهو محاضر بدار العلوم كما ذكر ويتعاون مع الملحقية الثقافية الســـعودية، توجهنا إلى الجامعة وكان الدكتور الشـــرقاوي حسب ما ادعاه خبيـــر بمجريات الأمـــور وأراد أن يتأكد من التعليم حـــول جامعة بنجاب الباكســـتانية فمد يده للدولاب وأخذ ملفاً وكانت ســـكرتيرة مدير الجامعة تنظر لتصرف الدكتور الشـــرقاوي فغضبت وقالت لا اســـمح لك ولغيرك التفتيش على مكتبي، فقال لها لســـت غريباً أنا من منســـوبي الجامعة ولي الحق أن اطلع على أنظمة الجامعة وجميع بروتوكولاتها فتعالى الصوت بين الدكتور والســـكرتيرة، ثم قال لي هذه زوبعة في فنجان فقلت كيف العمل فقـــال ننصرف ثم نعود غداً لعل الأمر ينفرج، فعدنا من الغد وطلبنا مقابلة المدير فأبت وقالت المدير مشغول فتكرر الطلب لالتماس الأذن بمقابلة المدير وعرفناها بأن الجامعة قد منحت الدكتوراه لشـــخص ســـعودي يحمل هذا

المؤهل، انتظرنا طويلاً فلم نسعد برؤية المدير، وعدنا إلى الملحقية فوعد الملحق الثقافي أن يسعى بصفته الخاصة لتسجيل الدكتوراه، ولكن بعد وقت يتسع بمقابلة مدير الجامعة ولا أدري متى، حملت هذا الكلام حملٍ المجاملة وقررت العودة إلى بلدي وفيما أعلم أن دار العلوم لم تعط سعودياً يحمل هذا المؤهل غير رجل واحد اعرفه وكان محسوباً على جهات رسمية شفعت له وعرفت به فكان له ذلك أما أنا فلم أكن كذلك والحمد لله رب العالمين.

زيارة رسمية إلى مصر

بطلب من معالي رئيس رابطة الجامعات الإسلامية الدكتور عبد الله التركي من سماحة مفتي عام المملكة رئيس هيئة كبار العلماء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ترشيح ممثل عن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء لحضور اجتماع الهيئة التأسيسية للمجلس العالي لامتحانات المدارس العربية الإسلامية والذي تقرر يوم الخميس ١٣/ ١/ ١٤١٧هـ في مقر رابطة الجامعات الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة ولصدور أمر سماحته بترشيح ممثل لرئاسة البحوث العلمية في هذا الاجتماع تم الشخوص إلى مصر لهذه المهمة ومما تم اتخاذه في هذا الاجتماع:

١ ـ إقرار نظام المجلس بعد تعديله.

٢ ـ الأمين العام للمجلس هو رئيس الهيئة التنفيذية.

٣ ـ دراسة عمل المجلس في الجلسة القادمة أحيل للأمانة العامة للمجلس.

٤ ـ دراسة ميزانية المجلس لدورته القادمة ومصادر تمويلها.

٥ ـ دراسة أساليب تنشيط عضوية المجلس.

هذه النقاط الخمس أهم ما اتخذه الاجتماع في جلسات متعددة وفق جدول زمني امتد إلى خمسة أيام يترأس جميع الجلسات معالي الدكتور عبدالله التركي رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وحوله الجهاز التنفيذي ولجان المتابعة.

تأسست رابطة الجامعات الإسلامية عام ١٩٨٩م حيث اجتمع مجموعة من الجامعات الإسلامية لتأسيس رابطة الجامعات الإسلامية في مدينة فاس بالمغرب، اجتمع ممثلو ثلاثة وعشرين جامعة إسلامية إضافة إلى مجموعة من الشخصيات الإسلامية المرموقة واتفقوا على تأسيس رابطة الجامعات

الإسلامية مقرها الرباط في المغرب تجمع في عضويتها مؤسسات التعليم العالي في العلوم الإسلامية أو ما يعادلها، والرابطة هيئة مستقلة تعتمد في ميزانيتها على الله ثم على اشتراكات أعضائها أو ما يأتيها من تبرعات، وغايتها تنمية الالتزام بالروح الإسلامية والنهوض بمناهج العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية، جعل اللغة العربية لغة الدراسة في كافة الجامعات، تنمية التعاون بين مؤسسات التعليم الجامعي، تشجيع البحث العلمي في العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية. تتكون هيئات الرابطة من المؤتمر العام، المجلس التنفيذي، رئاسة الرابطة، أمانة الرابطة، وقد انضم لهذه الرابطة أربعة عشر مؤسسة من الدول الأفريقية، جامعة الأزهر، جامعة القاهرة، جامعة القرويين في المغرب، جامعة الزيتونة في تونس، جامعة أم درمان السودان، جامعة الأمير عبد القادر الجزائر، الجامعة الإسلامية بالنيجر، جامعة محمد الخامس في المغرب، جامعة محمد الأول وجده في المغرب، كلية القرآن الكريم أم درمان في السودان، دار الحديث الحسينية بالرباط المغرب، كلية الدعوة في طرابلس ليبيا، المركز الإسلامي الأفريقي السودان، جامعة بايرو كانو نيجيريا.

ومن آسيا سبع وثلاثون جامعة تتقدمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة. ومن مهام هذه الرابطة الهيئة التأسيسية للمجلس العالمي لامتحانات المدارس العربية الإسلامية والتي من أجلها تم الانتداب والمشاركة ممثلاً لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، وقد أعددت تقريراً ضافياً رفعته لرئيس رئاسة البحوث العلمية مع الاقتراح بمساهمة مالية للرابطة.

هذا كان آخر سفر إلى مصر في خمس محطات في القاهرة ولا يعرف الفضل إلا أهله فلكل بلد مزاياها ولكل الشعوب معطياتها، يروى عن الملك فيصل يقول مصر لنا ونحن له وأقول أن الأزمات السياسية وما يطرأ من حوادث ما هي إلا صنع البشر وصقل جوهره. وصدق الله تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وآخر القول في مصر والتي ذكرت في القرآن خمس مرات:

١ ـ ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: ٨٧]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: ٩٩]، قال فرعون في قومه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

يعتبر تاريخ مصر من أقدم ما سجله تاريخ البشرية يرجع إلى ما قبل أربعة آلاف سنة وللتاريخ نتابع بعض الأرقام وأهمها بعد دخول مصر الإسلام وتحول مصر إلى قطر عربي ودولة إسلامية.

٦٤٠م حمل الصحابي عمرو بن العاص رسالة الإسلامي إلى مصر وكان الممثل للخلافة الراشدة في المدينة المنورة ويلقب بطريك العرب وأحد دهائها وساستها رضي الله عنه.

٦٤٦م ـ ٩٤٨م بقيت مصر ضمن الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الأربعة ثم الأمويين والعباسيين.

٩٩١ ـ ١١٧١م حكمها الفاطميون الذين أسسوا القاهرة وانشأوا الأزهر.

١١٧١ ـ ١٢٤٩م حكمها الأيوبيون الذين وحدوا مصر وسوريا.

١٢٤١ ـ ١٥١٧م حكمها العثمانيون الاتراك وقاعدتهم اسطنبول.

١٥١٧ ـ ١٨٧٩م غزاها الفرنسيون بقيادة نابليون.

١٨٠١م طُردوا منها بمعاونة الإنجليز والأتراك.

١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م حكم مصر الألبانيون أبناء محمد علي الكبير.

١٨٨٢م قامت الثورة العرابية وتدخل الإنجليز بدعوى حماية الأقلية النصرانية.

١٨٨٢ ـ ١٩١٤م قام الحكم الثنائي المصري والإنجليزي في السودان.
١٩١٤ ـ ١٩٢٢م فرضت الحماية على مصر وألغيت سلطة الخليفة العثماني.
١٩٢٢م أعلنت استقلال مصر وصار فؤاد الأول ملكاً عليها.
١٩٣٦ ـ ١٩٥٢م خلفه ابنه فاروق الأول.
١٩٤٥م أسست جامعة الدول العربية واتخذت القاهرة مقراً لها.
١٩٤٨م خاضت مصر غمار الحرب الخاسرة ضد إسرائيل.
١٩٥٢م صارت ثورة ثلاثة وعشرين يونيو بقيادة محمد نجيب.
١٩٥٤م تولى الرئيس جمال عبد الناصر زمام الأمور في البلاد.
١٩٧٠م بنى السد العالي وأمم قناة السويس وحل الأحزاب السياسية كلها.

ولنقف على جمال عبد الناصر ابن حسن ابن خليل المولود سنة ١٣٣٦م إذ التحق بالعسكرية الحربية وتخرج منها، شارك في حرب فلسطين. سنة ١٩٤٨م قاد مع قادة مع زملائه الثورة البيضاء على الملك فاروق آخر ملوك مصر ليخلعوه وأعلنوا الجمهورية برآسة محمد نجيب، وتولى جمال رئاسة الوزراء، وبعد عامين انقلب جمال على محمد نجيب واستلم رئاسة الدولة. وبقي في الحكم ستة عشر عاماً، توفي سنة ١٣٩٠هـ وعمره واحد وخمسون عاماً. وقد كان ما كان من تدخله في ثورة اليمن وزج ما يزيد على خمسين ألف جندي مصري لحماية ثورة عبد الله السلال في اليمن ضد الحاكم الشرعي الإمام الزبيدي، وتجاوز ذلك إلى النيل من المملكة إعلامياً وعسكرياً، تحمل الملك فيصل معاناة عبد الناصر قبل أن يكون ملكاً وبعد أن كان ملكاً وطاش الكيل بحب عبد الناصر لدى الأوساط الشبابية مما جعل الملك فيصل ينادي بالتضامن الإسلامي ضد الإلحاد والمعني بذلك الشيوعية الروسية حليفه عبد الناصر، وجعل من قواعد التضامن الإسلامي رابطة العالم الإسلامي ومقرها مكة المكرمة ، ومؤتمر العالم الإسلامي

ومقره جدة، وفتح مكتب الدعوة لإرسال الدعاة إلى العالم الإسلامي ممن تخرجوا ويتخرجون من الجامعات الإسلامية. ودحر الله الباطل وأحق الحق ولو كره الكافرون.

(٢) الدولة الثانية - المغرب

المملكة المغربية هو الاسم الرسمي لها كما تعرف باسم موروكر خاصة في أوروبا وأمريكا والعاصمة الحالية الرباط ولها تاريخها القديم بدليل الأحجار والآثار التي تكتشف يوماً بعد آخر والبربر هم سكانها القدامى المعروفون حتى الآن وللأرقام التاريخية فحواها ومعناها.

٦٤٧م كان ابن أبي السرح أمير مصر في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه قد افتتح ليبيا ودخل مدينة طرابلس الغرب.

٦٨٢م عقبة بن نافع بن أخت عمرو بن العاص يفتتح برقة واستنفر قبائل البربر ضد المسيحيين وأقام قاعدة عسكرية في القيروان.

٦٨٨م ابتعث الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوي بعد ست سنوات من استشهاد عقبة بن نافع بالقضاء على الثورة واستسلم البربر وأسلموا وصح إسلامهم ودانوا بالولاء للأمويين ثم العباسيين واتخذ فاس عاصمة لها.

١٠٥م ـ ١١٠٦م قامت دولة المرابطين سلالة البربر ودان لها المغرب كله وبنى أشهر ملوكها يوسف بن تاشفين مدينة مراكش واتخذها عاصمة له.

١٠٨٦م أقام بها ابن تاشفين حضارة مزيج من العربية والأسبانية سمت حضارة المرابطين.

١١٤٦م ـ ١٢٣٦م خلفت دولة المرابطين دولة الموحدين التي أسسها يوسف تومرت وإلى دولة الموحدين يرجع الفضل في نبوغ ابن رشد العالم الإسلامي الذي عرفه المشرق والمغرب صاحب كتاب تهافت التهافت.

١١٤٩ ـ ١١٦٣م امتد نفوذ دولة الموحدين إلى بلاد الأندلس وأطلقوا على أنفسهم لقب الخلافة.

١٥١١ ـ ١٥٥٧م قامت خلافة السعديين أسس دولتهم محمد الشيخ المهدي وأشهر ملوكها أحمد المنصور.

١٧٥٧م ـ ١٧٩٢م حاول محمد الأول القضاء على سلطة الزنج بعقد اتفاقية مع دول أوروبا.

١٨٧٣م (رقى العرش السلطان حسن الأول وأخذ يوسع مملكته في تأييد القبائل المتمردة حتى لقي مصرعه في حملة إحدى قبائل البربر وأوصى بالحكم لولده عبد العزيز.

١٩٠٧م حشدت فرنسا جندها لتحتل كلا من وجده والدار البيضاء ولم يستطع عبد العزيز مواجهتها واستطاعت فرنسا أن تفرض حمايتها على البلاد.

١٩٢١م قام عبد الكريم الخطابي وتمكن من إخضاع القبائل وهاجم قوات الفرنسيين في فاس وكاد أن يحتلها لولا أسبانيا تحالفت مع فرنسا في مواجهته.

١٩٢٦م استسلم عبد الكريم ونفي قريباً من مدغشقر ثم لجأ إلى القاهرة.

١٩٢٧م ـ ١٩٥٣م ظل محمد الخامس في السلطة خلفاً للسلطان عبدالحفيظ الذي توفي.

١٩٥٥م ـ ١٩٦١م نفته السلطات الفرنسية خارج البلاد إلى مدينة مدغشقر.

١٩٤٣م تأسس حزب الاستقلال.

١٩٥٩م انقسم على نفسه وأعفي أعضائه من المناصب الحكومية كلها.

١٩٥٩م تأسس حزب اتحاد القوة الشعبية يمثل الاتجاه اليساري.

١٩٥٧م تأسس حزب الحركة الشعبية الحزب الملكي من عناصر بربرية جبلية.

١٩٦٣م ـ ١٩٦٥م الحزب الاشـــتراكي الديمقراطي تولى رئاسة الحكومة وتخلى عنها وتولى الملك الحسن بنفسه سائر السلطات.

١٩٦٩م حزب التحرر والاشتراكية اشترك في مؤتمر الأحزاب الاشتراكية في موسكو.

هذه الأرقام ترجمة تاريخية موثقة عن المملكة المغربية ولا زال عرش الملك الحســـن مع وجود هذه التوجهات السياسية والانتماءات الشرقية والغربية، حدث محاولة انقلاب فاشـــلة عند الاحتفالات بميلاد الملك الحســـن الثاني لبلوغه عامه الثاني والأربعين يوم ٩ يونيو ١٩٧١م وكانت ليبيا قد تعجلت فاعترفت بحكومة الانقلاب الفاشـــلة حتى تأزمت العلاقة الدبلوماسية بين المغرب وليبيا.

ولا نـــدري هل بقيت هذه الأحزاب ومســـمياتها تعمـــل أم هي الملكية المطلقة التي تحد من النشـــاط السياسي وبالأخص ما له علاقة خارجية، أما التجمعـــات الوطنية والخدمات الإنســـانية فإنه لا محظور علي التنظيم وفق قوانين وأسس تعترف بها الدولة وترى أنه من النشاط الوطني الذي يجب أن يكون وعلى هذا فإن المغرب بموقعه ومناخه ومرونة حكمة حكامه صار قبلة للشرقيين والغربيين لا ســـيما كثرة السياح والذين يقضون أوقاتهم الصيفية في المغرب الغربي.

من الرياض إلى الرباط

مقال نشرته في مجلة الدعوة عدد ٨٨٧ جمادى الثانية ٢٤/٦/ ١٤٠٣هـ.

في مستهل هذا العام أعنى عام ١٤٠٣هـ أزمعت السفر إلى المغرب العربي ولولا أن الأسماء لا تغير لقت الغرب العربي فهي غرب في موقعها ولا يفصل بينها وبين اسبانيا الغربية سوى أربعة عشر كيلومترا وهي غرب في تأثرها الحضاري فقد رضخت فترة من الزمن لثلاث دول أوربية هي فرنسا واسبانيا والانجليز.

المغرب العربي موطن البرابرة قبل الإسلام وبعد أن أشرقت شمس الإسلام على شواطئ المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط كانت بلاداً عربية إسلامية ورغم أن الدويلات أو البيوتات التي حكمت المغرب في حقبة من قرون كانت من البرابرة إلا أنهم لم يعبثوا باللغة العربية ولم يتراجعوا عن دينهم ومقومات ممالكهم الإسلامية في التشريع والاعتقاد كدولة الموحدين مثلا. وفي حكاية أن المغرب العربي مر به سنون عجاف فتشاور أهل الرأي فيهم وقالوا نذهب إلي الحجاز وفي الحرمين نسأل الله أن يغيث بلادنا وديارنا. وبها نتوسل بأهل بيت رسول الله الإحياء للدعاء والاستغاثة، وبعد وصولهم إلي الحجاز توصلوا إلي احد الأشراف وطلبوا منه أن يذهب معهم إلي المغرب ليولوه عليهم خليفة وإماماً فوافق على ذلك واشترط شروطا لا تزال تنفذ حتى اليوم ومن تلك الشروط أنه بعد نزول الغيث وتنزل البركات يكون الخمس من ريع الثمار له ولأسرته، هكذا قبل والله اعلم. وهذه الحكاية هي بداية حكم الأشراف الأدارسة للمغرب، والصحيح غير ذلك فإدريس بن عبد الله قد فر من موقعة فخ مع الحسين بن علي ولحق بمصر ثم إلي المغرب فبايعته قبيلة أوربة على السمع والطاعة

وقبيلة أوربة من أعظم قبائل البربر في المغرب الأقصى. ومن خطبته بعد حمد الله والصلاة على نبيه: ايها الناس لا تحدوا الاعنات إلى غيرنا فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا . . . الخ.

كان تجوالي على المدن التالية:

مدينتي الرباط وسلا ثم فاس ومكناس ثم طنجة فالدار البيضاء، مدينتي الرباط وسلا يفصل بينهما نهر وهما العاصمتان السياسيتان، فقد تغلب اسم الرباط فكانت هي العاصمة. لعل أول ما يلفت النظر في المدن المغربية عموماً تلك الأسوار الشاهقة والمدن القديمة المحتفظة بآثارها وحضارتها، يمكنك أن تسير في شارع عام مزدوج يفصل بينهما أشجار، نظرة على أحدث طراز تمر ببوابة كبيرة تدعى بالقصبة فتدخلها إلي مدينة خلف السور متكاملة بأسواقها التجارية ومرافقها العامة إلا أنه حرام عليها دخول السيارات والعربات، ومن يزيد عرضه على متر أو مترين فأزقتها كانت قبل آلاف السنين قد أعدت للمار فقط، ومع هذا فهي تغص بالسكان كما تغص بالعمارات الشاهقة والفلل المترامية في مدينتي الرباط وسلا وأعظم مشهد رايته في مدينة الرباط مرقد الملك محمد الخامس الذي ينتابه الحراس على خيول مسرجة من جهاته الثلاث، أما الجهة الرابعة فهي إلي المسجد، وشيد على القبر ما يرجع الذاكرة إلي الفن المعماري الشرقي والغربي فقد قبل أن مهندسين من دول شرقية وغربية صمموا هذا المرقد وأبدعوا في فنه المعماري مما جعله مزاراً للسياح وملفت أنظار للزائرين.

ومن الرباط ننتقل إلى مدينة فاس المدينة الحضارية والاعتقادية فهي المنطلق للتصوف بطوائفه المتعددة وهي مدينة العلم وفيها جامع القرويين وتاريخه معروف ومشهور وإلى مدينة فاس يحج الأفارقة التيجانيون إلى قبر أحمد تيجاني قائد الطريقة التيجانية ومؤسسها، وما زالت في غرب أفريقيا ومن أخطر معتقدات التيجانية القول بوحدة الوجود واعتقاد أن جوهرة الكمال أفضل من القران الكريم تلك التي أخفاها رسول الله ﷺ حتى ولد أحمد

تيجاني وبعث الله رسوله خصيصاً له ليعلمه جوهرة الكمال فهو الفاتح لما أغلق، يعنون بذلك أحمد تيجانى.

في المدينة القديمة جامع القرويين الذي كان قلعة حصينة للعلم والمجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي ولا زال والحمد لله معموراً بالتعليم والمصلين وبالزائرين، لقد لفت نظري إيجاد ساعة ضابطة للوقت تسير على الشمس بوجود شخص يحدد الدقائق والثواني والساعات.

ومن مدينة فاس إلى مدينة مكناس نلتقي بعدد من الأخوة الدعاة فيحدثوننا عن سير العمل وعن انفتاح المغرب وانغلاقه، انفتح لجميع المذاهب والأحزاب والديانات ولكنه انغلق في وجه الحركة السلفية الرامية إلى طمس معالم الوثنية المحبوكة باسم ولاية الصالحين ومشاهدهم ومزاراتهم والتي تكثر في مدينة فاس ومكناس وهي مغلقة أمام الحركة الشبابية التي تهدف إلى تطبيق الإسلام في شموله وعمومه المبنى على قواعد الشرع.

قد تعجب من الديمقراطية في المغرب والملكية وقد تعجب أيضاً من وجود المنظمات السرية والعلنية التي تهدف إلى جذب المغرب إلى أحد الجناحين اليميني أو اليساري، حرية الرأي والتحدث موجودة ومغلوقة في وقت واحد، وتفسير ذلك أنه يمكنك أن تقول ولكنه لا يمكنك أن تفعل والذي تنطبع فيه نفسية الزائر للمغرب جمال الطبيعة وحسن أخلاق المغاربة ومعاملتهم وكرم الضيافة لمن خالطهم وتعرف عليهم فقد اجتمعت في المغرب العربي عوامل أدت إلى مرونة المغاربة وتطعيم عاداتهم وتقاليدهم بطابع المشرق والمغرب.

ومن مدينة مكناس إلى طنجة منطلق طارق بن زياد ذلك الذي شق عباب البحر إلى أسبانيا، وقفت على القصبه الصغيرة والتي تبعد عن مدينة طنجة قرابة أربعين كيلو متراً شمالاً، من هنا قالوا انطلق طارق إلى أسبانيا في مدينة طنجة مرقد الرحالة العربي المسلم ابن بطوطة بعد أن جال في العالم في القرن السابع الهجري وكتب ما كتب عاد إلى موطنه فكان موته ومشهده

في مدينة طنجة. التقيب بالعالم أمين عام رابطة علماء المغرب الشيخ عبد الله كنون فتحدث وأوجز عن الخطوط العريضة التي تسير عليها رابطة علماء المغرب من تلك الخطوط، رفض التعصب المذهبي لفروع الشريعة ووجود المرونة في أخذ الأحكام من مصادرها التشريعية الكتاب والسنة والإجماع وترجيح ما قام عليه الدليل وعدم الاكتراث بالطرق الصوفية التي فرقت المسلمين وشتت شملهم فلا يعيب رابطة العلماء وإن كان في الرابطة من ينتمي إلى هذه الطرق بل أوغل في التسامح وفرض رأيه في عدم التقيد بمذهب الإمام مالك والعقيدة الأشعرية والماتوريدية مثل هؤلاء العلماء هم القادة والمصلحون المتحررون من رقة العبودية والتبعية لآراء الرجال واختلافات المذاهب.

ومن طنجة إلى الدار البيضاء حيث كان لقائي بالعالم العلامة والبحر الفهامة الأديب الكبير الدكتور تقي الدين الهلالي مغربي عراقي سعودي أوروبي، كان في تلك المناطق زهرة عمره فقد سكن العراق ثلاثين عاماً حتى لا يكاد يفكر في المغرب، وفي المملكة العربية السعودية سبعة عشر عاماً حتى لا يكاد ويظن بالخروج عنها، وفي دول أوروبا أمضى حقبة من الزمن نال فيها شهادة الدكتوراه من ألمانيا، ويجيد اللغة الإنجليزية والفرنسية ويتحدث الأسبانية ويخطب بالبربرية، ومع أنه عالم أديب فهو سلفي المشرب يعتبر من رجال الحديث ومن علماء التفسير، بلغت سنه ثلاثاً وتسعين عاماً، ومع هذا فهو يتحدث حديث الفتى المكتمل القوى كأنما يعطيك من فهمه درراً ويهدي إليك من ماله جواهراً، حدثني فقال حججت عام ١٣٤١هـ وسمعت أن الملك حسين شريف مكة قد سجن أبا بكر خوقير من أهالي جدة لانتمائه للمذهب الحنبلي والعقيدة السلفية فكان في ذلك إستعجال سفري من مكة، غير أن الله أوجد الفتح بعد عامين حيث دخل آل سعود الحجاز ورفعت راية التوحيد وطمست تلك المقابر ووحدت الإمامة في الحرم المكي لايكاد الهلالي، يفتر عن حديثه وذكرياته

من غير تكلف في النطق ولا ممازحة ولا ضحك، ولكن الدكتور يقذف شرراً عندما يغضب ويتحمس ضد فكرة ما أو شخص ما قوة النجديين وصلابة الوهابيين وعنفوان البادية، يكفي أنه عاش في العراق وقد عرف بالشدة وعاش في نجد وهم أهل النجدة، عفى الله عنك يا شيخ تقي الدين الهلالي فقد ألف كتباً جمة وأوضح فيها عن علمه وأعرب فيها عن مكامن فهمه وفقهه، كان آخر منصب له أستاذ في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ثم انتقل إلى المغرب بمشورة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فرفع راية التوحيد وأعلنها صيحة مدوية ضد كل خرافة وبدعة لم يصفعه توقيفه في زنزانة أو السعي إلى الحكام في إيذائه ولم يحد من نشاطه ذلك الهجوم السافر من أصحاب الطرق والبدع، ولكن الدكتور الهلالي يعمل ومعه معية الله فهو رجل ثورة لا أقول الثورة السياسية ولكنها ثورة تثير الجدل والبحث عن عقيدة الأسلاف ومقوماتها الصحيحة وتدعو إلى عودة الإسلام في ثوبه الجديد ووظيفته الصحيحة، وتحقيق ذلك ببيان التوحيد وما يشتمل عليه من توجيهات ربانية وأحكام تشريعية.

الدار البيضاء لا تكاد تنكر فيها منكراً ولا تعرف فيها معروفاً لكثرة السياح ورواد تلك الدار والناس فيها يعشقون مذاهب.

سكنت في فندق مرحبا أربعة نجوم واستطلعت على بعض الأحوال في الدار البيضاء إلا أنها لا تشجع عن الحديث بتوسع فهي مدينة سياحية ورغم أنها ليست ثرية لكن شواطئ البحر وكذلك السكان جعلت منها ميناء للشاحنات لمختلف الأجناس ورديء الناس ولعل التسامح هو الذي دفع الكثير إلى قصد الدار البيضاء وجعلها مرتعاً خصباً لأصحاب الإرادات المنحرفة الراغبين في قضاء إجازاتهم وأوقاتهم لمتعة الجسد والتمتع بمناظر الطبيعة والجو الملائم.

عدت إلى الرياض بعد هذه الجولة الاستطلاعية ورغم أنه بودي أن استطلع على المخطوطات والمراجع العربية فيما أنجزته الحضارة العربية في

الأندلس إلا أنني لم أحظى بدليل ولم أتعرف على شيء من ذلك وازدحام البرنامج العملي، ويذكر أنه في مدينة سـلا وفاس وطنجة من المكتبات ما يندهش لها الباحث ويعجز عن حصرها القارئ مما يدل على قدم رسـوخ الحضارة الإسـلامية في البلاد المغربية، طبعـت وزارة الأوقاف في المغرب كتـاب التوحيد لابن عبد البر على موطأ مالك أربعة عشـر مجلداً ولديها كتاب المعيار في فتاوى افريقية وأهل الأمصار في عشرة أجزاء.

وتوالى الوزارة على إحياء التراث الإسـلامي العربي المغربي في التفسير والحديث والأدب والتاريخ الإسلامي .

والي المتلقي في رحلة قادمة إن شاء الله تعالي.

ولي مهمة رسمية في المغرب

صدر قرار سماحة الشيخ بن باز بترشيحي مندوباً عن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء للسفر للمغرب للتباحث مع المسئولين حول تنفيذ مشروع المعهد الإسلامي لتكوين الدعاة في المغرب للفترة من ٨/ ٤/ ١٤٠٣هـ إلى نهاية ٢٨/ ٤/ ١٤٠٣هـ وذلك بمناسبة الزيارة التي قام بها وفد من رابطة علماء المغرب ويتكون من أحد عشر عضواً برئاسة الأمين العام للرابطة سماحة الشيخ عبد الله كنون بالمملكة العربية السعودية بدعوة من سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء الشيخ عبد العزيز بن باز وذلك في إطار التعاون والتبادل الثقافي المغربي القائم بين المملكتين الشقيقتين وخلا ل جلسات العمل اقترح الوفد المغربي إقامة معهد إسلامي لتكوين الدعاة للمغرب لشدة الحاجة لذلك وحيث أن المملكتين الشقيقتين السعودية والمغرب تفرض عليهما الظروف اليوم أكثر من أي وقت مضى فتعاونهما الثقافي الإسلامي قائم على خطة دفاع يأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية من الوجهة الجغرافية تقع أحد المملكتين في أقصى شرق العالمي العربي وتشرف على آسيا وشرق أفريقيا على حين تقع الأخرى في أقصى غرب العالم العربي وتشرف على غرب أفريقيا وغرب أوروبا فلهما في هذه الوجهة موقعان استراتيجيتان، ومن الوجهة التاريخية فالسعودية أرض الإسلام الأولى التي انطلقت منها الدعوة الإسلامية شرقاً وغرباً كما أن المغرب أكبر قلعة إسلامية في غرب أفريقيا آمن برسالة الإسلام وحمل أعباء نشرها في غرب أوروبا وأقطار غرب وشمال أفريقيا كما يشهده التاريخ.

وكانت مهمتي الرئيسية:

١ ـ الوقوف على الأرض في مدينة فاس منحة من الملك الحسن الثاني للمشروع والتي تقع في حي مناسب على الطريق العام.

٢ ـ للدراسات الأولية للمخططات من ناحية هندسية بمشاركة مندوب من وزارة المالية مهندس معماري.

٣ ـ تعيين مكتب استشاري يشرف على المشروع وفق الدراسات والمخططات الهندسية.

وبعد الوقوف على المشروع كتب أمين عام الرابطة الشيخ عبد الله كنون لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز يقول حظيت بلقاء مندوبكم الشيخ إسماعيل بن عتيق مع المهندس فهد الشقير مبعوث المالية والاقتصاد الوطني في المملكة العربية السعودية وقد وقفا على عين المكان الذي سيقام فيه معهد الدعوة بحول الله واستحسناه وتأكدا من ملائمته لمواصفات المشروع ولم يبق إلا الشروع. . انتهى، وقد لقيت للحفاوة وتكريم من علماء المغرب سيما في تقديم المآدب التي لم أعهدها إلا في المغرب تستغرق الجلسة على الطعام ساعة أو تزيد وذلك بتقديم الطعام على دفعات يبدأ بالشوربة ثم بالسلطات والمشيهيات ثم باللحم ثم بالكسكو فالحلويات ثم الفاكهة ولعي نسيت أكلات شعبية مغربية ولكن الكسكسو لا ينسى لأنه بمثابة الأرز عندنا، أمضيت عشرين يوماً كلها في الرباط وكنت في الصباح الباكر على شاطئ البحر وكذا في المساء رأيت صفاء الجو ونسمات الهواء تعطي تنفس الرئتين أقصى أمانيها والعين أحلى رونق وأجمل بهاء وكل ذلك آية ودليل على تنوع المخلوقات بقدرة قادر وحكمة قاهر والله يرعى الجميع بفضله وإحسانه .

(٣) الدولة الثالثة
جمهورية السودان والعاصمة الخرطوم

وتقع في جنوب مصر يحدها البحر الأحمر والحبشة شرقاً وكينيا وأوغندا والكنغو جنوباً وجمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد غرباً ويخترقها نهر النيل وأقاليمها الشمالية صحراء أما وسطها وتجاه الجنوب تنتشر المياه والزروع والأحراش والغابات، انتشر الإسلام بعدما وصل عمرو بن العاص مصر وبنى فسطاطها في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب سنة ٦٣٩م وإلى عهد عبد الله بن أبي السرح الذي خلف عمرو بن العاص في حكم بلاد مصر فأوفد حملة عسكرية إلى بلاد النوبة وحاصرها فاستسلم حاكمها طالباً الصلح عام ٣١هـ وعندما اعتنق عبدالله بن ساينو الإسلام وصار ملكاً على النوبة ظلت بلاده مستمتعة بالاستقلال الذاتي ردحاً من الزمن وفتحت أبوابها لهجرة العرب الذين تاجروا وتناسلوا ونشروا لواء الإسلام على الكثير من أهل البلاد، وفي القرن الخامس عشر تولت السلطة في النوبة وبلاد السودان أسر عربية مسلمة ومكثت كذلك قرابة ثلاثة قرون حتى فتحها محمد علي باشا الملقب بالكبير سنة ١٨٢٠م وجعل من الخرطوم عاصمة لها ثم قامت الثورة المهدية بقيادة محمد بن أحمد بن عبد الله المهدي ضد الإنجليز والمصريين وتمكن من القضاء على الجيش المصري وقد طالب المصريون بالوحدة والاتحاد مع السودان تحت التاج المصري ولقب فاروق بلقب ملك مصر والسودان وبعد قيام الثورة العربية أسقط عبدالناصر مطالب مصر في السيادة على السودان وفاز الحزب الوطني الاتحادي برئاسة إسماعيل الأزهري الذي صار أول رئيس وزراء سوداني.

الرحلة الأولى إلى السودان في ١٤/٩/١٣٨٧م وهبطت بي الطائرة من جدة إلى مطار الخرطوم لاستطلع الأحوال عن إمكانية انتظامي مدرساً في

المركز الإسلامي الأفريقي الذي تأسس حديثاً بدعم ومساعدة المملكة وقد سبق مكاتبات من دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية إلى فضيلة رئيس أنصار السنة المحمدية الشيخ محمد هاشم الهدية بترشيح مبعوثاً منها إلى المركز الإسلامي الأفريقي ولم ترد إجابة واضحة بالقبول أو الرفض، فمن أجل التأكد ومشاهدة الواقع كان نزولي إلى السودان ثم اللقاء بالشيخ الهدية مع السفير السعودي الشيخ محمد العبيكان وأوكد لهما رغبتي ورغبة مرجعي في انتمائي إلى المركز معلماً ومرشداً غير أن الشيخ الهدية أفاد بأن المركز حديث التأسيس ولم ينتظم العمل به تماماً كما أن من وجهة نظري التريث في قبول مبعوثين من المملكة العربية للمركز حيث أن الكثير من مؤسسيه لا يهضمون رسالة السعودية ولا يتوجهون الوجهة السلفية فلربما ثارت ثائرة أهل البدع ضد تكوين المركز وذكر شخصيات هم على غير مشرب أهل السنة والجماعة وعدد أعضائه واحد وستون عضواً من مختلف المشارب والتوجهات السياسية والعقدية والمذهبية، يرى الهدية إرجاء الأمر حتى يكون المركز هو الذي يطلب وبعد ذلك بسنوات متأخرة تم تعيين الشيخ إبراهيم أبو عباة مسئولاً عن المركز وبقي به ست سنوات الشيخ محمد العبيكان وضع ثقله مع أنصار السنة في السودان ولا يرى غيرهم إلا بالعين الخافتة، لولا أن كرمه غير المحدود لكافة أعيان وعلماء السودان جعل منه قبولاً في حدود الأدب والمعاشرة الإنسانية، أما المشاريع والمنشآت وفرش المساجد وصرف الزكوات والمساعدات فلأنصار أهل السنة، لم أبق في السودان سوى يومين هضمت الوضع وعرفت الحال فتوجهت إلى نيجيريا في مسمى المركز الإسلامي بأيجيجي ضاحية العاصمة الفيدرالية لاجوس وبها أقمت ستة أشهر ثم توجهت إلى الشمال لابقى به ثلاثة أشهر.

أما الرحلة الثانية إلى السودان ففي عام ١٣٩٥هـ حينما كنت أشغل وظيفة المدير المساعد للدعوة في الخارج صدر التكليف من رئاسة البحوث

العلمية والإفتاء والدعوة بالتوجه إلى السودان وبالتحديد منطقة كسلا شرق السودان ولم يفتح بعد مكتب الملحق الديني وكان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز يتفجر ينابيع الخير على يديه وقد بلغه أحوال اللاجئين الأريتريين في كسلا وما هم عليه من فقر وحاجة وأحوال يندى لها الجبين وكان الشيخ محمد الحسن أحد الدعاة البارزين هو أحد الداعين بتسوية اللاجئين وهو من أصل أريتري ومتعاقد مع رئاسة البحوث العلمية، أمرني سماحة الرئيس بما يأمر به عادة مبعوثيه في الخارج بالتوجه الفوري للنظر ومشاهدة الأحوال وبالأخص مراكز التعليم والتوجيه خشية مزاحمة الكنسية لسير العمل الدعوي فكان ذلك في وقته، التقيت بالشيخ الهدية للمرة الثانية وأخبرته بالمهمة فقال أنا صاحبك في السفر إلى كسلا وتم ترتيب السفر بالطائرة ذهاباً أما الأوبة فالأمر يعود إلى حينه فهمت منه رغبة استبطائي في كسلا فكان له ما أراد إلا أنه لم يكن بالاختيار كان مطار كسلا ترابي ليس مرصوفاً بغير الطين وكانت الأمطار في موسمها تهطل كل يوم مما جعل العودة غير ميسورة حتى تعود الأرض بطينتها لطبيعتها لنزول الطائرة في أرض يابسة، قابلنا الشيخ محمد الحسن في كسلا المشرف على مخيمات اللاجئين من حيث الإغاثة والدعوة، رغبت أن أسكن فندقاً فقال الشيخ هو ميسور ولكن جرت العادة أن السودانيين لا يسمحون لضيوفهم في الفندق، قال أنا وأنت ضيوف الأخوة في كسلا مهما طال الزمن، تم إعداد تقرير عن زيارتي لهذه المخيمات وكان القلب يعتصر مما جعلني لا أتحمل رؤية الكثير منها، عدت إلى الرياض وأعددت تقريراً عن مشاهداتي ومرئياتي فقد توالت البعثات إلى السودان من رابطة العالم الإسلامي ومن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ففي عام ١٣٨٣هـ وهو العام الثالث لإنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة المباركة ابتعثت الجامعة فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام للجامعة وفضيلة الشيخ عمر محمد فولالي مدير دار الحديث والمدرس بالمسجد النبوي وفضيلة الشيخ أبو بكر

جابر أبو موسى المدرس بالجامعة وبالمسجد النبوي إلى دول أفريقية كانت المحطة الأولى للسودان وتتركز مهمتهم بالاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم وإلقاء المحاضرات في الأندية والمساجد والتجمعات وتنظيم جدول إحصائي للسكان المسلمين وتحديد حاجة المسلمين إلى المساعدة العينية والنقدية ولأن السودان هو البوابة الكبرى المحاذية للمملكة العربية السعودية والفاصل بينهما البحر الأحمر والأهم في دول أفريقيا، لذا كانت البداية بها، وفي عام ١٣٨٥هـ تقرر بعثة من الجامعة الإسلامية للمدينة المنورة ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة يرأسها فضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي وهم فضيلة الشيخ عطية محمد سالم والشيخ محمد أمان والسيد الأمين المامي الشنقيطي لدول أفريقية بدأت بالسودان وهي تضارع مهمة البعثة الأولى إلا أن الثانية تعني بالبحث العلمي ومشاطرة علماء كل بلد في تصحيح المفاهيم وأخذ الاعتبار بالدليل في كل تعبدات المسلم لربه وأهمها التوحيد ومنابذة الشرك والدعوة إلى الإسلام الصحيح، وفي عام ١٣٨٨هـ عاد الشيخ العبودي للسودان للمرة الثانية والثالثة لمهمات إدارية بحكم عمله أمين عام الجامعة الإسلامية.

وفي عام ١٣٩٣هـ جاء الدور الإعلامي السياسي لكسب حركة التضامن الإسلامي فتوجه فضيلة الشيخ محمد محمود الصواف يحمل رسائل من الملك فيصل لرؤساء دول أفريقيا ممثلاً لرابطة العالم الإسلامي وبمعيته الشيخ عبد الوهاب دوكري عضو المجلس التأسيسي للرابطة وسفير جمهورية مالي في جدة سابقاً وكان الرئيس إذ ذاك في السودان جعفر النميري، يستفتح الشيخ الصواف حين لقائه بالملوك والرؤساء تبليغ رسالة الفيصل تحريرياً وشفوياً والحديث عن التضامن الإسلامي وأهميته في هذا العصر حيث تكالب الغرب والشرق على الكيان الإسلامي ومحاولة الزحف عليه هكذا طوف الشيخ الصواف دولاً أفريقية وآسيوية مهمته تقريب وجهات النظر حول البعث الإسلامي والمنطلقات الصحيحة لخدمة المسلمين السياسية

والدينية والاجتماعية وكان لهذه الزيارات الصدى البعيد في وسائل الإعلام المحلية ومما هو معلوم علم الشيخ الصواف الشرعي فهو أستاذ في جامعة أم القرى في مكة المكرمة وله نشاطه العلمي بجانب نشاطه الدعوي في العراق سابقاً ثم في المملكة، حصل الصواف على ثقة الملك فيصل حين حمله هذه الرسالة ليعود بالنتائج والبيانات لتأكيد حركة التضامن الإسلامي وكان الصواف يقابل رؤساء مسلمين وغير مسلمين إذ كان حديثه وشخصيته عامل إقناع وانفتاح في الحديث مع الآخرين ومن غير شك إن هذه البعثات المتكررة لها إيجابياتها سيما وأن منطلقها من المملكة العربية السعودية وبدافع المحبة والإخلاص وانتشال الأمة الإسلامية من براثن الشرك والبدع بل ومن ملتويات السياسة ومكرها سيما الشيوعية التي كادت تقضي على القرن الأفريقي وقبله الاستعمار الأوروبي لدول المنطقة.

الرحلة الثالثة إلى السودان، نمى إلى الشيخ ابن باز أن رجلاً في السودان لديه ما يسمى بالخلاوي ختم عنده على ما ينيف عشرة آلاف حافظ للقرآن الكريم مما جعل الشيخ بن باز تفتر ثناياه عن بسمة إعجاب لهذه القدرة المقدرة شرعاً وأمرني بالتوجه لمقابلة هذا الرجل ومشاهدة مدارسه ولطول الزمن فقد نسيت اسمه ولكني لا أنسى مقابلته وحديثي معه فهو في ضاحية من ضواحي السودان ليس في العاصمة ومن المقرر زيارته للعاصمة فكان اللقاء به بصحة الشيخ محمد هاشم الهدية، عقدنا معه موعداً بعد المغرب ليلاً فأنشأ بحديثه إذ قال طلابي يتميزون بالأمور التالية:

١ ـ يحمل أحدهم العصا القصيرة ليلاً أو نهاراً.

٢ ـ يلبسوا الثوب الأبيض ويتعممون.

٣ ـ وفرة شعر الرأس ولو كانوا صغاراً وتلاوة القرآن الكريم في كل وقت، وفي ثنايا حديثه يسأل عن سيارة وهبها له الرئيس النميري هل يجوز لي أن امتلكها، فأجابه الهديه وما المانع من قبولها اقبلها، عرضت عليه أي مساعدة يريد فلم يقل شيئاً فقلت نرسل لك المصاحف من مطابع

المدينة المنورة فقال لا نحن نقرأ ونقرئ القرآن بالألواح ولا نحمل المصاحف بالقرطاس، انتظر لعله يزيد من توجهاته فقلت هل ترغب زيارة مكة المكرمة لأداء العمرة ضيفاً على المملكة فقال ساخراً لهذا العرض لماذا أذهب إلى مكة والكعبة تأتي إلى هنا فقلت حلماً أو مشاهدة فقال رأي العين وكان الرجل في مقعده يملأ رجلين جسيمين بلباسه الفضفاض الرقيق وحوله بعض تلامذته ومريديه، بعد هذه الإجابة انصرفنا من غير رغبة في زيارة مدارسه أو خلاويه وهكذا عدت بتقارير لأبلغ مشاهداتي لمرجعي . . والله ولي التوفيق.

جغرافية السودان

يحتل السودان الجزء الشمالي من قارة أفريقيا بين دائرتي ٤، ٢٢ شمال خط الاستواء وخطي طول ٢٢، ٣٨ ويمتد طول الحدود البحرية على ساحل البحر الأحمر إلى حوالي ٦٧٠ كلم، وتحده دولتان عربيتان من الشمال هما (مصر وليبيا) و٧ دول أفريقية هي: تحدها من الشرق أثيوبيا وارتريا ومن الغرب تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى ومن الجنوب دولة جنوب السودان.

الموقع الجغرافي:

من الناحية الجغرافية يقع السودان في شرق أفريقا ويحتل مساحة قدرها (٨١٣، ٨٦٥، ١ كلم مربع وهو بذلك ثاني أكبر بلد في أفريقيا بعد الجزائر، والثالث في العالم العربي بعد الجزائر والمملكة العربية السعودية، والسادس عشر على نطاق العالم (كان الأكبر مساحة في العالم العربي وأفريقيا قبل انفصال الجنوب في عام ٢٠١١م، العاشر عالمياً بمساحة قدرها (٢ مليون كلم متربع تقريباً).

ولايات السودان:

يبلغ عدد ولايات السودان ثمانية عشر ولاية، تضم ١٣٣ محلية، الكثافة السكانية (شخص لكل كيلو متر مربع).

يبلغ التعداد السكاني (٣٤) مليون نسمة تقريباً.

التضاريس:

أراضي السودان بشكل عام عبارة عن سهل رسوبي منبسط ينحدر قليلا من الشرق والغرب نحو الوسط وينحدر السهل بأكمله من الجنوب نحو الشمال، تتخلله مرتفعات تغطي أقل من نسبة ٥٪ من مساحته الإجمالية، وتتنوع تضاريس أرضه.

يقسم نهر النيل أراضي السودان إلى شطرين شرقي وغربي وتقع العاصمة الخرطوم عند ملتقى النيلين الأزرق والأبيض رافدا النيل الرئيسيين ويتوسط السودان حوض وادي النيل، وتشق أراضي السودان أنهار ووديان وخيران وروافد عديدة، موسمية ودائمة، أشهرها نهر النيل الذي يشكل أهم ظاهرة جيمورفولوجية في السودان إذ يمتد إلى حوالي ١٧٠٠ كيلو متر من الجنوب إلى الشمال، كما يغطي حوض النيل وروافده في السودان حوالي ٢،٥ مليون هكتار. وتشمل روافد النيل: النيل الأبيض، النيل الأزرق، نهر عطبرة، ستيت، الدندر، بحر سلام، الرهد. وهناك أودية موسمية: نهر القاش، خور طوكر. وأخرى جافة كوادي هور ووادي الملك، إلى جانب عدد من البرك والمستنقعات والخيران الموسمية التي تفيض بالمياه أثناء الموسم المطير في الصيف، وبعض الجزر المرجانية والرؤوس على ساحل البحر الأحمر وبحيرات صناعية، مثل بحيرة النوبة في أقصى شمال السودان وغيرها من البحيرات الصناعية خلف السدود والخزانات فضلاً عن شلالات النيل التي تبدأ بالشلال الثاني في حلفا بشمال السودان، والشلال الأول في أسوان بمصر، وتنتهي بشلال السبلوقة شمال الخرطوم.

المناخ:

يقع السودان في المنطقة المدارية وتتنوع الأقاليم المناخية على النحو التالي:

المناخ الصحراوي الحار في شمال السودان، مناخ البحر الأبيض المتوسط على ساحل البحر الأحمر ومنطقة جبل مرة في دارفور، المناخ شبه الصحراوي في شمال أواسط السودان، مناخ السافانا الفقيرة في جنوب أواسط وغرب السودان ، مناخ السافانا الغنية في التخوم الجنوبية للسودان.

ويتسم المناخ المداري بارتفاع درجة الحرارة في معظم أيام السنة، خاصة في الصيف ويتدرج من مناخ جاف جداً في أقصى الشمال، إلى حار ماطر في الصيف ومعتدل في الشتاء في مناطق السافانا في الوسط وشبه رطب

فـي أقصى جنوب كردفان وجنوب النيل الأزرق، وحار جاف صيفاً، ممطر بارد شتاءً على ساحل البحر الأحر ومنطقة جبل مرة.

الغطاء النباتي:

يشـمل ذلك الغابات والمراعي وتبلغ المساحة الإجمالية للغابات والمراعي في السـودان نحو ١٢١،٨ مليون هكتار، منها حوالي ٧١ هكتار للغابات أي ما يعادل ٢٨٪ من مساحة السودان الكلية .

وهذه المناخات المختلفة وأراضيها الواسـعة والغطاء النباتي والمائي الكبير ترشـح السودان ليكون سلة غذاء العالم، أو سـلة غذاء العالم العربي إذا وجد الاستثمار الزراعي من الدول العربية الأهمية المطلوبة.

استقلال السودان ونظام الحكم فيه :

* استقل السودان عن الحكم الإنجليزي المصري عام ١٩٥٦م.

* أعلن الزعيم إسـماعيل الأزهري عن اسـتقلال السـودان من داخل برلمان السـودان عام ١٩٥٦م ورفع العلم السـوداني وأنزل العلم الإنجليزي المصري.

* بعد إعلان اسـتقلال السـودان تولى الحكم إسـماعيل الأزهري.. وللخلافـات الكثيرة بـين الحزبين الكبيرين حزب الأمـة الذي يمثل طائفة الأنصار. والحزب الوطني الاتحادي ويمثل طائفة الختمية.. ولتردي أوضاع البلاد من الناحية السياسية والاقتصادية.

* قام الفريق إبراهيم عبود بانقلاب عسكري عام ١٩٥٨م.

* ثار الشـعب على حكم الفريق إبراهيم عبود وعادت حكم الأحزاب مرة أخرى.

* بعد ذلك تردت أحوال البلاد فقام العميد جعفر محمد نميري بانقلاب عسكري عام ١٩٦٩ .

* وأيضاً لتردي أحوال البلاد قام وزير دفاعه الفريق عبد الرحمن سوار الذهـب بانقلاب عسـكري ضد النميري.. ووعد خلالها بتسـليم الحكم

لحكم مدني في ظرف عام بعد إجراء انتخابات نزيهة . . وبالفعل في سابقة نادرة أن يقوم حاكم عسكري بالتنازل طواعية عن الحكم . بعد عام قام بتسليم الحكم للأحزاب . . وفاز خلالها حزب الأمة بقيادة الصادق المهدي زعيم الأنصار .

* وفي عام ١٩٨٩ قام حزب الجبهة الإسلامية القومية بقيادة الشيخ/ حسين الترابي بانقلاب عسكري على حكم الصادق المهدي، وهذا الحكم مستمر حتى الآن بقيادة الفريق عمر حسن البشير، بعد انشقاق حسن الترابي والخلافات بينه وبين تلميذه الفريق عمر حسن البشير .

تقرير عن الدعوة في السودان

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الذي أرسله الله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين وبعد :

فإن السودان هو معقل التبشير النصراني في أفريقيا، ما هو معقل الشيوعية والبهائية والماسونية، هذه بعض المؤسسات التي تعمل لمحاربة الإسلام والمسلمين علناً.

وهناك مؤسسات أخرى تحارب الإسلام والمسلمين تحت شعارات الإسلام الكاذبة، مثل الصوفية بطرقها المتعددة، والقاديانية ويسمون أنفسهم الإخوان الجمهوريون (محمود محمد طه) وأتباعه منكري القرآن المدني، وهناك من يسمون أنفسهم بأنصار القرآن وهم منكري السنة جملة وتفصيلاً. إضافة إلى الفساد الخلقي بين صفوف الشباب الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم.

هناك مؤسسات إسلامية تدعو إلى الله على بصيرة مثل جماعة أنصار السنة المحمدية، منظمة الدعوة الإسلامية، وهيئة إحياء النشاط الإسلامي، وهناك خلاوي ومدارس لتعليم القرآن الكريم تابعة للطرق الصوفية.

ولنبدأ الحديث عن التنصير:

لقد وجد التبشير النصراني الفرصة سانحة لتثبيت قواعده في السودان حيث الفقر المدقع والحاجة بين صفوف المواطنين، ساعد على ذلك وجود مجموعات كبيرة من اللاجئين في جنوب وشرق وغرب السودان، فدخل بحجة المساعدات يحمل كمية هائلة من الأدوية والكساء والنقود وقام بفتح مشاريع حية لمعسكرات اللاجئين في جميع الجهات المذكورة، كجلب المياه وبناء المستشفيات وإحضار الأطباء وتوزيع الغذاء والكساء. وهناك أكثر

من (٢٨) ثمانية وعشـــرون منظمة كنسية تعمل بين صفوف اللاجئين فقط، وفي معســـكر واحد يسمى (خشـــم القربة) فتحت الكنيسة مدرسة بالقرب من معهد النهضة الإسلامي التابع لجماعة أنصار السنة بكسلا، وبين المعهد والكنيسة (٥٠) خمسون متراً فقط، وفي هذه المدرسة أعداد هائلة من البنين والبنات توزع عليهم يومياً ما لا يقل عن ألف رغيف على هيئة (سندوتش) علـــى مرأى من طلاب المعهد الذين لا يجدون حتى الرغيف اليابس، وقد جعلت الكنيســـة من ضعاف النفوس من أبناء المسلمين من يسبون الإسلام والرســـول ﷺ جهاراً نهاراً وســـهلت لهم بعثات دراسية إلى أمريكا وكندا وغيرهـــا من الدول، فتعلموا الأناجيل ومســـحوا عقولهم من البقية الباقية من الإســـلام والقرآن وبذلك أصبح لها نفوذ واســـع ومخططات رهيبة لا في الســـودان وحدها ولا في أفريقيا فحســـب بل في جميـــع دول العالم الإسلامي، والهدف تنصير المسلمين. وحتى تكونوا على بينة مما أقول فإنني ســـأنقل لكم مقتطفاً من وثائق مؤتمر كنائس البروتستانت المنعقد في جنوب كالفورنيا في الخامس عشر من أكتوبر ١٩٧٨م تحت شعار أو تحت عنوان: (من أجل تنصير المسلمين).

أن الرب يقوم بعمل جديد وســـط المسلمين ومن ثم يجب على الكنيسة أن تتحرك بســـرعة إذا كانت حقيقة الســـلاح الماضي لخدمة الرب أنه لا بد من توحيد الجهود وتضافرها بكل شجاعة وإصرار لإيصال كلمة المسيح إلى السبعمائة وعشرين مليون مسلم الذين لم تصل المسيحية إليهم حتى الآن.

أن العالم الإســـلامي ومن بينه دول الشـــرق الأوسط النفطية صار الآن قلـــب أحداث العالـــم الهامة، إن اجتماعات منظمـــة (الأوبك) هي دقات عنيفة على قلب كل غربي وأن المتعصبين الإســـلاميين صاروا قوة سياســـية فعالة على رأس الأحداث تدفع إلى الوراء منادية بســـيادة الإســـلام، وأن المظاهرات المتشنجة والاضطرابات الهوجاء التي تنادي بالعودة إلى الإسلام وتقاليده القديمة تذكرنا نحن جيل القرن العشـــرين في الغرب بما نسيناه ألا

وهو الجانب المتصلب من الإسلام (انتهى).

ومن ثم جاءت الهجمة الشرسة على العالم الإسلامي في صورتها الحديثة المشهودة الملموسة. تجمعوا رغم اختلافاتهم الدولية والعقائدية، تجمعوا في اتحادات إقليمية وعالمية وتعاونوا ونسقوا فيما بينهم ووقفوا صفاً واحداً لدحر الإسلام وتنصير المسلمين وفاءاً لعهدهم بتبليغ كلمة الإنجيل لكل بيت بل لكل شخص على وجه الأرض حتى يقضوا على البقية الباقية من الإسلام (والله مظهره على الدين كله) ولذلك فإن التنصير عندهم عملية صابرة منظمة تخضع لتوجيهات مركزة ومدروسة هدفها في النهاية إن لم يكن تنصير شامل فهو عزل سياسي وثقافي وسيطرة فكرية. ولقد صارت الآن كل البلاد الأفريقية هدفاً لنشاط تبشيري مكثف تحت شعار حرية الأديان حيناً وتحت مظلة المساعدات الطبية والتعليمية وغيرها من الخدمات المباشرة حيناً آخر وذلك استغلالاً لموجة الفقر المدقع الذي يجتاح القارة الأفريقية. وصدق الله القائل: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقد بدأ التسابق والتوسع بين الكنائس في تنصير السودانيين وفي إحصائيات عام ١٩٦٤م تصدرت الكنيسة الكاثوليكية الكنائس في السودان وهي وحدها تملك ست مطرانيات وهي من كبار الكنائس، وستين مركزاً تبشيرياً، وألف ومائتان كنيسة صغيرة على امتداد السودان، بالإضافة إلى عدد من المؤسسات التعليمية والصحية ومدارس اللاهوت، وتقدر قيمة ممتلكاتها بما يزيد عن ١٠٠٠ مليون جنية سوداني.

وفي الخرطوم تقوم الإرساليات بنشاط مكثف والغرض منه:

١ ـ إما إحداث خرق في داخل صفوف مقدمة الإسلام الزاحف إلى الشمال.

٢ ـ أو محاولة لوقف الحضارة التي يتشرب بها أبناء الجنوب في الخرطوم ثم ينقلونها إلى الجنوب لنشرها وتعليمها، وقد قامت الكنيسة بإيجاد البديل لهؤلاء الجنوبيين في شكل مدارس ومستشفيات وكنائس داخل الخرطوم وتتمركز الكنيسة في امتلاك أكبر عدد من العقارات من أراضي زراعية ومتاجر عن طريق الأقباط المصريين. ثم المحاولة لوجود موطئ لأقدامها في الأحياء السكنية الفقيرة الواقعة في أطراف العاصمة لمتابعة العناصر المتشردة، وهناك كما قلت سابقاً أكثر من (٢٨) منظمة كنسية تعمل بين صفوف اللاجئين الأرتريين واليوغنديين والتشاديين تتلقى المساعدات من أمريكا وكندا والسويد ومن الكنيسة العالمية، ومن المعلومات التي تسربت إلينا بيع ثلاثة آلاف طفل في الصومال لمؤسسة هولندية مسيحية. هذا بالإضافة إلى بعض المذاهب الهدامة التي تعمل إما لصالح النصارى أو لصالح اليهود وخطرها لا يخفى على الجميع، وقد ألفت فيها الكتب وأصدرت عنها النشرات وكتبت بشأنها المجلات الإسلامية وغيرها. كالماسونية والبهائية، وللل منها نواد واجتماعات تنشر منها مذهبها الفاسد وعقائدها المختلفة وتبذل في ذلك كل إمكانياتها المادية والمعنوية، ومهما بذلت في ذلك فإن الإسلام بإذن الله هو الذي يغلب أخيراً مهما صالوا وجالوا. وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

الصوفية:

الصوفية لها طرق متعددة منها: الختمية ـ السمانية ـ القادرية ـ البرهانية ـ البرهامية ـ الشاذلية ـ الأحمدية ـ التجانية ـ وأنصار المهدي، وهم من أخف الطرق بدعاً ويكثر فيهم الجهل، ولكل طريقة شيخ يسمى شيخ الطريقة يأخذون عنه أتباعه مذهب الطريقة ويعتقدون فيه النفع والضر

ويصرفون له الكثير من أنواع العبادة ويصفونه بأوصاف لا ينبغي أن تكون إلا لله عز وجل. وهم يذكرون الله ويصلون على النبي ﷺ بطرق غريبة ومتعددة منها ما يكون بطريق الرقص والغناء والطبول ومنها ما يكون بالخلوة والتمايل ومنها ما يسمونه بالمديح إلى غير ذلك، وهم وإن كانوا يدعون الإسلام إلا أنهم أبعد ما يكونون عنه.

الأخوان الجمهوريون:

هذه الجماعة هي جماعة (محمود محمد طه) الذي يدعي أنه صاحب الرسالة الثانية وأن صاحب الرسالة الأولى هو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، وقد ألف كتاباً سماه (الإسلام برسالته الأولى لا يصلح لإنسان القرن العشرين) ويقسمون القرآن الكريم إلى قسمين أصول وفروع: القرآن المكي هو الأصول وهو الذي يعمل به في هذا الزمان ، أما المدني وهو الفروع فلا يجب العمل به. ولذلك فهم لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحجون ويعطلون جميع الأحكام التي نزلت في المدينة. وفي نظرهم أن المرأة أفضل من الرجل وأنها تملك حق الطلاق أي طلاق الرجل متى شاءت إلى غير ذلك.

أنصار القرآن:

هذه الجماعة تسمي نفسها أنصار القرآن لأنهم عطلوا السنة وأنكروها ولا يعملون إلا بما في القرآن فقط فيصلون ثلاث صلوات ولهم تجمعات ويتبعهم كثير من الشباب.

المؤسسات الإسلامية:

١ ـ أنصار السنة المحمدية:

وهي جماعة تدعو إلى الله على بصيرة وتبصر الناس بعقيدة التوحيد التي فقدت في السودان إلا من رحم ربك وهم الجماعة الوحيدة التي تركز على التوحيد والإسلام الصادق الخالي من الشرك والخرافات والبدع، ولذلك فهي محاربة من جميع الطرق الصوفية وأنصار القرآن وجماعة محمود

محمد طه ومن المنظمات الكنسية وهي تعتمد على الله عز وجل ثم على اشتراكاتهم الشخصية التي يدفعها كل فرد منهم في نهاية كل شهر.

٢ ـ منظمة الدعوة الإسلامية:

وهي منظمة جديدة يشترك في مجلس أمنائها ثلاثون عضواً أو يزيدون من المملكة والكويت وقطر والامارات العربية ومعظمهم من السودان، ولها إعانات من جميع الدول المشتركة في عضويتها وقد تلقت إعانات كبيرة من دولة الكويت وهي تشار في الدعوة بفتح المدارس والمستشفيات والمراكز الصحية لأبناء الجنوب والغرب وكذلك قامت بمثل هذه الخدمات في الصومال وكينيا وتنزانيا ويوغندا ومعسكرات اللاجئين في السودان. وينقصها عدم وجود الدعاة المؤهلين للدعوة إلى الله.

٣ ـ هيئة إحياء النشاط الإسلامي:

وهي هيئة قومية تقوم بفتح خلاوي قرآنية ومكافحة التنصير ولها فروع في كثير من قرى السودان ومدنه، ولها إعانات ومصادر دخل ولها مشاريع زراعية، ولكن ينقصها عدم الاهتمام بجانب العقيدة الصحيحة كما يفعل أنصار السنة.

هناك مدارس وخلاوي للقرآن الكريم تابعة للطرق الصوفية التي تربي الناشئة على الشرك والبدع والخرافة والاعتقادات الباطلة، صرفت النظر عن ذكرها توفيراً للوقت ولأنها أشبه ما تكون بمدارس التبشير النصراني في ثوب القرآن والسنة.

ومن عرفت في السودان:

الشيخ محمد الهاشم الهدية من السودان، رئيس أنصار السنة المحمدية في السودان.

في عام ١٣٨٧هـ توجهت من الرياض إلى الخرطوم متجهاً إلى نيجيريا فكانت الخرطوم أولى محطات الرحلة، وبها التقيت بالشيخ محمد هاشم الهدية الذي شاع ذكره، ونفح عطره في بلاد السودان، لرفع راية التوحيد

ومجابهة البدع والمبتدعين، فرأيت الرجل الذي قد اختير ليأخذ بالسفينة الدعوية فلا تصطدم بأمواج المحيطات، ولكنه أمن سيرها ووصولها إلى ميناء السلامة بحكمته ورويته ودماثة أخلاقه وذلاقة لسانه.

لم يكن الشيخ الهدية ممن يُشار إليه بالبنان في علم السنة والقرآن ولا من أهل الزعامات السياسية، ولا من أرباب الأموال، لكنه بالصفة المذكورة كان في مصاف أولئك، سمعت أنه كان موظفاً في البريد بوظيفة عادية ولكنه اختار لنفسه بعد التقاعد وظيفة العمل الإسلامي والدعوة إلى التوحيد فأسس جماعته على غرار ما قام به الشيخ محمد حامد الفقي في مصر أسماها أنصار السنة المحمدية، وللاضطراب العقدي في مصر والسودان وكثرة الطرق الصوفية والمبتدعين، فإن وجود مثل هذه الجماعة، وفي نطاق هذا المضمار أعني نصر السنة ومحاربة البدعة كان لهم دورهم الإيجابي في شجب كل ما خالف هدي النبي ﷺ في التوجه العقدي والتعبدي، حاشا السياسة والقيادة والحكم والدولة فإنهم لم يلجوا أبوابها ولم يقرعوا طبولها، ولكنهم أعرضوا كلياً عن كل مسميات السياسة، وليس المعنى أنهم يرفضون ذلك، ولكن رأوا السواد الأعظم يموتون على غير دين، مع تعبدهم لله وحبهم لرسول الله، ولكنهم وإن صدق عليهم قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية] يشهدون الشهادتين ويصومون ويصلون ويحجون، ولكن المشاهد والمزارات والنذور ودعاء غير الله منتشرة عند العوام فلذا كانت هذه الجماعة أنصار السنة المحمدية.

تكرر لقائي في خمسة وعشرين عاماً بالشيخ الفاضل محمد هاشم الهدية في زيارات متكررة للسودان، ثم لقائي به في مكة والرياض، وكان بمنزلة الوالد والمعلم، والمستشار الأمين، صادق اللهجة، محب للناس، صحبته في السفر من الخرطوم إلى كسلا، وبقينا في هذه المدينة خمسة عشر يوماً، ومن أدبه الجم وأخلاقه الفاضلة أنه كان يجلس في درسي جلوس التلميذ

المستفيد، فقد قال لي مرة: لقد سمعت منك كلاماً في التوحيد لم أسمعه من قبل، فأنتم أهل نجد ممن اختاركم الله لبيان توحيده توحيد العبادة والطاعة.

وكان إذ ذاك سفير الدولة السعودية الشيخ محمد العبيكان وهو الآخر لا يضع يده في غير يد أنصار السنة، وكان من السفراء الأفراد في صنعاء ثم انتقل إلى السودان، وأنشأ كثيراً من المشاريع الإسلامية كالمساجد في فرشها والمدارس الخيرية رحمه الله وغفر له.

أعود إلى منهج أنصار السنة في السودان، وهو منهج اختاروه لأنفسهم وقد يفيد في بلادهم ولا يفيد في غيرها، كان منهجهم الجدل والنقاش في أسماء الله وصفاته ومعيته لخلقه واستوائه، أرادوا من هذا إلجام المبتدعين وإظهار جهلهم بتوحيد الله عز وجل، وكان لهذا الجدل ردود فعل عنيفة عند من لا يعتقد أو يعرف توحيد الأسماء والصفات، وأخيراً أدركوا خطورة الجدل وضرره فعادوا ينهجون نهج التعليم والتلقين للناشئة، وفتحوا المدارس الخيرية ورسموا منهجاً وفق ما يريدون، كان الشيخ الهدية إماماً وخطيباً مقبولاً مهضوماً لدى غالبية الأوساط، فهو يطعم خطبه بالنكتة والندرة، ونماذج من أخبار السياسة وأحوال السياسيين متى سنحت الفرصة.

قال: الحكمة والحكاية يحتاجان إلى رؤوس وفلوس. يعني التفكير والمادة، وعلى هذا كانت قاعدته الفكر والعمل في إيجاد المنشآت من المدارس والمساجد، وهذا آخر عهدي به في تقويم منهجه الدعوي، كبر الشيخ الهدية ولعله قد تجاوز التسعين من عمره، أحسن الله خاتمته وغفر له ذنبه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الدولة الرابعة
موريتانيا وعاصمتها ـ نواكشوط

الفتح الإسلامي المرابطون أسلاف الشعب الموريتاني عرب وبربر تجمعهم وشائج نسب وقربى بقبائل الطوارق الشهيرة في وسط الصحراء الكبرى والمتشرون جنوب ليبيا وتونس والجزائر ويكتب التاريخ أنه في منتصف القرن العاشر الميلادي خرج الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي وأعاد تنظيم جماعات البربر المنحدرين من قبائل ضهاجه بعد عودته من الحج وأسس المراكز التي تسمى بالرباطات والتي بمثابة قواعد الجهاد والدراسة والعبادة وكانت دولة المرابطين وبعد سقوط دولة الموحدين عادت موريتانيا من جديد تحت إمرة بقايا سلالة المرابطين وأخذت القبائل العربية والبربرية في المحافظة والمصاهرة على الحفاظ على اللغة العربية والتحدث بها حتى إبان عهد الاستعمار الفرنسي وفي القرن التاسع عشر دخل المستكشفون الفرنسيون إلى العمق ووقعوا اتفاقيات مع أمراء المرابطين على الحماية الفرنسية، وقام الفرنسيون بعد ذلك بوحدة إدارية في موريتانيا سنة ١٩٢٠م وبهذا صارت موريتانيا واحدة من ثمان مستعمرات أخرى تشكل اتحاد غرب أفريقيا الفرنسي، وفي الاستفتاء الذي أجري عام ١٩٥٨م أيد الشعب الموريتاني قيام دولة متمتعة بالحكم الذاتي ضمن الجماعة الفرنسية وقامت جمهورية موريتانيا الإسلامية وترأس الدولة مختار ولد دادا سنة ١٩٦١م وأعيد انتخابه لمدة خمس سنوات ثم جدد انتخابه لمرة أخرى وعليه قام نظام الحزب الواحد الحاكم وهو حزب الشعب الموريتاني ويتزعمه مختار ولد دادا.

تقرير حال زيارتي لموريتانيا في ١٤٠٠/٤/١٥هـ

١) النشاطات المناوئة للإسلام.

٢) النشاطات الإسلامية.

أولاً: النشاطات المناوئة للإسلام:

لقد غزى المبشرون النصارى هذه البلاد ودخلوها دخول المستعمرين إلا أنهم لم يفلحوا حيث لم يعرف أن أحداً من المسلمين تنصر، ولم يوجد بموريتانيا سوى كنيسة واحدة غير أن تشكك العقيدة والانهيار الخلقي له أثر في صفوف الشباب، وبعد تقلص الاستعمار الفرنسي واستقلال البلاد عام ١٩٦٠م اضطرت الحكومة الموريتانية بحكم حاجتها وفقر ميزانيتها إلى كسب صداقة الدول الكبرى وأصحاب المبادئ الذين يبذلون في سبيل مبادئهم وفي مقدمتهم الصين فقد بدأ نشاطها بعد الاستقلال بسنتين وقدمت الكثير لحكومة وشعب موريتانيا متمثلة في بناء مستشفيات أربعة لا تزال تمونها بالعلاج والأطباء وتشرف عليها كذلك مشروع الميناء والمياه والكهرباء ودار الشباب والثقافة ودور السينما وعمارتين كبيرتين لوزارة التعليم العالي ووزارة الثقافة والإعلام والبريد والمواصلات وبجانب الأعمال والمساعدات المادية عملوا على إقناع سواد الشعب بالكتب المترجمة باللغة العربية في طباعة أنيقة ولغة فصيحة حيث كانت البواخر ترسو في ميناء نواكشوط بملايين الكتب حتى لم يبقى بيت إلا وفيه مكتبة شيوعية بالإضافة إلى دور السينما التي تقوم بعرض الأفلام الصينية الشيوعية ودور الشباب المختلطة بالشباب والشابات إعراباً عن المبدأ الشيوعي الماوي الماركسي والحديث عن نشاط السفارة الصينية المتواصل يطول ذره وفيما أشرنا يعطي الصورة المصغرة عن أطماع الصين لأهمية المنطقة واستراتيجيتها في منطقة غرب أفريقيا.

ب ـ النشاط الروسي: وهي تلي الصين في محاولة كسب الحكومة الموريتانية على المذهب الروسي على حرب الإسلام ومحاولة مسحه من إسلامه ليكون في أحضان الشرق وباباً لمدخل أفريقيا ويتركز نشاطها في التعليم بإعطاء منح دراسية بالتعاون مع الدول الاشتراكية الأخرى مع البذل

بسخاء بالمساعدات المادية النقدية على شكل قروض ومساعدات.

ج ـ يتبع المبدأين الروسي والصيني حركة البعث السوري والعراقي وهما أشبه بتنافس الصين والروس وقد اتفقا معاً على أصول المبدأ واختلفا في التنظيم ووسائل الكسب.

يوجد للبعث العراقي مراكز تجارية وثقافية ومساعدات فنية، أما البعث السوري فهو يعمل في إطار السياسة السرية في نطاق الحكومة ومسئولي الدولة.

د ـ وزاد الطين بلة وجود الحركة القذافية التي أشبه بالهوس في تصرفاتها ونشاطها المندفع من غير تحديد مبدأ ولا غاية غير أنهم يتدخلون من غير تورع في شئون البلاد عامة، والحديث عن النشاطات المنحرفة يطول مما يؤيد أهمية المنطقة وضرورة التركيز عليها.

ثانياً: النشاطات الإسلامية:

فهي لم تبدأ إلا منذ زمن قريب وتتمثل في النشاطات التالية:

أ- افتتاح مركز ثقافي سعودي يضم مكتبة حافلة بالكتب والمراجع الدينية ولديهم أفلام سينمائية ويرتاد هذه المكتبة في كل يوم ما يزيد على خمسين قارئاً.

ب ـ افتتاح معهد نواكشوط العلمي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ويدرس فيه مائة طالب بإدارة وإشراف الجامعة.

ج ـ افتتاح معهد للدراسات العليا نواة لجامعة إسلامية قامت ببناءه وتعميره الحكومة السعودية للحكومة الموريتانية.

د ـ تشييد جامع كبير وسط عاصمة موريتانيا بأمر من المغفور له بإذن الله الملك فيصل.

هـ ـ مكتب رابطة العالم الإسلامي يديره فضيلة الشيخ محمد فال البناني عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

و ـ وقد ساهمت حكومة المغرب ببناء مسجد كبير في جنوب المدينة غاية في الفن والطراز المغربي يتبعه ملحقات ومكتبات ودور مطالعة وسكن للإمام والمؤذن وساحة واسعة للألعاب الرياضية غير أنه لم يفتح بعد.

ز ـ هذا بجانب الأفراد والتجمعات الصغيرة حول محاولة إيجاد نشاط إسلامي واعي لمواجهة التيارات المنحرفة من شرقية وغربية وهم على قلة إمكانياتهم لهم أثر طيب وقبول لدى سواد المسلمين وعامتهم.

ح ـ مركز الدعوة التابع لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد فقد هيأ الله له مكاناً مناسباً ووقع من الأهالي والمسئولين موقعه، حيث تشرف عدد من الوزراء والسفراء وكبار العلماء بزيارة المركز للاستفسار عن أهدافه فكان بحمد الله موضع ثقة الجميع على المستوى الرسمي والشعبي.

وبعد هذا التصور لواقع النشاطات الإسلامية وضدها فإن الأمر يستدعي لفت الأنظار إلى ضرورة تحريك عجلة السير للعمل في ميدان الصراع العقائدي في موريتانيا والذي سينجم عنه شقاء ليس بعده شقاء ما لم يتداركه الله برحمته.

مهمة غير رسمية:

دعاني أحد مشايخي الذين يعز علي عصيانه وطلب مني السفر لموريتانيا لقصد تحرير أرقاء بحدود سبع رقاب كفارة فقد انتشر الخبر إلى حد التواتر أن الرق لا يزال ولأن الرق في الإسلام عجز حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر وقد كان إبان الفتوحات الإسلامية التي مرت بالبلاد وأن من العرف المتبادل في البلد اعتراف أولئك بثبوت الرق والولاء للسادة من غير تكبر ولا منقصة في ذلك إلا أنه بعد الثورة التحررية من الاستعمار الغربي والذي كان يستعبد اللون الأسود كرق متبادل فكان هناك التباس بين الرق الشرعي والرق الاستعماري مما جعل الدولة الموريتانية تمنع بكل صرامة وعقوبة جزائية لمن يتعاطى الرق بيعاً وشراءً تمشياً مع حقوق الإنسان الصادر من هيئة الأمم

المتحدة ومع هذا فقد بقي مسمى الرق وإن لم يكن متداولاً بالبيع والشراء والهبة والاعتاق لكن إذا علم مالك الرق أن العتق يقصد به الكفارة من غير مكاتبة ولا مزايدة في الثمن فإنه لا يمانع من قبول الثمن من غير أن يعرف الرقيق الثمن أو الاعتاق فهي عملية سرية والأجر من الله عز وجل، أفهمت شيخي بالحال ورجوت إعفائي من المهمة ومع هذا أصر وليكن على ما ذكرت صفة سرية المهم التوثق من ثبوت الرق بشهود عدول يعرفون معرفة صحيحة الواقع وعلى هذا كان التوجه إلى موريتانيا نواكشوط وقد حملت معي كتاباً من بعض الأخوة من أهل شنقيط سكان الرياض لأحد القضاة في بلاده لتوضيح الأمر وإمكانية تنفيذه، وصلت نواكشوط وحملت الكتاب لصاحبه وأبدى أسفه واعتذاره عن الدخول في هذه الأمور المخالفة للمرسوم العسكري وزودني بصورة منه وقال إن مكتبكم يعرف عنه التدخل في هذه الأمور بصفة سرية، يأتيه أحد العشائر ويذكر له ما لديه من الرق وربما حلف له اليمين على ثبوته ويعني بالمكتب الملحق الديني التابع لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ويعطيهم ما يعادل خمسة آلاف ريال سعودي على أن يعلن عتق الرقيق وقد يسميه أو لا يسميه قلت وأنا أدفع سبعة آلاف ريال متى كان التوثيق عن طريقكم ولو كان مشافهة فامتنع لكن من صدقه وإحسان فإن الفقراء كثيرون ويمكن أن نتعاون معكم في هذا المجال.

عدت إلى الرياض من غير شيء يتم وعدت بكامل المبلغ غير تذكرة السفر ومصاريفه، حاول المكتب أن يعرف عن مهمتي ومن مجيئي إلى موريتانيا فلم ابدي له ما جئت من أجله ومن طريق ما واجهني في هذه الرحلة حين هبطت الطائرة في مطار نواكشوط بحثت عن سيارة أجرة فلم أجد فوقف بجواري رجل عريض ما بين المنكبين فقال أنا أحمل حقيبتك على كتفي وأنت على كتفي الآخر إلى المدينة وأخذ أجرة التاكسي فقلت أعطيك نصف الأجرة وتحمل الحقيبة، أما أنا فسأمشي على قدمي وكنا كذلك إذ لا يبعد المطار عن المدينة سوى أمتار معدودة والله أعلم.

الدولة الخامسة تونس

يرجع أصل تسميتها إلى أن الفاتحين المسلمين الأول لمّا نزلوا بموقع به زيتونة استأنسوا بها فقالوا هذه الزيتونة تؤنس وعندها بني الجامع المسمى جامع الزيتونة وأطلق بذلك اسم تونس على المدينة وتونس من بلاد أفريقية بينها وبين القيروان مساحة ١٤٠كم وهي مما بناه بنو أمية ونسب إلى تونس جماعة العلماء منهم أبو الحسن علي بن زياد التونسي سمع عن مالك بن أنس وعنه أخذ الإمام سحنون ومن رجال تونس العظماء أبو الحسن الشاذلي وابن رشيق والعلامة ابن خلدون رحمهم الله. بدأ الفتح الإسلامي الحملة الأولى خرج عبد الله بن سعد بن أبي السرح من الفسطاط بمصر على رأس جيش قوامه عشرون ألف وذلك عام ٦٤٩م وكان معه جمع من الصحابة عبد الله بن نافع ومعبد بن العباس بن عبد المطلب وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وغيرهم مم يدل على أهمية البلاد التي يراد فتحها وقد اصطدمت بجيوش الروم وكان النصر حليف المسلمين، ثم توجه الجيش إلى حيث يسكن البربر والروم فصالحهم عبد الله على جزية يدفعونها.

الحملة الثانية بعد أن تولى معاوية بن أبي سفيان الحكم عين على مصر معاوية بن حديج سنة ٤٦هـ وأوصاه بإتمام فتح أفريقية وأرسل ابن حديج عقبة بن نافع الفهري وكان والياً على برقة إلى أفريقيا فاتحاً ومصالحاً لما يقتضيه الموقف وكانت حملة تمهيدية لاختبار الأهالى، بعد الفتح الأول وانتفاضة كثير من أهلها ونكثهم العهود، عاد عقبة إثر حملته التمهيدية وأرسل كتاباً إلى معاوية بن حديج الذي وجهه الآخر إلى معاوية ابن أبي سفيان فصدر الأمر بالخروج إلى أفريقية، فخرج إليها بعشرة آلاف مقاتل ومعه أكابر الصحابة وغيرهم من جنود الله وكان فتحاً مؤزراً فتحوا سوسه

وتم بعد ذلك بناء مدينة القيروان التي ظلت مناراً يستضاء به ونوراً يُهتدى بها.

الحملة الثالثة بعد أن تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سير زهير بن قيس البلوي إلى القيروان سنة ٦٦هـ لقتال المتمردين والتقى الجمعان وبعد قتال مرير قتل تحت سنابل الخيل قائدهم وعاد زهير إلى برقة لقتال الروم فوافاهم واستشهد زهير وانتفضت برقة من جديد بزعامة الكاهنة البربرية وهبة بنت ثابت من بعد رحيل زهير عنها.

الحملة الرابعة وجه عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان على رأس جيش جرار قوامه أربعون ألفاً وكان همه أن يستعيد قرطاج من يد الروم فتقدم إليها وحاصرها وقطع عنها الماء فاستسلمت المدينة ودخلها المسلمون فاتحين ظافرين سنة ٧٨هـ ولما فرغ حسان من فتح قرطاج توجه إلى تونس وأمر ببناء المسجد جامع الزيتونة.

الحملة الخامسة وصل المدد إلى حسان ووافى الكاهنة ودار بينهما قتال رهيب هزمت فيه الكاهنة وولت على أعقابها، من فوره انطلق حسان في أثرها حتى أدركها فقتلها عند بئر عرفت باسم بئر الكاهنة وبهذا استتب الأمر للمسلمين بعد هلاك الكاهنة وجاء أهلها إلى حسان مذعنين مستأمنين فأمنهم واستوثق منهم، هذه نماذج من الحملات التي دارت بين المسلمين الأول وبين بلاد المغرب ومنها تونس.

الإسلام نسب تونس العريق: هكذا توطدت قدم الإسلام في أرض تونس واصطبغت بصبغته مذ طرقها الفتح الإسلامي سنة ٣٠ للهجرة حتى اليوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. أربعة عشر قرناً من عمر الزمان تفيأت تونس خلالها ظلال الإسلام بل وعملت بنفسها جاهدة على مد هذه الظلال الوارفة ونشرها في ربوع أوروبا وإفريقيا. وكان لتونس القصب المعلى في خدمة الحضارة الإسلامية والإنسانية. وظلت ـ دهراً ـ حاضرة من أعظم حواضر العالم. فمنها انطلقت الفتوحات

وارتفعت الرايات ومنها انساحت الأساطيل العظام في البحار الزاخرة تقارع أساطيل الروم وتفتح الممالك الأوروبية. ولكم سعى الاستعمار الفرنسي ومن قبله الإسباني على سلخ تونس من هويتها الإسلامية فما زادها ذلك إلا رسوخاً وثباتاً وما لبثوا أن أخرجوا منها خاسئين خاسرين بفضل الإسلام وبركة الجهاد. فما راعنا في هذه الأيام إلا نعيق بعض الغربان ـ من العلمانيين والملاحدة ـ تنعى النسب الإسلامي لتونس منادين باستلحاقها بنسب هجين لعهود وثنية غابرة فينيقية وبونيقية وبربرية وقرطاجية ورومانية ووندالية، معتبرين أربعة عشر قرناً من العهد الإسلامي حقبة تاريخية من الأحقاب وحلقة في سلسلة التاريخ المتعدد الحلقات قد انتهت وانقرضت بانقراض الحكم الإسلامي. وغريب أن دعاة التنصل من الصفة الإسلامية لتونس يدعون إلى إحياء عهود وثنية وقد بادت حضارتها وانمحت آثارها وانطمست معالمها ولم يبق منها مستمسك واحد في أيدي هؤلاء ولا مستند مما يسوغ لهم الدعوة إلى إحياء تلك العهود البائدة التي ما تركت لهم لغة ولا علماً ولا ثقافة ولا أدباً ولا حضارة غير أحجار مبعثرة صماء وخرائب دارسة جرداء.

فوا عجباً لدعاة الوثنية الجُدد كيف يصمون الإسلام بالرجعية والظلامية ـ وحاشاه ـ وهم يسعون بالرجوع بتونس إلى عهود غابرة تائهة في مجاهل التاريخ السحيق متعامين عن رؤية شمس الإسلام الساطعة في أرجاء تونس وما حولها مذ طرقها الفتح الإسلامي المبين فما خبا فيها سناها ولا انكسف بها ضياها. فما بال عيونهم غشيت عن إبصار هذه الحقيقة الساطعة وراحوا يخبطون في ظلمة عمياء.

لمحة تاريخية عن الفتح الإسلامي لتونس:

وعماية ظلماء؟! ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]، ورحم الله الشاعر حي يقول:

فقل للعيون الرُمد إياك أن ترى
سنا الشمس فاستغشي ظلام الليالي

إن تونس أرض إسلامية وشعبها شعب مسلم عريق النسب في الإسلام ولن ترضى تونس ولن يرضى شعبها بغير الإسلام ديناً ولا بسواه نسباً وهوية وليست العهود الغابرة من تاريخها السابق على الإسلام إلا وثنية وجاهلية قد نسخها الله بالإسلام وارتضاه لنا ديناً فمحال أن نفخر بعهود جاهلية وأحقاب وثنية ما هم منا ولا نحن منهم وقد نهانا نبينا ﷺ عن الفخر بهم حيث قال «**إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء، مؤمن تقي أو فاجر شقي أنتم بنو أدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجُعلان التي تدفع بأنفها النتن**» وقال عليه الصلاة والسلام «**ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية**» وعن عبد الرحمن بن عقبة عن أبي عقبة ـ وكان من أهل فارس ـ قال «شهدت مع رسول الله ﷺ أُحُداً فضربن رجلاً من المشركين فقلت خذها مني وأنا الغلام الفارسي فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال «**هلا قلت خذها مني وأنا الغلام الأنصاري**».

إن العصبية دعوى عنصرية مقيتة وما حلت بقوم إلا أغرت بينهم العداوة والبغضاء. فهل كانت كارثة الحرب العالمية الثانية إلا نتيجة لدعوى عصبية عنصرية في تفوق الجنس الآري على بقية الأجناس؟! فكم دفعت البشرية ثمناً لهذه الدعوى النتنة. وقد قال النبي ﷺ محذراً مغبتها «**دعوها فإنها منتنة**». وها هي إن رائحتها الكريهة تهب اليوم على أوروبا ولكم عصفت ريحها السموم بشعوب بأسرها فأزهقت أنفساً برئيئة وأحرقت أرواحاً آدمية دونما جريرة. وهل ينكر عاقل منصف ما تجرعته البشرية ـ قديماً وحديثاً ـ من ويلات العصبية والعنصرية ؟! ونحن نعلم أن العلمانيين واليساريين ما يحملهم على إحياء التاريخ الغابر لتونس فخر ولا اعتزاز بماضي قرطاج ورجالها ولكنها دعوى ماكرة خادعة للتخلص من الولاء الإسلامي لاعتباره

مجرد حقبة من أحقاب التاريخ التونسي قد انقضت بانقضاء دولته وما بقي لتونس من سبب يربطها به. إن دعوى إحياء الأحقاب السالفة من تاريخ تونس الوثني ليست إلا ذريعة للتنكر للإسلام وإنكار لفضله. إنه لمن اللؤم أن يتنكر العلمانيون للإسلام وقد كان ـ في كل مرة ـ الدرع الذي احتمت بـه تونس في كل الخطـوب وهو كهف أمنها وأمانهـا من جميع الكروب ونورهـا في كل مدلهمة ومنجدها في كل ملمة. إن تونس وأهلها يعرفون للإسلام فضله ويحفظون وده، وأما أولئك اللئام فما تنفع معهم صنيعة ولا إحسان إذ هم بدل أن يشكروا اليد التي تمتد إليهم بالإحسان يبسطون أيديهم إليها بالقطع والامتهان ورحم الله القائل:

إن الصنيعة للأنذال تُفسدهم
كما تضر رياحُ الورد بالجُعل

لقد أعوزت أصحاب هذه الدعوى الباطلة الحجة في نكران النسب الإسلامي فطفقوا ينبشون مقابر التاريخ بحثاً عن نسب يستلحقون تونس بـه!! والحق أن بلادنا ما كانت يوماً مجهولة النسب ولا مغموصة الولاء حتى يُجهد هؤلاء أنفسهم في القيافة الشعوبية بحثاً لها في عهود وثنية غابرة ـ أبلاها الحدثان وطواها النسيان ـ عن نسب يستلحقوها به. فهل ترك أصحاب تلك العهود البائدة من المآثر ما يغري هؤلاء بالانتساب إليهم؟! وهل يملك أحد من دعاة النسب الوثني أثارة من بينة على أنه فينيقي أو قرطاجي أو روماني حتى يكون له مساغ في إثارة هذه النعرة إن كان لها من مساع؟! إن هذه العوى المريبة ليست إلا حيلة مكشوفة للبراءة من الإسلام ديناً وعقيدة وهوية حملت أصحابها على أن يمحو من تاريخ تونس أربعة عشر قرناً ليصلوا حبالها بأرماس وأجداث وصخور وأحجار لأنهم لا يتشرفون بالإسلام هوية ونسباً وحضارة فجحدوه واستيقنته أنفسهم ظلماً وعلواً.

لينبش دعاة الوثنية حفائر التاريخ ومقابره ما شاء لهم أن ينبشوا حتى تحفى أظفارهم وتدمى أناملهم وليمحصوا الصخور والجنادل وليطوفوا بالكهوف والمغاور. ليتمرغوا في الخرائب والمقابر وليقفوا على أطلال الوثنية ما احتملت أقدامهم الوقوف ولياجوا الرسوم الدوارس ما شاء لهم أن يفعلوا حتى تبح أصواتهم وتجرح حناجرهم فما هم ببالغين ـ مما في صدورهم من حرج على الإسلام ـ مثقال ذرة وهيهات هيهات أن يقدر أحد على أن ينفي نسب تونس الإسلامي العريق. فليتخذ دعاة الشعوبية الجديدة لأنفسهم ما شاءوا من نسب وثني فإنما يحشر المرء مع من أحب. وأما تونس وشعب تونس فهما يحملان النسب الإسلامي الشريف. ولن ترضى تونس ولا شعبها بغير الإسلام ديناً ولن تبغي تونس ولا شعب تونس عنه بديلاً ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ١٣٨]، وكأني بتونس وشعبها ولسان حالها يرد على هؤلاء الشعوبيين الوثنيين الجدد قائلا:

أبي الإسلام لا أبا لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

هذا ما كتبه أحد الكتاب الإسلاميين تحت عنوان الإسلام نسب تونس العريق رويناه لك بالتمام.

قلت يحق للكاتب الإسلامي أن يقول ويفصح عن جراح تونس في فترة حكم البورقيبية فقد جنى على الإسلام حين إصدار مجلد الأحوال الشخصية إذ كانت الرصاصة الأولى التي وجهها أبو رقيبة للشريعة الإسلامية المتمثل في الأمور التالية:

١ ـ إلغاء القضاء الشرعي باسم توحيد القضاء.
٢ ـ إلغاء التعليم بجامع الزيتونة.
٣ ـ حل الأوقاف الشرعية وتأميمها.
٤ ـ إلغاء فريضة الصيام في شهر رمضان المبارك.

٥ ـ تبديل أحكام الشرع في الميراث بتسوية الذكور والإناث على حد سواء فما أن شاع وذاع خبر الدساتير الوضعية حتى هب علماء الإسلام بالنكير والاستنكار وممن كتب وكاتب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الله بن حميد والشيخ عبد الله بن علي المطوع من الكويت والشيخ حسن مخلوف مفتي الديار المصرية والشيخ عبد الله الأنصاري من قطر والأستاذ عبد الكريم الخطيب والدكتور محمد أمين المصري من مكة المكرمة.

عدت من تونس بعد أن سدت جميع المنافذ لمسالك الدعوة والدعاة لم أقف إلا على مدرسة كتاتيب للأطفال في بيت أشبه بالمهجور، وحذرني من قصدته في تونس إبداء أي علاقة بيني وبينه حيث كان متعاقداً مع رئاسة البحوث العلمية بصفة سرية، هكذا جنى أبناء تونس بالجلد واللسان عن الإسلام حيث يقول بورقيبة أن مستقبله مرتبط بالمستقبل الغربي، عموماً ومتضامن مع مستقبل فرنسا خصوصاً وهكذا تدور الأيام ويبدل الله الحال من حال إلى خال.

الدولة السادسة - الصومال

الجمهورية الصومالية الديمقراطية وعاصمتها مقديشو تتألف من قطرين ملتحمين، المحمية البريطانية مقديشو، والمحمية الإيطالية هرجيسا وفي سنة ١٩٦٠م تم الاندماج بما يسمى جمهورية الصومال الديمقراطية، يقال وجه التسمية أنها أرض ذو مال ثم تطورت مع الأيام فكان الصومال، وتقع في القرن الأفريقي يحدها خليج عدن شمالاً والمحيط الهندي من الجنوب الشرقي والبحر الأحمر من الغرب وتقع ارتريا وأثيوبيا غرب الصومال، وقد رحل جمع من أصحاب رسول الله ﷺ في هجرتهم الأولى إلى تلك البلاد وكان منهم عقيل بن أبي طالب وقد أمر المقوقس مالك الحبشة أن يسمح لهم بالعيش وأعطاهم العهد بالأمن والسلام ثم جاء العرب فاتحين في القرن السابع الميلادي وفي القرن الثالث عشر تمكن سلطان زيلع من بسط نفوذه على خليج عدن وهرر حتى صارت في القرن السادس عشر عاصمة الإمبراطورية عربية إسلامية، أشهر حكامها الإمام أحمد بن إبراهيم الملقب بالغازي وفي عام ١٥٤١م تعاونت القوات البرتغالية والأحباش وتمكنوا من هزيمة الإمام أحمد وقبل انتهاء القرن السادس عشر كانت قبائل عربية أخرى هاجرت إلى زيلع وكانت تسمى دير وعيسى وقبائل إسحاق وقد وصلت الصومال من الشمال وفي عهد الاستكشاف الذي ازداد في القرن السابع عشر الميلاد دخل الصومال إنجليزيان يعملان في الجيش البريطاني المحتل الهند ثم تتابعت حملات الاستكشاف من إيطاليا ثم من فرنسا وتم مسح المنطقة الشمالية الشرقية للبلاد.

ومنذ سنة ١٩٠٠م حتى ١٩٢٠م قام العالم المسلم محمد بن عبد الله حسن من قبيلة (أغادين) بإعلان الحرب ضد الإنجليز طوال عشرين عاماً متصلة وخلال هذه الحرب تعاون البريطانيون والفرنسيون على محاربة محمد

بن عبد الله حسن واتفقوا على توقيع معاهدة اقتسموا بموجبها الصومال سنة ١٩٠٦م ولم تهدأ الحال ففي سنة ١٩٢٢م قامت ثورة ضد الإنجليز وقتلوا حاكم المنطقة عندما طلب الناس بدفع الضرائب وقام اتحاد الصومال بقيام الجمهورية الموحدة تحت إشراف الدولة الإيطالية سنة ١٩٦٠م.

ويتألف النظام الجمهوري من رئيس الجمهورية الذي ينتخب من الجمعية الوطنية التي يختار أعضائها بالانتخاب المباشر وقد آختير آدن عبد الله عثمان أول رئيس للجمهورية ١٩٦٠م ـ ١٩٦٧م خلفه الدكتور عبدالرشيد وقد أغتيل عبدالرشيد سنة ١٩٦٩م، حصل انقلاب بقيادة اللواء زياد بري وحل الأحزاب السياسية وألغى المحكمة الدستورية العليا واعتقل رئيس الوزراء محمد إبراهيم وغير اسم البلاد من جمهورية الصومال إلى جمهورية الصومال الديمقراطية، وقد واجهت حكومة زياد بري مشاكل اقتصادية وسياسية ومشاكل لغوية تتعلق بكيفية تطوير لغة البلاد وتسهيل كتابتها وأخيراً أعلن زياد بري أن بلاده صارت دولة اشتراكية ماركسية لينينية، هذه لمحة إجمالية عن تاريخ الصومال في القديم والحديث ولقد وقعت حكومة زياد بري بين فكي الأسد بين روسيا والصين إلا أنه إلى الروس أقرب، كان التبادل بين موسكو ومقديشو بإرسال السلاح إلى الصومال مقابل ما تصدره الصومال من الثروات الحيوانية والنباتية حتى غلت المعيشة وتأزمت الحياة في الصومال.

وعن الصومال قل ما شئت عن عزمه وأصاله وحب للخير والدين، لم أر في سفري هذا أجمل ولا أحسن من محادثة الرجل المسلم الصومالي الرجال البسيط البدوي الصريح الذي يعتز بدينه ووطنيته وقومه، مكثت بها ثمانية أيام كانت هي ثمان ساعات في فندق جوبا انطلق كل صباح لتشرق الشمس وأنا على الساحل البحري وتغرب وأنا على ثلة مشرفة وربوة ذات قرار مسجد التضامن الإسلامي الذي يعتبر من أروع المساجد وأجملها في شرق أفريقيا لم أشعر بحواجز دون التحدث عن كل ما أريد رغم ما قيل

من شدة المباحث ومتابعة الأجانب ومع أي طبقة من الناس، ولعله لا يكون سراً حينما وقعت عيني على رجل طويل القامة أشبه ملامح بعرب البادية إذ أقبلت إليه وسألني من أي بلد أنت فقلت من السعودية فقام لقبل يدي فتبادلنا التقبيل وقال أنا من الجبهة لقد رأينا كيف أذل الله الأحباش الذين كانوا يتكبرون علينا رأيتهم يقبلون قدمي هاتين وقال نحن نحكم لا لشيء ولكن من أجل عقيدة التوحيد وتشعب الحديث معه.

ونموذج آخر التقي بشاب أعمى يمشي على الأرض هوناً فأظنه من طلاب العلم ودارس القرآن الكريم فافتح معه الحديث فإذا هو مطرب فنان يعزف أنواع الموسيقى ويعرفني باسمه فادعوه مرة شيخ فقال لا أنت شيخ أنا شيطان برشاقة نطق وحسن أدب. أسررت في أذنه هل تشرب الخمر فقال لا ول الدخان ولكن الجنس الثاني من البشر هو الذي أتعبني، هل تريد تصديق ذلك فأخذ بيدي أقوده في الشارع العام. فقل أن تمر فتاة ذات منظر وجمال إلا وسلمت عليه وتلطف لها بكلام باللغة الصومالية فقلت كفاني فأنت مطرب الشباب وخادعهن، من كلامي هذا وقال ولكني أصلي ما لم يضق الوقت وتلم بي فتنة الطرب ونشوة الغرام.

أعود إلى نوع آخر من الحديث: الصومال شعب مسلم له أصالته في الإسلام فقد دافع عن عقيدته الإسلامية قديماً ضد المستعمرين الغزاة الذين أعلنوا الحرب على الإسلام وأهله وكانت لهم المواقف المشهورة في سبيل الزود عن حياض دينهم وتحمل أعباء الدعوة إلى أرجاء القارة الأفريقية لاسيما شرق أفريقيا مثل كينيا ويوغندا وتنزانيا بل وأثيوبيا بقيادة القائد الصومالي الإمام أحمد حبري الأشول، هذا الشعب تحمل مسئولية الدفاع عن الإسلام في الماضي، يتصدى اليوم لمحاربة الإلحاد ويقاوم التيارات الجارفة التي يتزعمها الروس وأعوانهم وهو واثق بالله ثم بنفسه بأنه يهزم الباطل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وحتى لا يطول الحديث فيمكن أن اختصر بهذا وكفى إلا أنني لا أنسى الدور الإيجابي الذي تقوم به مملكتنا الرشيدة في مناصرة البلد العزيز المناضل ضد الإلحاد والشيوعية الحمراء مما جعل حب السعودية لهجة ذاكر ودين يدين به الشعب الصومالي الحبيب.

والله ولي التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

زيارة لهرجيسا:

الشطر الثاني للصومال في الشمال من مقديشو العاصمة وقد زال عنها نير الاستعمار الإيطالي كجارتها جيبوتي التي أخذت استقلالها من فرنسا ومثلها مقديشو كانت تحت وطأة الإنجليز لله در أبناء أوروبا كيف اصطلحوا على القسمة فيما بينهم وإن ربحت إنجلترا البحر على موانئ مقديشو بصيد الأسماك وفرنسا على مراسي السفن في جيبوتي العالمي فإن هرجيسا فاقت الاثنتين بجوها اللطيف وترتبتها الخضراء ورونق جمالها الطبيعي مما يجعل الأوروبي يستمتع بخيرات البلاد وجوها الممتع ومنتجاتها النباتية والحيوانية وهدوء الحال والبال، بعد جولتي في جيبوتي رغبت زيارة هرجيسا بنو إسحاق لأعدل كفتي الزيارة بين الشمال والجنوب مقديشو وهرجيسا فكان ذلك بطائرة، كنت أحسب أنها محلية الصنع (تاكوتا) تسع لتسعة ركاب مع الطاقم فتاة من الحبشة تغري الناظر لها وتفتن المستشرف ولو بشد الزنار وملامح السماحة والملاحة، أمضينا قرابة الساعة في الجو ما بين جيبوتي وهرجيسا استغرقت شرب العصير مناولة الحبشية المضيفة ولولا الحياء لزدت في وصفها، نزلنا المطار وفي دقائق كان الإجراء السريع لعدد الركاب التسعة من غير تأشيرة الدخول (الفيزا) ومن لباسي العربي يعرف بأنني سعودي، وماذا في هرجيسا للسعوديين غير الدين وصلة الرحم الإيمانية، حادثني بعضهم وقال هل تريد جماعتك فقلت لا أعرف أحداً هنا، أنا أرغب فندقاً نظيفاً فقال كلب هوتيل (فندق النادي) فقلت لا رقص فيه ولا دنس فقال ذاك أيام الإيطاليين فكان كذلك، نزلت الفندق وهو طرف المدينة بعيد

عن الأسـواق ولا أسواق إذ لا بضائع تعرض شأنها شأن الدول الاشتراكية مثل جارتها عدن فقد اسـتراح الشـعب من الكماليـات ومنتجات الغرب غير القوت الضروري.. الشـعب جائع ولا شيء غير منتجات البلد، إنها الاشتراكية في في الأحزان غير الحزب الحاكم المترف على حساب السواد من المواطنين فيا لها حياة تعسة إلا أنهم يفرحون بالقوم ويرضون بالمحكوم سنة الفقير المعوز فقد أراح واستراح بكد العيش وطلبه (والقناعة كنز لا ينفد)، جلست في مقهى وطلبت الشاي وليس غيري في المقهى فجاء بكأس واحد فشـربته فطلبت آخر فقال لا ليس لك غير ما قدمت لك، فقلت مداعباً له سأذهب وأعود لاستحق كأساً آخر فقال عرفتك ولكن يمكنك أن تتجه إلى مقهى بعيد آخر لا يعرف أنك شـربت هنا فتطلب كأساً غير ما شربت هنا وعلى هذا قس بقية الأطعمة فليس لك أن تطلب ما تريد ولو كان متواجداً في العرض، هكذا الصورة المذهلة للدول الاشـتراكية والتي اغتر بها عدد مـن الدول العربية وفي مقدمتها مصر، أفقرت الغني ولم تربح الفقير حين أممت المصانع والشـركات وحجزت رؤوس الأموال ليبقى الحزب الحاكم ما بقي الدهر ولكنها انفرجت بسـقوط الدب السوفيتي الروسي المروج للمبدأ الشـيوعي، تجربة فاشلة للدول الاشـتراكية العربية إلا أنها أنشودة السياسة ورمز التقدم كرد فعل للاستعمار الأوروبي الغابر والذي امتص البلاد العربية بعد الخلافة العثمانية وهكذا أمواج السياسـة تفعل الأفاعيل والاقتصاد هو عامل الخلاف والانشقاق ولا شيء غير المال الصنم الذي هوى لتعود الأمة الإسلامية إلى دينها ومقومات حياتها الإنسانية الحقة، سكنت فندق النادي (كلـب هوتيل) الاختيار الأول للسـكن وليس غير الهـواء الطلق والنظرة الخضراء للأرض والأشجار مما جعل وحي الشعر يوحي بأطيافه لأقول:

هرجيسا أم باريس عندي سواء ... انظر رباها كلها خضراء
إلا السماحة والملاحة والندي ... كم من عظيم أنجبت سوداء
يا حام مالك في السواد خطيئة ... الأب آدم أمنا حواء
هذا العليل تشابهت أنفاسه ... الأرض خضراء والسماء زرقاء
اثنوا على قمر لبهجة بدره ... ونسوا حرارة في السماء ذكاء
والله قد جعل الفوارق آية ... برهان رب الكون جل ثناء
غسق الدجى ستر الورى مما يرى ... لو كان كل نهارنا وضاء
أين السكينة أين ملتذ الكرى ... إن السواد أو البياض عطاء
في فندق النادي تنادين المها ... ها السعودي وكلهن غباء
ودعت كل مليحة أسلوا بها ... حل حلال ما بهن وباء
واليوم عقلي باسق نحو السهى ... متفكر في الكون كيف أشاء
بالروح والعقل السليم إذا هما ... ركبن في جسد فلا إغواء
البحر يصفق موجه فكأنا ... تصفيقة لي يا ترى ونداء
إذ كان بحر قصائدي متهيجاً ... فتعانقا وترادفت أسماء
فإذا نطقت بحكمة قال الورى ... هل مثل هذا تنطق الحكماء
ما عشت في فلك الهوى إلا كما ... ذر على جرح المريض شفاء
ضدان في شرك الحياة كلاهما ... من كسب هذا العبد وهو قضاء
الخير والشر الذي من كسبنا ... والفعل فعل الله وهو رضاء

وبعدها أردت استبدال هذا الفندق بآخر تجربة وسط المدينة لأنزل على مستوى العامة ولأنظر ماذا يعملون فكان ما كان على ما كان الهدوء ولطف التعامل كما في الفندق الأول غير أني كسبت الصلاة في المساجد ومحادثة الكثير من الناس فلم تبلغ الاشتراكية عندهم مبلغها في (عدن) في تحريم محادثة الغير والانفتاح على الخارج غير أن الاشتراكية في هرجيسا بعيدة عن مشاكل الأحداث حتى بعد الانقلاب على زياد بري فالمعارك تدور في العاصمة مقديشو ولا زالت الاضطرابات تتنافس على كراسي الحكم

والكل باسم الإسلام وللإسلام إنها الفتنة النائمة لعلن الله موقظها خسرت المملكة الصومال بعد أن كانت مظنة لانطلاق التضامن الإسلامي وخسرت الصومال السعودية حين كانت في أحضان الروس بدعوى الاشتراكية، لقد حدث إذ أعدم زياد بري عشرة من العلماء الصوماليين وانتشر إعلامياً خبر هذا الحدث ونشر في مجلة رابطة العالم الإسلامي وزودت الرابطة الملك فيصل بنسخة من المجلة، وقد جاء وفد من الصومال للاعتذار عما حصل وأجل الفيصل مقابلة الوفد، لكن بعد مقابلة أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد الحركان مع رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء الشيخ إبراهيم محمد آل الشيخ واستجواب الوفد عما حصل إعلاماً من الملك فيصل بمنزلة العلماء فكان اللقاء واعتذر الوفد الصومالي بأنهم شباب وليسوا من العلماء وأن الدافع لإعدامهم استقرار الأمن وحماية الحكومة من الانتفاضات الشبابية، علمت بهذا الخبر مباشرة من سماحة رئيسنا الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ ـ رحمه الله ـ.

(٧) الدولة السابعة - جيبوتي

شاء الله العزيز أنه في ليلة الثاني من شهر الله الحرام ١٣٩٨هـ أن تهبط بنا طائرة البوينج الفرنسية في مطار جيبوتي من جدة وفي فندق بالاس كان مهجعي ومقر سكناي الذي أثقل كاهلي بالتعب وأقض مضجعي بصراخ السكارى لا سامحهم الله، وبعد هجعة من الليل وأخذ غفوة يسيرة من النوم أسفر الصبح من اشراقة وضاءة وثغر باسم فتان كان أول ما وقع عليه نظري هو ذلك المبنى الجميل المتناسق وعليه الناس زرافات ووحدانا وأي الناس هؤلاء إنهم أبناء الفرنسيين وبناتهم يهرعون إلى المدرسة، هذه البناية الضخمة الجميلة وأحدقت نظري وأكرر لعلي أنظر إلى أفريقي يتجه إلى هذه المدرسة مع بني الإنسان هؤلاء، فلا أرى أحداً ومن تلك النظرة وقع في ذهني شؤم الاستعمار واستبداده وظلمه، وبعد سؤال الناس أجابوا أن هذه هي المدرسة الوحيدة في جيبوتي التي تدرس مرحلتي الإعدادية والثانوية خصيصة لأبناء الفرنسيين وبناتهم، فخذها وأنت ابن الأكوع.

عدت استرجع وأحوقل ريثما يأتي أصحابنا لنأخذ معهم في مزيد من المعلومات عن جمهورية جيبوتي البلد المسلم الذي مضى عليه في إسلاميته وهدايته قرون متتالية، فلم البث حتى طرق علي الباب الصاحب المنتظر وجرى استفساره عن كثير وفيما يلي بعض من ذلك:

١ ـ الموقع: جمهورية جيبوتي جمهورية عربية ديمقراطية حديثة الاستقلال وتقع على البحر الأحمر بين أثيوبيا وعدن والصومال عند باب المندب ولها أهمية إستراتيجية كبيرة لوقوعها عند باب المندب، ولهذا ظل الاستعمار يحكمها أكثر من مائة عام، وتبلغ مساحتها (٢٣,٠٠٠) كم٢.

٢ ـ السكان: ويتكون سكانها من قبيلتين رئيسيتين هما عفر وعيسى وقليل من العرب، يبلغ تعداد سكانها مائتي ألف إلى مائتين وخمسين

ألف بالتقريب، وكلهم مسلمون وهاتان القبيلتان هما الحاكمتان في البلد، فرئيس الجمهورية من عيسى ورئيس الوزراء من عفر، ولا يزال بينهما خلاف على المناصب والنفوذ.

٣ ـ الحاصلات: تفتقر جمهورية جيبوتي إلى الواردات الخارجية وليس لديها أي اكتفاء ذاتي لعدم الحاصلات على الإطلاق، وأهم وارداتها هي رسوم الجمارك، إذ يعد ميناء جيبوتي من أكبر الموانئ العالمية، فقد حدثني مسئول أنه يمكن أن ترسى على ميناء جيبوتي اثني عشرة باخرة وتنزل شاحناتها في خلال ست ساعات فقط.

٤ ـ السياسة: جمهورية ديمقراطية حرة حيادية تسير في خط الدول العربية وهي عضو في الجامعة، تتكون الحكومة من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء والمجلس التشريعي أو البرلمان، وتهدف إلى استتباب الأمن والرخاء وحسن العلاقة مع الدول المجاورة، إلا أنه يخالجها الشك والريب من الحبشة والصومال وخاصة أن قبيلة عيسى من أصل صومالي، وقبيلة عفر من اريتريا والحبشة، ولا تزال الحكومة تعاني نقصاً في مقومات الحكم والضروريات للحياة البشرية الملحة.

٥ ـ التعليم: سار التعليم في جيبوتي على نهج فرنسي، ولقلة قليلة من الناس، وتبلغ نسبة المتعلمين ٥٪ وأعلى مستوى هو الثانوي، ويوجد مدارس وكتاتيب عربية تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي، ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة قد صممت على جعل اللغة العربية مادة أساسية في التعليم في المراحل الثلاثة في السنة الدراسية القادمة.

٦ ـ المذاهب والأحزاب: لا يوجد في جمهورية جيبوتي أية مذاهب وطوائف دينية وكلهم مسلمون مائة في المائة وعلى المذهب الشافعي، وتوجد خلافات جانبية بين بعض العلماء سيما بن الدارسين في الأزهر وبين خريجي الجامعة الإسلامية، أما الأحزاب السياسية فكان الاستعمار قد أوجد ثلاثة أحزاب هي حزب الشعب الحاكم، وحزب جبهة التحرير،

والحزب الشيوعي، إلا أن الحزبين الأخيرين قد تلاشت وبخاصة الحزب الشيوعي الروسي فقد حورب وانتهى دوره.

٧ ـ الصحافة والإعلام: تبث أجهزة الإعلام في جمهورية جيبوتي بواسطة الإذاعة والتلفاز بأربع لغات، العربية والفرنسية والعفرية والعيسوية. لكل لغة ساعتين، أما الصحف فلا يوجد سوى صحية فرنسية هزيلة ويحتمل أن ينتهي دورها بانتهاء الاستعمار.

٨ ـ الجمعيات والهيئات الإسلامية: ظهر في جيبوتي أسماء ثلاث جمعيات دينية هي جمعية الإرشاد وجمعية الإنقاذ وجمعية باب الهداية، فالأولى تهدف إلى احتضان العمل الإسلامي وتضم عناصر خيرة من مختلف الطبقات وكان يرأسها وزير الدفاع حالياً إلا أنه اعتذر لكثرة أعماله والتزاماته وأصبح يرأسها الشيخ محمد عثمان سليمان، وهي خير جمعية يستعان بها في العمل الإسلامي.

أما جمعية الإنقاذ فهي قد ولدت وماتت في مهدها وكانت تهدف إلى رد ما يقوله الدعاة وبخاصة في مجال التوحيد والعقيدة السلفية وقد دخل بعض أعضائها في جمعية الإرشاد بهدف طيب ونية صالحة. أما جمعية باب الهداية فهي جمعية لتقيم مسجداً جامعاً كبيراً ليكون منطلقاً للدعوة السلفية باسم مسجد أنصار السنة المحمدية وقد أعطتهم الحكومة أرضاً مساحتها ألفين وأربعة وتسعين متراً مربعاً، ولكنهم لم يستطيعوا النهوض بهذه المهمة لعدم الإمكانيات، فقد قدروا تكاليف المسجد بمائتي مليون فرنك جيبوتي أي ما يعادل أربعة ملايين ريال سعودي، وما تزال الأرض باسم هذه الجمعية.

أما الهيئات الإسلامية فلا يوجد سوى فضيلة القاضي الشيخ السيد علي بن أبي بكر السقاف الذي يعتبر مرجعاً للمسلمين في المشورة والنصيحة ومساندة كل مشروع خيري مضى عليه في القضاء أكثر من ثلاثين سنة.

٩ ـ المساجد: تبلغ مساجد مدينة جيبوتي العاصمة ثمانية عشر مسجداً، منها اثني عشر مسجد تقام فيه صلاة الجمعة وأغلبها في حالة جيدة من البناء والنظافة إلا أنها تقوم برعاية المسلمين وتبرعاتهم عدى الكهرباء والماء فعلى الحكومة، وتفتقر المساجد في جيبوتي إلى رعاية خاصة سيما في الفرش والمصاحف ومساعدة الأئمة والمؤذنين وما يلزم لذلك.

١٠ ـ المدارس الدينية: لا تختلف جمهورية جيبوتي عن بقية جاراتها من الدول الأفريقية بحب الدراسة العربية والدين الإسلامي مما يجعلهم ينشئون الكتاتيب والمدارس العربية بمجهودهم الفردي ويوجد في جيبوتي عدد كبير من المدارس الأهلية وفي مقدمتها:

أ ـ مدرسة النجاح الإسلامية والتي تأسست عام ١٣٥١هـ علي مستوى الابتدائية وفيما يقال إنها أكبر وأول مدرسة من حيث المنهج والتنظيم كما إنها في بناية خاصة وعليها بعض الأوقاف الا إنها لا تكفي لحاجة المدرسة ومدرسيها وعدد مدرسيها (٦) ويزيد عدد طلابها علي (٣٠٠) طالب وهي جديرة بالمساعدة والتشجيع.

ب ـ مدرسة الفوز الإسلامية ـ وهي مدرسة عربية دينية وهي قديمة التأسيس منذ (٢٨) سنة إلا أنها تحت سقف الابلاكاش والأخشاب والزنك وهي تؤدى رسالتها حسب القدرة وفي مظهرها تعتبر لا شئ من حيث البناء والمناهج الدراسية والمدرسين مع هذا قد تكون هي المدرسة الثانية في جيبوتي بعد مدرسة النجاح السابقة الذكر.

ج ـ مدرسة الإنقاذ الإسلامية: أسست عام ١٩٧٣م لتعليم الدين واللغة العربية وعليها بعض الملاحظات من جهة القائمين عليها إلا أنها لا تختلف عن بقية المدارس العربية في حاجتها إلي الدعم المادي والمعنوي والتوجيه والإشراف.

د ـ مدرسة الفلاح التابعة لمسجد توبة ـ بإدارة وإشراف الشيخ عبدالله عبد القادر الجيلاني وتضم (٣٠) طالبا ويسعي المذكور علي بنائها وتطويرها

ويذكر انه سبق معاملة له في إدارات البحوث العلمية ويقوم بجانبه ابنه يساعده في التعليم والتدريس.

هـ ـ مدرسة الهدى الإسلامية ـ في دخل علي بعد ١٢٠ كم من جيبوتي لم تتمكن من زيارة المدرسة المذكورة لوجود حظر عسكري لأسباب حوادث داخلية وقد اتصلنا بمنشئها ورئيسها وزير الدفاع وذكر لنا احتياجات المدرسة وأهمها المدرس والكتاب وزيادة فصول المدرسة وفيما توفر لدينا من المعلومات عن هذه المدرسة أنها تعتبر من اكبر المدارس وأقدمها في مديريات جيبوتي في خارج العاصمة.

و ـ مدرسة الهدى في ارجيه ـ يقوم عليها الشيخ محمد علي عمر وهي مدرسة سلفية وتستحق التشجيع وخاصة في الكتاب ولها معاملة لدى الرئاسة وارى التعاقد مع المذكور بمكافأة شهرية ضمن الدعاة المحليين.

ز ـ وعلي العموم فقل من أن تخلو حارة أو قرية من وجود كتاتيب لتعليم أبناء المسلمين اللغة العربية ومبادئ القراءة والكتابة بالألواح والمشافهة يصعب حصرها وتعدادها.

١١ ـ التبشير والنشاط الكنائيسى: لا يكاد يسمع لوجود مبشر للنصرانية رغم وجود كنيستان إحداهما قمة في الروعة والجمال الهندسي يوجد بعض المدارس الخاصة لتعليم اللغة الفرنسية؟؟؟ من أصحابها التعصب المسيحي وقد يخصص يوم الأحد مادة للتبشير ولكن لا يوجد تجاوب ولا اثر لها في المجتمع والذي أثره الاستعمار الغربي هو فسح المجال للتدهور الخلقي وإتاحة أسبابه للناشئة.

١٢ ـ الدعاة: لعل من أسباب بقاء هذا الدين وخلوده في جيبوتي هو الروابط التاريخية والجغرافية بينهم وبين العرب وقد وفد عدد من العلماء الحضارمة واخذوا بالقيادة الدينية في البلد في القضاء والإمامة والوظائف الدينية حتى أصبحت مصدر استرزاق لكثير من العلماء العرب الوافدين إلا أن أول بعثة تقوم بالدعوة من دون استجداء ولا سؤال للناس هي بعثة

رئاسة إدارات البحوث العلمية والتي بدأت من عام ١٣٩٢هـ اخذوا علي عواتقهم الدعوة إلي الله وإرشاد الناس إلي الصراط السوي ونرجو لهم مستقبلا حسنا وطالع سعد ويمن إن شاء الله. ولا يوجد في جابوتي أي بعثة خارجية سواهم سواء في مجال الدعوة والتدريس.

١٣ ـ الوصف العام لجيبوتي: وبعد هذه الأرقام الأثني عشر يمكن القول بان جابوتي بلد بكر وعلى الفطرة والشعب الجيبوتي خام صالح لكل توجيه ومقبل علي الدين واللغة العربية وكأنه الذي فاق من سبات نومه وأصبح يشعر بالتخلف عن ركب الحضارة ولكنه يعيش منفردا ووحيدا علي مفترق الطرق وفي الختام نرجو الله العلى القدير أن يأخذ بنواصينا وكافة المسلمين لما فيه صالح الدنيا والدين والله الموفق. آمين.

(٨) الدولة الثامنة - تنزانيا

جولة في تنزانيا أو تنجانيقا وزنجبار:

لاح لي بدر الطالع ويمن الطائر عندما عن لي السفر إلى دار السلام عاصمة تنزانيا رغم ما كان عالقاً في ذهني من حروب زنجبار مع تنجانيقا، والحملة التي قامت به تنزانيا على أوغندا ضد الإسلام والمسلمين رغم كل ذلك فإني متفائل كل التفاؤل ولي أمل وطيد في نجاح المهمة، فكان ذلك ولله الحمد.

وصلت إلى دار السلام ولم يكن معي تأشيرة دخول واثقاً بحسن الطالع ويمن الطائر، وفي الحال ختم جوازي وسلم لي من غير معاكسة ولا تأخير سوى دفع عشرين دولار، أتطلع إلى تاكسي فإذا بجانبي رجل خفيف الظل ساكن الحركة وهو يقول بصوت منخفض تاكسي، صرفت وجهي عنه كعادتنا مع أرباب التكاسي في عدم المبادرة للتجاوب معهم حتى لا نكون ضحية الأول في الغلاء، فتركني وانصرف أترقب من يأت إلى غيره فلم يأت أحد من أصحاب التكاسي أشير إليه لأطلبه بدلاً من أن يطلب هو واعتذر إليه أنني كنت في انتظار صديقي ومعه السيارة ولكن تأخر فلنذهب إلى دار السلام فكم أجرتك حدد أجرة وطلبت منه التخفيض فأبى وانصرف، فاستدعته ثانية وقلت له بسم الله وركبت معه وسألت عن اسمه فإذا هو غير مسلم، توجه بي إلى فندق ممتاز من الدرجة الأولى يدعى (كليستجارو هوتيل) وأنزلني وانصرف على أمل أن أجد غرفة بلا شك لكبر الفندق وقلة السياح والمسافرين، وبعد محاولة مع الفندق رفض أن يعطي لي غرفة ما لم أكن قد حجزت مسبقاً، ولم أظن الأمر يحتاج إلى جدل وإلى أخذ وعطاء، ودعت حقيبتي عندهم وانصرفت لأبحث عن الفندق، أسير على جنبتي الطريق وأتعرف على الوجوه فلعلي أجد مسلماً يرشدني إلى أقرب

مسجد لألتقي بالمسلمين، سألت رجلاً توسمت على جبينه أثر السجود عن الجامع الكبير (المسجد المركزي) فأخذ بيدي مسرعاً ومضى إلى دكان رجل عربي من حضرموت عرفته بعد ذلك الشيخ أحمد با عبود، ثم انصرف من غير استشراق ولا طلب عطاء مقابل دلالته، الشيخ أحمد باعبود عربي من حضرموت سكن البلاد كابراً عن كابر وهو من التجار يولي اهتمامه بالجامع الكبير ويقوم بالآذان فيه رحب وزاد في الترحيب وسألني أين سكنت فقلت لم أسكن ولكنني ساكن القلب والضمير، أخبرته بما جرى في الفندق فقال هذه الفنادق تابعة للحكومة والقائم عليها يتعاطون الرشوة والضمائر قد فقدت، اتصل فوراً بالأخ المعني بتسهيل مهمتي في تنزانيا وفور وصول الأخ ومعه مسئول في الحكومة اتجهنا إلى الفندق وملئت البطاقة واستلمنا مفتاح الغرفة بلا أخذ وعطاء، وقلت سبحان الله الظلم هو مولد الظلم والضمائر استبد بها حب المال، أعود إلى صلب الموضوع فأقول:

سير الرحلة وبرنامج العمل:

المنطلق دار السلام وتمركز المسلمين في المدن الساحلية وفي جزيرتي زنجبار وبمبا، لذا كان الاتجاه بعد دار السلام إلى مدينتي وانزا وباكوبا الواقعتين على بحيرة فيكتوريا مما يلي كينيا ويوغندا شمال تنزانيا ثم زيارة زنجبار، أما دار السلام فقد كانت ولا تزال عاصمة تنزانيا ومحور الأعمال كأي عاصمة يلتقي فيها شتى الأنواع ومختلف الأجناس، وظللت في فندق كليغنجارو فلا أرى إلا الغرب وحده بصورته الذاتية والمعنوية، فانطلق إلى الأسواق فأرى شعباً مسلماً هادئ الطبع متحللاً عن كل قيود التعصب والانتماء، المساجد عامرة بمختلف المذاهب الإسلامية الشافعية والإثنا عشرية، دور التعبد للبهرة والأغاخانية والكنائس شاهقة تعطي روعة البناء وقوة الدولة المعمرة في الأماكن الاستراتيجية من البلد كعادة النصارى تكون كنائسهم في مداخل المدينة وعلى الشوارع الرئيسية، أرى شعباً ذليلاً فلا أرى لذلك سراً إلا الاستعمار الذي خيم عليه حقبة من الزمن واستعبد الأبيض والأسود

من البشر وزاد الطين بله بقيام الثورة اليسارية والتي طبقت نظام الاشتراكية كتأمين جميع المصانع والشركات والمتاجر والدكاكين عدى نذر يسير، أتجول في الأسواق فلا أرى بضاعة تعرض ومشتر يطلب فكأن الهدف من ذلك هو تسوية الحركة الفردية والنشاط الفردي لتكون الأيدي عاملة للحزب الحاكم والإدراك النظام الشيوعي ما للدين من نفوذ في نفوس البشر وما للكنيسة من سلطة وإدارة في البلاد فقد سالمت أماكن العبادة وأذنت لكل من شاء أن يتعبد على طريقته وملته، ولذا فإن الكنيسة تعمل جهدها لمسالمتها للشيوعية وترى في النظام القائم أنه نظام اقتصادي لا علاقة له بالدين أو الطقوس التعبدية وهذا صحيح بالنسبة للنصارى، أما المسلمون فلا تزال الأضواء الشيوعية تسلط عليهم كاشفاتها من خلال تحركاتهم الدينية في التعبد وفي طلب التشريع الإسلامي والنظام الإسلامي والحقوق وجميع الأحكام التشريعية من هنا فالأعداء كامن للإسلام وأهله ولا مسالمة مع الشيوعية أو الوثنية النصرانية.

حاولت التعرف على من يزودني بالمعلومات أكثر فلا أرى إلا من يجهل الماضي ولا يفكر في المستقبل، وأهم شيء عندهم هو قوت يوم وليلة، اجتمعت ببعض المسئولن فكانت الإجابة على كل سؤال هو أن المال حجر أو عثرة في الطريق.

أشير إلى جولتي في دار السلام لاستطلاع آراء حول مستقبل الإسلام بوجود تحريك النسبي بتمييز في التعليم والتنظيم والتحركات الطلابية وأهمهما ما يلي:

١/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في تنزانيا: يهتم بالتعليم في المراحل الثانوية والإعدادية ويعني بتطبيق المنهج الحكومي مع إدخال المواد العربية الإسلامية في المنهج فتكون ثقافتهم دينية وعصرية وهذا المجلس رسمي من حيث التشكيل والإدارة والتبعية للدولة وموارد الإنفاق الأوقاف وتبرعات المحسنين وأعمال تجارية، يرأس هذا المجلس الشيخ محمد علي

خريج كليـة الحقوق، حدثني فضيلته بأن المدارس التابعة للمجلس الأعلى أربع مدارس ثانويـة يمونها المجلس بالمعلمين والتب ورئيس المجلس يتطلع إلى مد يد العون والمسـاعدة من الدول الإسـلامية والعربية ليقوم المجلس بمهمته وينشط في أداء رسالته.

٢/ مركز الحرمين في دار السـلام: بدأ بفكرة إنشـاء هذا المركز مبعوث رئاسـة البحوث العلمية في تنزانيا الشيخ عباس مصطفى مقبول عمل على أن يكون هذا المركز لمراحل التعليم الثلاثة الابتدائية والإعدادية والثانوية فقد وجد تجاوباً مشـكوراً من ناب الرئيس عبود جيمبي وبقيت وزراء المسلمين وكلف مشـروع هذا المركز سـبعة ملايين شـلنج والعمل قائم في إنشائه على أن مركـز الحرمين للعمل حالياً في التعليـم والدعوة إلى الله ورابطاً لصلة الدينية بين مسـلمي تنزانيا والعالم الإسـلامي فقد عمل على توزيع منح دراسـية لطلاب تنزانيا بثلاثة مائة طالب يتعلمـون في الدول العربية والإسـلامية ويتخرج هذا العـام أربعون طالباً من جامعـات المملكة وقام بتوزيع الكتب الدراسـية والمصاحف التي كادت أن تكون أثراً بعد حين لا يكاد يذكر مصحف في المدينة الواحدة.

٣/ اتحاد الطلبة المسلمين في جامعة دار السلام: كان الترمكز في الجامعة للإسماعيلية الأغاخانية وأقاموا معبداً شاهقاً وبعد هجرتهم استولى الطلاب المسلمون على هذا المعبد وحولوه مسجداً وكونوا تنظيماً شبابياً أسموه باتحاد الطلبة المسـلمين ، تلقوا مسـاعدة مالية من المملكة العربية السعودية (٦٠ ألف دولار) حدد نشـاطهم وهم على ما أعلم أنشط حركة تنظيمية يرجى لهم مستقبل حسناً.

٤/ مدرسة جنيد الإسـلامة: مدرسة عربية قديمة يشرف عليها ويديرها فضيلة الشـيخ عبد القادر جنيد، التزم بإدارتها أدبياً لأنها من أعمال العرب الحضارمة السـادة وهي تقوم بتعليم أبناء المسـلمين القرآن الكريم ومبادئ وأصول الدين، اكتظوا بها عدد من الطلاب ولضيق المكان وقلة المساعدات

فهي لا تستوعب سوة مائتي طالب تقريباً وهي المدرسة العربية الوحيدة في دار السلام عدا الكتاتيب.

٥/ في الجامع الكبير: والذي تديره وتشرف عليه الجالية الحضرمية، إنها ليست جالية وإنما هي عربية تنزانية تعلمت اللغة العربية من السادة العرب في حضرموت وهذا الجامع الكبير قديم التأسيس في وسط المدينة ينبأ عن تمكن المسلمين وقدرتهم المادية آنذاك، ألقيت كلمة بعد صلاة الجمعة من غير الترجمة وقالوا أن غالب المصلين يفهمون العربية ولا حاجة للترجمان.

٦/ المدارس والكتاتيب: قل أن تجد مسجداً أو حياً إسلامياً إلا وفيه معلماً للقرآن الكريم إلا أن العائن لهم هو ندرة المصحف الشريف أو أجزاءه لل\الاب وقد انعدم المصحف من المساجد إلا ما في أيدي الأفراد، لأن الاستيراد ممنوع مهما كانت البضاعة وإخراج العملة الصعبة يختلف مع سياسة نظام الاشتراكي، ها هي دار السلام في صورتها الإسلامية ولا أعرف غير ذلك والله المستعان.

٧/ لقاء من مسئول كبر في الدولة: ألقى في حديثه نظرة على الأوضاع الدينية وقال إنما مشكلتنا وحاجة المسلمين الماسة إلى المساجد التي يؤدي فيها المسلم أعظم شعائر دينه وأشد من ذلك وجود الإمام المتعلم الذي يعرف أهم واجبات الصلاة، نحن لا نقدر على تغطية حاجة المسلمين في بناء المساجد وتعيين الأئمة، تحدث كثيراً عما يجب أن يكون عليه المسلمون وأبدى وأعاد في هذا الموضوع حتى ظننت أنه قصد استغلال الجلسة في كلامه ولا يريد أن يسمع مني شيئاً وأخيراً سكت هنيهة واستأذنت في الكلام ورداً على كلامه قلت إن الأمم لن ترقى بالمباني ومما هو معروف في التاريخ أن الدولة إذا هرمت وآن انصرافها عملت على رفع السقوف وكدت واجتهد في المباني والعمران وأغفلت جانب القوة المعنهوية وضربت له مثل بالدولة العثمانية ودولة الأندلس والصلاة لا شترط لها بناء المسجد فقد قال ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» المسلمون عندما يرون ارتفاع

الكنائس والمعابد الوثنية يريدون أن يجاوروا هؤلاء وهذا ما لا يجوز شرعاً أكرر رأيي بأن بناء الرجال بالعمل والثقافة هو أول ما نبدأ به وآخر ما ننتهي إليه، وقد أنا معك في هذا كله ولكن من يفهم هذا الكلام.

٨/ في حفل مع بعض الوزراء والمسئولين وجمع من الناس: كان من المتوقع أن يتحدث فيه حديثاً دينياً كعادة العلماء والوعاظ ولكني صرفت الحديث إلى إعطاء صورة تاريخية عن الجزيرة العربية ودور الملك عبدالعزيز في الإصلاح وأخيراً ما تقو به المملكة من جهود في خدمة الإسلام والدعوة إليه وكان حديثاً شيقاً امتد المجلس إلى أربع ساعات تخلله شرب القهوة والشاي وقد لمست في هذا المجلس العام التزمر في الوضع لعدم الرضا عن النظام الاشتراكي ولكنهم لا يعلمون بالنظم الاقتصادية الإسلامية، لذا كانوا ضحية التطبيق للنظام الماركسي الذي أفقر الغنمي واستعبد الضعيف وكانوا يتمنون عودة النظام الغربي مع ظلمه واستبداده.

أهم ما تركز عليه الحديث في هذه الجلسة العامة نشاط الدولة السعودية في خدمة الإسلام والمتمثل في الجهات التالية:

١/ رابطة العالم الإسلامي باختيار أعضاء من دول العالم الإسلامي يجتمعون في مكة المكرمة كل عام لتدارس شؤون المسلمين وخاصة الأقليات الإسلامية.

٢/ رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد القائمة لإرسال الدعاة والمبعوثين للعالم.

٣/ الجامعة الإسلامية القائمة استفاد الطلاب أكر من ٩٠ دولة إسلامية للعلم في كلياتها المختلفة ومعاهدها الدينية.

٤/ مؤتمر العالم الإسلامي والمعني بشؤون السياسة في العالم الخارجي للدول الإسلامية فمن كبريات مدن السعودية تنطلق الحركة لخدمة الإسلام في مكة والرياض والمدينة وجدة، والمملكة العربية السعودية ترى أن عليها رسالة تجاه المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تحملتها ونذرت في سبيل

تحقيقها ألا وهي تحرير العالم الإسلامي من التبعية للشرق والغرب الناجمة من مبادئ الصهيونية العالمية وتم اختتام الجلسة بالشكر والدعاء . . والله المستعان.

٢/ في مدينة موانزا وبعد خمسة أيام قضيتها في دار السلام نتوجه إلى المدينة الثانية (موانزا) وهي تقع على بحيرة فكتوريا على بعد ٩٥٠كلم شمالاً، أردت أن أتعرف على معالم الإسلام والمدارس العربية فليس إلا المساجد، المسلمون بها ثلاثمائة وخمسون ألفاً وبها أربع وعشرون مسجداً تقام الجمعة في ثلاثة منها وفي مركز المجلس الأعلى نلتقي بالشيخ محمد أمين المسئول عن المرز وحولناها الإجابة على بعض الأسئلة وتزويدنا بالمعلومات فما زاد على ذلك ذكر تعداد لمسلمين والمساجد وعن الطلبة الذين يدرسون عنده قال خمسين طالباً يتعلمون الدين واللغة العربية وقال زارنا وفد من رئاسة البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية قبل عاملين، يسر الله بناء الجامع الكبير على أيديهم ومساعدته، وفي المسجد جناح خاص للعلاج الطبي لفقراء المسلمين، وأخذت جولة في الأسواق فلا أرى إلا المعارض التي تبنى على وجود بضائع كانت فبانت بقية خاوية على أخشابها ورفوف البضائع الناس يهيجون يطلبون قوتهم اليومي بعرق الجبين الويل لمن لم يعمل من الجامعة ولكن الويل كل الويل لمن لم يجد عمل، ودعت مدينة (المونزا) حيث مكثنا بها يوماً واحداً إلى مدينة (باكوبا).

٣/ باكوبا وهي من كبريات المدن على بحيرة فكتوريا شمال العاصمة قال مرافقي أن هذه المدينة مسقط رأسي ولي أمل أن تحظى منك بنظرة أكثر حاولت اتخاذ سير برنامج العمل ولكنه لا مجال للتحريك، بها عشرون مسجداً وآخر بثنى عشرية (الشيعة) وآخر للإسماعيلية الأغاخانية لا مركزية للعمل الإسلامي سوى صلاة الجمعة والصلوات الخمس والأعياد، انتقل إلى ضاحية من ضواحي باكوبا لحضور حفل إقامة أحد أعيان القرية بمناسبة

إسلام واحد وتسعين ذكور أو إناث وتركون المسيحية وآمنوا برسالة الإسلام وقامت القرية بإعداد حفل كبير شـــهده عامة أهل القرية، لماذا أســـلموا لا لتخيير من ربقية الوثنية النصرانية إلى حرية الإســـلام ومن أجل أن يلتحموا مع بني وطنهم وجنسيتهم من المسلمين الذين لا يميزون بين عناصر الأجناس من البشر لأن الإسلام دين الفطرة ومنتهى الروعة في أداء العبادة.

تحـــدث الأخ المرافق لي بحديث طيب ووعدتهم بالمســـاعدة والدعم وتم توزيع مصاحف عليهم وسروا سروراً كبيراً غير أنني تحدثت وعاكست الآخر في حديثه وقلت أن الرجل يدخل الإســـلام لا طمع في مادة ولا في جاه ولا شـــرف ولكن ليعبد الله على بصيرة وعلى نور من الله والمدد والمساعدة والعطاء وكله من الله أليس للبشـــر أن يعطي ما منع الله وأن يمنع ما أعطى الله ونحن العرب لا يهمنا التكاثر عن دخول الإسلام وإنما الذي يهم هو أن نتجه كلنا إلى الله وحده ورابطة الإســـلام تحتم علينا التعاون فنحن العرب نحتاج إليكم في كثير من المهام في خدمة الإســـلام والدعوة إلى الله وأنتم وأي مســـلم آخر لا يستغنى عن مساعدة إخوانه عند النوازل ولا يصح أبداً أن تترقبوا يداً عربية تســـاعدكم بالمال أو التعليم بل تتوجهون إلى الله والله هـــو المعطي المانع الحافظ الرافع المعز المذل، وعاتبت على الأخ وعده بما لا يتحقق أو بعضه والعطاء المفاجئ خير من العطاء بعد الانتظار وملل الرجاء عدت من باكوبا إلى دار السلام وتسرع الرغبة بزيارة زنجبار.

٤/ زنجبار البلد العربي المسلم الذي أدماه حرب العنصرية ودخلاء الإسلام، زنجبار الذي ظلت ردحاً من الزمن تدين بالولاء والمحبة للإســـلام والعرب لا أدري إذا ما كانت الســـلطة العمانية أو السلاطين العمانيون في زنجبار قد استبدلوا في الحكم أو عملوا على نهج الظلم لا أعرف هذا بالتفصيل ولكن الذي صك آذان الملاحدة هو خبر الثورة على السلطان حرب إبادة لا حرب انقلاب وســـلاح قامت الثورة عام ١٩٦٤م وتم الاتحاد بين تنجانيقا وزنجبار فكانت تنزانيا اتجهت الحكومة إلى الخط اليساري وأعلنت تطبيق الاشتراكية

في جميع الاقطاعات إلا قطاع الضمائر والسرائر والديانات فأهلها أحرار على ما طرأت عليه قلوبهم وعقائدهم.

وقد نزلت ضيفاً على حكومة زنجبار أضفت على من كرم الضيافة وحسن الاستقبال والتوديع ما يذكرني بقوة الرابطة الأخوية وحب العرب، صاحبني في الجولة وزير السياحة إسماعيل خميس ورئيس القضاء حبيب على كمبو وسكرتير المجلس الأعلى الإسلامي آدم نصيب قمنا بجولة على المعالم الإسلامية في زنجبار.

١/ المعهد الإسلامي ركيزة التعليم في زنجبار ومعهد القضاة والمدرسين للدين واللغة العربية يضم عدداً من الطلاب خمسمائة طالب لديهم ثلاثة مبعوثين للتدريس من رئاسة البحوث العلمية واثنان ن الأزهر وبقية المعلمين من زنجبار، المعهد يفتقر إلى الكتب المدرسية وتنظيم المناهج ووسائل الإيضاح.

٢/ مراكز دراسة التراث الثقافي لدول شرق أفريقيا اشترك في هذا المركز خمسة عشرة دولة من دول شرق أفريقيا يهدف هذا المركز إلى إحياء التراث الشعبي والتاريخي من المطبوعات ودراسة علم البحار والبيئة وربط هذا المركز بمراكز وهيئات العلم كمنظمة اليونسكو والدول الأفريقية وهيئة الأمم، اطلعت على بعض الكتب المخطوطة فإذا هي بالحرف العربي واللغة والسواحلية، والمركز حديث التأسيس ولم يخطو بعد ولكن العزم يقود على تطويره والمضي فيه.

٣/ مركز تأسيس اللغات الأجنبية يعمل هذا المركز على تعليم اللغة الأجنبية ويعنون بها اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية ولديهم معمل حديث والملاحظ هو ضعف الإمكانيات والاستعداد البشري لتلقي هذه اللغات ما لم يضمن لهم المستقبل وهذا غير ممكن.

٤/ إلى الجامع الكبير وصلاة الجمعة اكتظ الجامع بآلاف المصلين وأعطي لي حق الكلمة بعد الصلاة فتحدثت عن الإسلامي وفضله على الشعوب

وتاريخه المجيد أن لا يجوز أن يساوى بالاستعمار الغربي أو الشرقي كما أن النظم إذا لم يحكمها عقيدة فلن تصلح لتقدم الإنسانية ولوح بالاشتراكية وفساد نظمها وأشير بمستقبل الإسلام فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه تحدثت قرابة نصف ساعة اتسعت الكلمة بالنصيحة والتوجيه الديني في غير مساس بالسياسية ولا تجريح لشعور الآخرين.

٥/ جولة في الريف بمعية وزير السياحة ليأخذني إلى قريته ومسقط رأسه فأرى المسلمين يجتمعون في المسجد في انتظار من يتحدث إليهم رأيت في وسطهم رجلاً عمانياً أشبه بالشيبة البيضاء في جلد الثور الأسود تحدثت معه وطلبت منه أن يتحدث أو يوجه أسئلة ولكن الصمت يسوده ولا أدري ما وراء ذلك ودعت الريف ماراً بأشجار القرنفل والقهوة وبساتين الشاي والهيل مما هو من أهم منتجات زنجبار.

٦/ المعهد المصري: يدعى بمعهد الإنكار، التقيت فيه ببعض مجموعة من الطالبات في بهو المعهد للتحدث إليهن حديثاً مسهباً وفي المسجد التقيت بعدد من الطلاب لنقيم في المسجد صلاة المغرب ثم يجري الحديث ولقد لمست في هذا المعهد وفاءً شامل فهو كما يسمونه فكر وهذا المعهد للعلوم العصرية مقابل المعهد الإسلامي للعلوم الدينية في زنجبار وعليهما يعول مستقبل البلاد في القيادة الدينية والسياسية.

٧/ انطباعات عن مسلمي زنجبار: شعب مسالم محب للخير كامل من جزيرته قابع على نفسه يرى أن أطراف الدنيا هي شواطئ الجزيرة وقد حدثني من لقيت أن الأمن في زنجبار يشبه الأمن في المملكة العربية السعودية حيث يلقي التاجر على بضاعته غطاء من قماش وينصرف إلى الصلاة ويعود لا تمسه يد سارق ولا عابث هذا ما استطعت أن أشاهده في هذه الجزيرة التي سمع خيرها كل من وعى حوادث الزمن كنت شغوفاً جداً أن أتعرف على أحوال الجزيرة وأكتب الكثير عنها إلا أن استضافت الحكومة لي جعلت لي محدود التجول أسير وفق برنامج ومعالم حددها المعني بذلك، عدت

من زنجبار أحمل صندوقاً خشبياً من صنع زنجبار وهدية من رئيسه وبداخله منتجات زنجبار من القرنفل والهيل.

أشكر كل من رافقني وساعدني على هذه الرحلة كما أشكر لحكومة زنجبار كرم ضيافتها وحسن استقبالها وتوديعها وقد رأيت أن أعطى معلومات تفصيلية بلغة الأرقام ونبذة تاريخية عن الديانات في تنزانيا وهي معلومات رسمية زودني بها أحد المواطنين ولعلها في سجل الواقع التاريخي وهي كما يلي:

نبذة تاريخية موجزة عن الديانات في تنزانيا :

الإسلام: دخل الإسلام في تنزانيا بالقرن السابع الميلادي حيث جنوب شرق تنزانيا وأخذها مسكناً له. بعد فترة وجيزة جاء التجار العرب من الخليج يتتبعون أخباره فمنهم من نزل بجزيرة مافينا ومنهم من نزل على ساحل تنزانيا. وبواسطة هؤلاء التجار المسلمين انتشر الإسلام من الساحل إلى داخل البلاد حيث قمت القافلات من حين إلى آخر للتجارة.

وتنزانيا اسم مولود ن نتيجة اتحاد البلدين تنجانيقا ـ زنجبار في سنة ١٩٦٤، ومساحة كل من البلدين هي:

تنجانيقا ٣٦٢,٦٨٨ ميل مربع.

وزنجبار ٢٠,١٠ ميل مربع.

وجميع سكان البلدين بحسب تعداد سنة ١٩٧٧م هو سبعة عشر ونصف مليون نسمة ومن بينه ٢/١٠٢ مسلمون.

الكاثوليك: دخل الكاثوليك في تنجانيقا بالقرن التاسع عشر الميلادي بواسطة المبشرين المؤهلين بوسائل التبشير والتعليم تحت قيادة قسيسان ريمان وكراف وجعلا مدينة (موشى) الواقعة في شمال تنزانيا مركزاً للتبشير.

الأرثوذكس: دخل الأرثوذكس في تنجانيقا التاسع عشر بعد مرور عشرين عاماً من دخول الكاثوليك تحت قيادة قسيس (ستانلي) وجعل مدينة (دودما) مركزاً للتبشير الواقعة وسط البلاد حتى لقى المبشر دكتور لفنغستون

بمدينة (كفوما) الواقعة في غرب تنزانيا وجعلاها مركزاً ثانياً للتبشير.

البروتستانت: دخل البروتستانت في تنزانيا مع الاستعمار البريطاني بعد الحرب الأولى وتخذ مدينة (بكوبا) الواقعة في شمال غرب تنزانيا مركزاً للتبشير.

وسائل التبشير أما وسائل التبشير قد تفاوتت فيما بينهم وأهمها ما يلي:

١/ التعليم: فقد جعلوا المدارس ابتدائية وثانوية في جميع المحافظات تابعة للكنائس. بلغ عدد المدارس الابتدائية قبل استقلال البلاد ٤٨١٣ مدرسة و ٢٧٠ مدرسة ثانوية.

وقد أممت الحكومة معظمها وبقيت لديهم ١٢٠٠ مدرسة ابتدائية و١٧٨ مدرسة ثانوية.

٢/ مراكز الصحة: تبلغ عدد المستشفيات ٢٨٥ مستشفى ويوجد في كل محافظة مركز صحي الذي يتسع فيه العيادة ما ين ١٠٠ – ٢٠٠ سرير.

٣/ الخدمات الاجتماعية: يقدمون أثواب والأطعمة والمياه في المناطق الفاقرة كدودوما وجنوب تنزانيا ولديهم دور الأيتام والمعوقين وتقدم الخدمات اللازمة للمساكين والفقراء وفي الأوقاف والمجاعة والجفاف والحرب يتحيزون الفرص لتقديم المساعدات للاجئين والأرامل ويهيئون لهم الخيام والملابس والأدوية وغير ذلك من الخدمات اللازمة.

الهندوك: دخل الهندوك في تنزانيا مصاحباً للاستعمار البريطاني ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٠م وبنو هياكلهم في المدن الكبرى كدار السلام وتنجا وموتزا.

نشاطاتهم: كانت قاصرة على بني قومهم ولم تكن عامة كديانات المسيحية وتقديم الخدمات كانت بينهم فقط وكفانا الله شر دينهم لم تتسلل عقيدتهم إلى بني الوطن.

السيخ: دخل السيخ في تنزانيا مع الهندوك والبوذي وتختلف الشعارات في المظاهر حيث أتباع السيخ يعممون وأتباع البوذي يلبسون قميص وإزار ملفوف وأما نشاطاتهم كانت قاصرة على بني قومهم مثل الهندوك وقد تركزوا في المدن الكبيرة فقط .

الأغاخانية والبهرة والاثنى عشرية: دخلت هذه الديانات مع الأديان الأخرى من قارة الهند السابقة ذكرها ما بين سنة ١٩٢٥م وسنة ١٩٣٠م غير أن أصحاب هذه الديانات تعاشروا مع المسلمين حتى أنهم عدوا من المسلمين ولذلك وجد من المواطنين من أعتق الاثني عشرية وإن كانوا قليلين. ومن معظم نشاطاتهم تأسيس مراكز اجتماعية كدور السينما وملاعب كرة القدم وتقديم المعونات للمسلمين في بناء المساجد والمدارس حتى أصبحت سمعتهم كأحد المذاهب من المذاهب الإسلامية.

الإباضية: دخلت الإباضية في تنزانيا سنة ١٨٣٢م عن طريق جزيرة زنجبار تحت راية السلطان العمانيين وهؤلاء العمانيون كانوا متعصبين بعنصريتهم فلم يجدوا اتباعاً من الأجناس الأخرى وكانت نشاطاتهم قاصرة على التجارة والحكم، فلم يسجل لهم التاريخ عن نشاطات أخرى في مجال الخدمات الاجتماعية والتعليم.

القاديانية: دخلت القاديانية في تنزانيا ما بين سنة ١٩٣٠م وسنة ١٩٤٠م واختار هذا المذهب مدينة تابورا مركزاً له واستطاع أن يجذب إليه بعض المواطنين المسلمين، وكان هدف هذا المذهب هو تفريق المسلمين لتسود حكومة بريطانية في البلاد وهذه سياسة الاستعمار فرق تسد ولهم نشاطات كثيرة منها إعطاء منح دراسية إلى الهند وباكستان وتوزيع الكتب والنشرات وكثرة الجدل مع الأديان الأخرى واتصال بزعماء الدولة ليكونوا تحت حمايتهم وإقامة المهرجانات في الأعياد الحكومية.

البهائية: دخلت البهائية ما بين سنة ١٩٧٠م وسنة ١٩٧٥م واتخذت مدينة دار السلام مركزاً لها ولم سجل لهم التاريخ بعد من الأتباع أو

النشـــاطات إلا أنهم بنوا مدرســـة في قرية مومبـــوا بمحافظة تنجا ويقيمون المهرجانات في الأعياد الحكومية.

نوادي ماســـونية: فيـــه كنز كلـــب، وروترل كلب وغيرهـــا التي تقدم الخدمـــات الاجتماعة كبناء الدارس والمستشـــفيات وتقديم القروض وإعطاء منح دراسية.

معلومات عن تنزانيا:

الموقع: شرق أفريقيا

الدول المتاخمة هي: المحيط الهندي شرقاً، كينيا ويوغندا شمالاً، ورواندا وبورندي وزائير غرباً، وزامبيا وملاوي وموزمبيق جنوباً.

تاريخ الثورة: حصلت الثورة في جزيرة زنجبار في ســـنة ١٩٦٤م فبراير الثاني عشر، وكان ذلك لأجل أمور سياسية حيث كان الشعب الأفريقي لم يوافق على نتائج الانتخابات التي أجريت في جزيرة زنجبار وبمبا التي توصل إلى الحكم السيد حمد عبد الله السلطان الأخير لزنجبار مناصب المسلمين في الدولة أقلية والســـبب الذي أدى هذا هو عدم وصولهم إلى التعليم العالي لأن المدارس كلها كانت تحت ســـيطرة الكنيســـة ومـــن أراد أن يلتحق بهذه المدارس من أبناء المسلمين كان لابد أن يرتد عن دينه، مع أن نسبة المسلمين ٧٠٪ من مجموع الســـكان البالغ سبع عشـــرة ونصف مليون نسمة حسب الإحصائيات الأخرة لعام ١٩٧٧م.

المذاهب: المذهب الشـــافعي هو المذهب الرئيسي في البلاد ويوجد قليل ممن يتمذهبون بالحنفية وكلهم من الباكستانيين.

الطرق الصوفيـــة: القادرية والشـــاذلية والعســـكرية والدندراوية، وقد استطاعت هذه الطرق أن تجد أتباعاً الحنفيين الذين يظهرون مشاعر الإسلام كلبـــاس الجلابيات والعمائم وإقامة الحفلات، وأما ما يأخذون عليهم فكثير من الأمور منها مخالفة للكتاب والســـنة في نشـــاطاتهم وعباداتهم مع أنهم يظنون أنهم يطبقون الدين الإســـلامي مثلاً الاحتفال بالمولد وحلقات الذكر

ودعاء الأولياء والشرفاء.

إحصائية عن التعليم:

فيه ٩٨٧٩ مدرسة ابتدائية و ٣٦٠ مدرسة ثانوية، وجامعة واحدة، و٢ معهد هندسة، و١ معهد الأراضي، و ١ معهد المياه، و٢ معهد الحسابات والإدارة، و٣٣ معهد معلمين.

وأما نسبة المتعلمين في البلاد هي ٧٥٪ والتعليم مجاناً للجميع من الابتدائية إلى الجامعة.

موارد الثروة هي: قطن، بن، شاهي، تمباك، لحم البقر، ومن المعادن هي: الماس والذهب والأحجار الثمينة.

صبغة الاشتراكية التنزانية تميل إلى الصين بيد أنها لا تطبق كلياً.

ـ الفرد له حق التملك إلى حد ما وأما الجماعة لهم دور بارز في التملك والحكومة تشجع ذلك.

ـ فيه حرية لكل الديانات أن تبني مركزاً وأن ينشأ مجلساً لها وللمسلمين لهم مجلس المسمى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية التنزاني (اليكواتا) الذي استطاع أن يوحد المسلمين تحت قيادة واحدة رغم ما يعوق عليه من عدم النفقة ورجال أكفاء للعمل وتقصير شئون الدعوة.

الدولة التاسعة ـ كينيا

كينيا قاعدة شرق أفريقيا وملتقى الأديان فيها:

شاء المولى القدير أنه في يوم الاثنين الموافق ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٩٩هـ أن تقلع بنا طارة بيابي الباكستانية من مطار جدة الدولي إلى مطار نيروبي عاصمة كينيا ولأول مرة أرى كينيا رغم اتصالي وخدماتي لهذه المنطقة لبضعة عشر سنة إلا أنه لم يكن في الحسبان البون الشاسع بين المشاهدة والخبر كما هو في كينيا وفي فندق سقس ابيتي (٦٨) المحتوي على ما يزيد على ١٠٠٠ غرفة كان مقر إقامتي ومنطلق تجوالي، وفي بهو الاستقبال كانت الأجناس البشرية أحمرها وأسودها وأبيضها وأسمرها والملونين منهم كجراد منتشر سبحان الخالق لا إله إلا هو، وعلى مأدبة الفندق ترى كأنك في أرقى دولة من دول أوروبا وليس فيه ما يأباه المسلم سوى الشراب ولحم الخنزير ونغمات الموسيقى والدف يومي السبت والأحد وهذا شأن الكفار، لبضعة أيام أقمت بهذا الفندق ومنه كان المنطلق بالمدن الرئيسية في كينيا.

١/ ممباسا الميناء الرئيسي في كينيا وهي المدينة الثانية بعد نيروبي عاصمة مديرية الساحل يسكنها عدد كبير من العرب والهنود وقد بهرني كثرة مساجدها وارتفاع الأذان من أعلى المآذن، ويغلب على هذه المدينة الطابع العربي الإسلامي حيث يقطن هذه المديرية مليون نسمة منهم ستمائة ألف مسلم وفي مدينة ممباسا بالذات مائة وستون ألف مسلم من مجموع السكان أربعمائة ألف.

٢/ نكرو وكسومو مدينتان متجاورتان، تقعان على الحد الغربي مما يلي أوغندا وعلى مقربة من بحيرة فكتوريا أكبر بحيرة في العالم وفي مدينة كسومو بالذات يقطن عدد كبير من العرب اليمنيين والذين لهم شأن في

تأسيس المدارس وبناء المساجد ونشر اللغة العربية رغم مستواهم الضحل في العلم والمادة إلا أن العربي بفطرته وخلقه واندماجه مع الأفارقة عامل كبير من عوامل التمكين والتأثير وهذا شأنهم في شرق أفريقيا وغيرها، وفي مدينة نكرو تقوم جمعية أهلية إسلامية آسيوية بتبني مقاصد الخير والعمل على نشر الإسلام بصورة منتظمة وهم أقدر من العرب والأفريقيين على العمل الإسلامي المنظم ويقدر عدد السكان المسلمين في مدينة نكرو بستة آلاف مسلم ولا أريد الإطالة عما شاهدته في هاتين المدينتين من عجائب الخلق من طيور ونسور ووحوش الصيد في غابات مقفلة وما هم عليه من جمال الطبيعة ونظارات الايك وتلاطم أمواج البحيرات وارتفاع قمم الجبال وانخفاض سير الوديان المكسوة بأنواع الخضرة، وصدق الله ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝﴾ [الحج: ٥].

٣/ جاريسا من أهم المدن الرئيسية تقع على النهر الشرقي لكينيا الممتد للحبشة والذي يغذي نهر النيل، بلد زراعي وبها مركز الشباب الإسلامي الذي تقوم بإعداد النشء المسلم إعداداً أولياً في تعليمه وتربيته واحتضان أيتام المسلمين، التقينا بأميرها وتحدثنا معه كثيراً ورأينا منه التسامح وحب نشر الفضيلة والعمل على ترقية الإنسان وهو مسيحي عاشر المسلمين وتزوج من بعض الطوائف المنتسبة للإسلام زوجة رابعة، وفي هذه المدينة عدد كبير من المدارس على صورة كتاتيب ومدارس أولية ولكن يعوزها المدد والتنظيم الإداري والمنهج الصحيح.

٤/ مجاكوسي مركز علمي ومنطلق تبشيري تبعد عن نيروبي ٣٠ ملي به معهد إسلامي يتبع للمؤسسة الإسلامية المنتمية لتنظيم الجماعة الإسلامية في باكستان.

٥/ مدينة نامنقا على الحد الكيني التنزاني تقطنها قبيلة المسائي التي لا تزال تعطيك صورة الرجل الأفريقي منذ العصور الغابرة وفيها مدرسة عربية

إسلامية أنشأها المسلمون الآسيويون ومجموع ما قطعناها في هذه الرحلة من مساحات يزيد على خمسة آلاف كيلو متر، ومن مشاهداتي رأيت كينيا هي قاعدة شرق أفريقيا وملتقى الأديان، أما إنها قاعدة شرق أفريقيا فإن موقعها الجغرافي وامتداد أراضيها وتنوع السكان فيها وتسامح حكومتها مع الأجانب يجعلها أماً حنوناً وجواراً حسناً لكل الطوائف والقبائل والأجناس وعدد سكان كينيا (٢٠,٩٤٢,٧٠٥) مليون نسمة، الأفريقيون منهم (١٠,٧٥٣٢,١٠١)، الآسيويون (١٣٩,٠٣٣)، الأوروبيون (٤٠,٥٩٧)، والعرب (٢٧,٨٨٦)، وآخرون (١٩٨٧)، وظاهرة الأديان بارزة في المعابد والصوامع والكنائس والمساجد ودور العبادات الأخرى، الهندوك، السيك، الإسماعيلية البهرة، الشيعة، القاديانية، البهائية، وطوائف المسيحية والكاثوليك، ويقدرون بنحو أربعة ملايين، والبروتستانت بنحو الميون وربع المليون، أما الأرثوذكس فهم قليلون وخاتمة الأديان هو دين الإسلام المظلوم في وطنه المهضوم في حقوقه حتى الإحصائية لا يوجدونها على الوجه الصحيح فمن قائل أنهم أربعة ملايين ومن قائل أنهم ثلاثة، أما اليهودية فرغم وجودهم إلا أن الأهم المادة واقتناصها في الكبريهات والكازيونوهات ودور السينما في كل أنواع الملاهي وعوامل التفسخ والمجون، وللسائح أن يقول ما شاء ويتحدث عمن شاء، وحديثي يتجه الوجهة الدينية الصحيحة وإلقاء الأضواء على مشاكل المسلمين:

١/ مدارس المسلمين جرت العادة ومنذ القدم أن يتلقى صبيان المسلمين تعاليمهم باللوح الخشبي ولا تزال الأطراف مما يلي الصومال وبخاصة رعاة البقر من بادية الصومال على هذا المنوال إلا أنهم بحكم التطور التعليمي نالهم شيء من ذلك إذ أوجدوا المدارس أو كتاتيب كما يسمونها في السودان بالخلاوي لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي ولمزيد من التعاون فقد بذلت السفارات العربية جهوداً مشكورة في محاولة تزويد هذه المدارس بالكتب الدراسية مما يدرس في البلاد العربية وخاصة المملكة العربية

السعودية والعراق والأردن وليبيا غير أن الدارسين والمدرسين لا يمكن أن يعملوا في هذه المناهج ولا يمكن لهم الاستفادة من هذه الكتب المدرسية التي صممت على منهج يتفق والبلاد العربية، وأخيراً أوفدت الدول العربية البعوث إلى كينيا لمحاولة إصلاح التعليم ولا تزال هذه البعوث في طريقها الأولى ولما يأذن الله لها بالنصر والتوفيق.

٢/ المدد، لا يزال الأفريقيون يرفعون أيديهم وتشخص أبصارهم للدول العربية والإسلامية في مساعدتهم والأخذ بيدهم إلى المستوى المطلوب كما هو شأن المسيحيون الأفريقيون للدول الأوروبية ومراجع الدين المسيحي ورغم السيل المتدفق عليهم بالمساعدات والمعونات إلا أن السائل سيظل سائلاً ولو كان غنياً وصدق رسول الله «**إنما الغنى غنى القلب**» أو قال «**غنى النفس**».

٣/ الهيئات الإسلامية:

أ ـ المجلس الأعلى لمسلمي كينيا تكون عام ١٩٧٣م وتم الاعتراف به لدى الحكومة لتمثيل المسلمين من أهل السنة في كينيا ويضم المجلس أهم الجمعيات وعددها ٨٨ جمعية غير أن هناك ما يزيد على خمس وخمسين جمعية لم تنضم إلى المجلس الأعلى، وقد تكون هذا المجلس كرد فعل للمجلس الوطني المسيحي في كينيا والذي يعمل لصالح التقدم المسيحي في البلاد ولا أدري إذا كان وازع المسلمين الديني في كينيا سيدفعهم للعمل في خدمة دينهم واللحوق بالطوائف الأخرى أم هي المسميات فحسب.

ب ـ منظمة الشباب المسلمين تشابهت الأسماء وتباينت الأهداف على غرار جمعية شباب المسيحيين، نهض الشباب المسلمون ليقولوا كلمتهم ويلموا شتاتهم فكانت الجمعية وعدد أعضائها سبعون عضواً كلهم من مسلمي الهنود والباكستانيين ولا أدري أين ذهب الأفريقيون سوى واحد منهم حبيس المكتب ولافتة للزائرين وكانت أهداف الشباب وطموحهم فوق مقدرتهم إلا أن الله قد أعانهم على تحقيق بعض أغراضهم ومن أهم

أهدافهم إيجاد الصلات بين الشباب المسلمين في داخل كينيا وخارجها بتبادل المعلومات والخبرات ودعم الشباب المسلم للمناهج الدراسية وإتاحة فرصة العمل ومجالات التخصص وملاجئ أيتام المسلمين وحضانتهم وتعليمهم وهذا بالفعل قد نفذ وتم ولهم ذلك في منطقة جاريسا ولله الحمد.

ج ـ المؤسسة الإسلامية تأسست قبل بضع سنين لتكون منطلقاً للحركة الإسلامية الفكرية في مجال السياسة والتعليم والفكر الصحيح على يد نائب أمير الجامعة الإسلامية الباكستاني، وقد وافقته المنية بعد أن وضع النواة الأولى لغرس شجرة الفكرة وتجمد العمل فترة حتى قام بعض الشباب من لهم فكر تجاري وعواطف إسلامية لتكون هذه المؤسسة على غرار المؤسسة في لندن التي تعني لنشر الكتب الإسلامية وبخاصة كتب العلامة أبو الأعلى المودودي.

ويمتد نشاطها للتعليم الديني والنشرات الفورية ودراسة الأحوال السياسية والدينية في المنطقة ومركزاً لإشعاع الفكر الإسلامي المنبثق من فلسفة أبو الأعلى المودودي وتكتيكه الحزبي القائم على فكرة إيجاد الدولة الإسلامية وتحقيق علاقة الإنسان بالله في هذه الأرض بتطبيق أحكامه وشرعه.

د ـ جمعيات المساجد فلكل مسجد وبخاصة الجوامع منها جمعية تقوم على انتخاب رئيس وأميناً عاماً لإدارة المسجد وأعماله وأشهرها جمعية المسجد المركزي في نيروبي وجمعية مسجد لاندي وجمعية مسجد اسلي، وبعد هذا التطواف في كينيا قاعدة شرق أفريقيا وملتقى الأديان فيها أخترت هذا العنوان وفسرته بالحقيقة والواقع ضمن السطور في هذه الكلمة الموجزة والعجالة المختصرة لعل في هذا الكلام ما يشبع رغبة الداعي إلى الله لحب الاستطلاع والعمل على انتشال الإنسان من براثن الشرك والوثنية، ففي أفريقيا مرتع الدعاة وخصوبة الأرض والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة

الأمور، حررته على ربوة نيروبي في جو هادئ ممتلئ بالغبطة والسرور بين التفاؤل والتشاؤم لمستقبل أفريقيا والإسلام فيها والله ولي التوفيق.

طوائف المسلمين:

يتكون المسلمون من عدة طوائف أكبرها السنيون ويتعبدون على المذهب الشافعي ، ويليهم الشيعة الاثنى عشرية ويقدرون بنحو ٣٠٠ ألف شخص، ثم الإسماعيلية ويقدرون بنحو ستة آلاف شخص، ثم القاديانية (الأحمدية) ويقدرون بنحو ألف شخص، ثم البهائية أو البهرة ويقدرون بأقل من ألف شخص. كما يوجد بعض الاباضية ولا يعرف عددهم ويقال أنهم نحو ألفين وهم خوارج من عمان وكل هذه الطوائف عدا السنيين والاباضية لا يعدون مسلمين نظراً لفساد عقائدهم ، وسأتحدث قليلاً عنهم.

طائفة الإسماعيلية:

يقول المحققون أن الإسماعيلية حركة قامت في وجه الإسلام وتمثل وجهات نظر كافة المذاهب والأديان التي قضى عليها الإسلام في البلاد التي امتد نوره إليها فانتحلت انتسابها لآل البيت الكرام مكراً وخداعاً واحتمت وراء محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق كذباً وزوراً واتخذت من ذلك ستاراً تخفي وراءه القضاء على الإسلام ويؤيد ذلك ما ذهب إليه بعض المؤرخين من القول بأن ميمون القداح هو المؤسس الحقيقي للحركة الإسماعيلية، وأن أئمة هذه الحركة هم من ولد القداح، وكان القداح ديصانياً، عمل على تهديم الدين الإسلامي ونشر الزندقة والإلحاد، والديصانية طائفة نصرانية قام بتأسيسها الحبر اليهودي المنتصر (ماريديصان) في مدينة ألرها في القرن الثاني من الميلاد، ونظرياته كانت أصلاً من أصول المانوية والمزدكية، وميمون القداح كان من المؤمنين بأفكار هذه الطائفة، وقد ساعده على نشر مذهبه حمدان الأشعب، ثم انفصل عنه وأسس مذهب القرامطة والذين عرفوا في التاريخ باسم الباطنية أو الحشاشين

ومن طوائف الإسماعيلية جماعة الأغاخان وطائفة البهرة.

طائفة القاديانية:

ويسمون أنفسهم أحياناً باسم الأحمدية للتمويه على الناس ومؤسسها هو غلام أحمد وقد ولد بمدينة قاديان في ولاية البنجاب بالهند عام ١٨٣٩م وقد ادعى النبوة يوقول أنه يوحى إليه والواقع أن هذه الطائفة كما يتضح من تاريخها كانت في خدمة الاستعمار البريطاني في الهند وقد أثبتت الرسائل المتبادلة بين زعيمها والإنجليز ذلك، وهم ممن يعملون على هدم الإسلام وتاريخ زعيمها غير مشرف وهم يتعاونون مع إسرائيل في هدم الدين الإسلامي ولهم سفارة في تل أبيب ومدارس هناك ولكل هذه الطوائف غير السنة مؤسسات جميلة وكثيرة، فللشيعة مساجدهم ومدارسهم ومستشفياتهم وجمعياتهم، وكذلك للإسماعيلية وخاصة جماعة الأغاخان فمدارسهم ومساجدهم فخمة جداً وآية في الجمال، وكذلك للبهرة مدارسهم ومساجدهم وجمعياتهم، ولكن أغلب مساجد هذه الطوائف مهجورة أو شبه مهجورة وينفر كثير من الناس عنها ويحاول الشيعة الدخول إلى مناطق السنيين بغرض تحويلهم إلى مذهبهم.

مشكلات تعليم المسلمين في كينيا:

لقد ظل المسلمون متأخرين لأسباب تاريخية واجتماعية وسأجمل هذه الأسباب في النقاط الآتية:

أولاً: وجود الحكم الاستعماري ونشاط المبشرين المسيحيين ذلك لأن التعليم في فترة الاستعمار كانت تديره الكنائس المسيحية لذلك كان المسلمون يحجمون عن إرسال أبنائهم لتلك المدارس خوفاً عليهم من ا، تنصرهم الكنائس، ولقد كانت تلك المؤسسات التبشيرية تجد السند المالي القوي من جميع الدول الأوروبية وتساندها الإدارة البريطانية الحاكمة على تنفيذ كل مخططاتها، وبالرغم من أن إحجام المسلمين عن إرسال أبنائهم لتلك المدارس جعلهم طبقة ترزح تحت نير الجهل بالمقارنة إلى بقية أبناء وطنهم حين نالت

البلاد استقلالها، ووجد المتعلمون حقهم في الدولة فإن بعض المسلمين كانوا على حق إلى حد ما فالواقع أن عدداً من المسلمين الذين التحقوا بتلك المدارس قد تحولوا إلى مسيحيين وأن أكبر دليل على ذلك أن في كينيا اليوم كثيرون ممن يسمون جون أحمد وجورج محمد وشارلس علي وادوارد عمر وهم بالطبع كانوا ضحايات التعليم المسيحي في فترة الاستعمار.

ثانياً: لم تشجع الحكومة المستعمرة آنذاك المسلمين على فتح مدارس خاصة بهم، فلم تكن لهم أية مدارس سوى عدد قليل قام بإنشائه بعض المسلمين الهنود والباكستانيين وبعض العرب الذين كانوا يعيشون بالساحل (منطقة ممبسا)، بينما كانت الحكومة الاستعمارية تقدم بعض الإعانات لمدارس الإرسالية المسيحية.

ثالثاً: عدم تمكن المسلمين من الحصول على إعانات من أشقائهم المسلمين بالبلاد الإسلامية والعربية آنذاك ولعل السبب في ذلك أن غالبية تلك البلاد العربية أو الإسلامية كانت ترزح تحت نير وسيطرة المستعمرين أو توجه سياستها القوى الغربية المستعمرة.

رابعاً: سياسة التمييز العنصري التي كانت سائدة في كينيا في تلك الأيام ذلك لأن المستعمر قد قسم البلاد إلى مجموعات عنصرية ، فقد كانت هناك أربع فئات من المدارس وهي مدارس الأوربيين ومدارس الآسيويين ومدارس العرب وهي كانت رغم ندرتها خاصة بمنطقة الساحل، وأخيراً مدارس الأفريقيين وهذه كانت تحت إشراف وإدارة الإرساليات المسيحية.

خامساً: عدم الاستفادة من المعونات العربية ذلك لأن المعونات التي كانت وما زالت تقدمها بعض الدول العربية والإسلامية يساء استغلالها فالكثيرون ممن يتسلمون هذه المعونات لا يصرفونها في التعليم بل يستغلونها في شئونهم الخاصة وهي حقيقة يعلمها ويحسها كل من يزور كينيا، بل أن بعض هذه المعونات لم يدخل إلى كينيا بل حولت إلى خارج البلاد، إلى انجلترا كما يقولون.

ضعف ثقافة المسلمين:

أن الذي يزور كينيا ويجتمع بالمسلمين يحس بضحالة ثقافتهم الإسلامية الأمر الذي لم يمكنهم من الوقوف ضد النشاط التبشيري الذي يشرف عليه رجال قد أهلوا أنفسهم لهذه المهمة وتسلحوا بالعلم الذي مكنهم من استخدام أحدث الوسائل وأدق النظم مما يسر لهم السيطرة على الشعب وإشعاره بأنهم هم القادة وأن دينهم هو دين العلم والتكنولوجيا بخلاف الإسلام الذي صوروه لهم بأنه دين العجزة والفقراء والمستضعفين، متخذين من حالة المسلمين مثلاً محسوساً يؤيد دعواهم الكاذبة الفاجرة.

فرص المسلمين للتعليم بالمدارس النظامية:

أن عدد التلاميذ الذين أكملوا الصف السابع بالمدارس الابتدائية للعامين ١٩٧٤ و ١٩٧٥ كان ٢١٥,٠٠٠ و ٣٢٢,٣٠٠ ، كما أن عدد الذين قبلوا بالمدارس الثانوية للعامين المذكورين كان ٢٧,٦٠٠ لكل عام ، وهذا يعني أن نسبة القبول لعام ١٩٧٤ كانت ١٣٪ كما أن نسبة القبول لعام ١٩٧٥ كانت ٨,٥٪ ويمكن القول بأن نسبة القبول قد هبطت إلى أقل من ١٠٪ ولما كانت هذه فرص القبول لكل الكينيين فقد كانت فرص المسلمين للحصول على التعليم الثانوي أقل من ذلك وأكثر تأثراً وذلك للأسباب الآتية:

١/ أن توزيع المدارس الثانوية ليس عادلاً ذلك لأن أكثرها تقع في المناطق المسيحية.

٢/ أن بعض المسلمين كانوا ولا يزال بعضهم يحجمون عن إرسال أبنائهم للمدارس الثانوية خوفاً عليهم من التأثر بالمسيحية ولعدم وجود معلمين للديانة الإسلامية بتلك المدارس.

٣/ أن تكلفة التعليم الثانوي عالية والطالب الثانوي يدفع ٢١٠٠ شلن كيني أي ما يعادل ٢٨٠ دولاراً، ونسبة الفقر غالبية المسلمين فإنهم يعجزون أحياناً عن دفع مصروفات تعليم أبنائهم، وبالتالي يفقدون فرص التعليم المتاحة لهم.

٤/ أن عـــدد المدارس الثانوية الشـــعبية والخاصة يزيـــد بكثير عن عدد المـــدارس الحكومية، ولما كانت المدارس الخاصة تعتمـــد على المقدرة المالية لدى مؤسســـيها فقد اتضح أن ســـوء الأوضاع الاقتصادية لدى المسلمين قد حال دون إقامتهم لهذا النوع من المدارس بينما اســـتطاع المسيحيون إقامتها، وبالإحصاء اتضح أن ليس لدى المســـلمين مدرســـة خاصة في مناطقهم بل لقـــد نتج من عجزهم المالي هذا أن فقدوا بعض المدارس الخاصة بهم والتي أنشأها بعض المسلمين العرب من قبل.

تنقسم كينيا إدارياً إلى ثماني محافظات:

١ ـ محافظة الشمال الشرقي وتسمى هذه المحافظة تلك المقاطعة المعروفة باســـم مقاطعة الحدود الشمالية التي تتنازع عليها كينيا والصومال وإن كانت الأخيرة قد تنازلت عنها في هذا العام ولكن لا تزال هناك بعض المشـــاكل التي تحدثها دائماً عصابة تعرف باسم (سفتا) وهذه العصابة تحارب من أجل استقلال هذه المنطقة لتنضم إلى الحكومة الصومالية وأهمية هذه المنطقة أنها من المناطق التي يكثر فيها المسلمون.

٢ ـ محافظة (رفت فالي): المســـيحيون فيها أكثـــر عدداً وفيها كثير من شخصيات الدولة البارزين كما أن الرئيس الحالي من هذه المنطقة.

٣ ـ المحافظة الوســـطى: معظم أفراد قبيلة (كي كويو) من هذه المنطقة/ المحافظة وكان الرئيس الراحل من هذه المحافظة وهي أغنى المناطق في كينيا ومعظم السكان فيها أغنياء وذات نفوذ كبير في البلاد إلى يومنا هذا.

٤ ـ المحافظة الشـــرقية: كبرى المحافظات وعدد المسلمين فيها لا بأس به نسبياً.

٥ ـ محافظة نيانزا: في هذه المحافظة تكثر المذاهب المسيحية وفيها نشاط للدعوة الإسلامية إلا أنها لا تزال في مهدها.

٦ ـ المحافظة الغربية: بدأ المســـلمون وعددهم فيها ضئيل جداً ومع ذلك فإن الدعوة فيها نشاط.

٧ ـ المحافظة السواحلية: تعتبر المحافظة السواحلية أكثر المحافظات الكينية المعمورة بأعداد المسلمين الكبيرة وهي المحافظة الوحيدة التي يمكن أنجد فيها قرية أو بلدا ليس فيها أو فيه غير مسلم وتكثر فيها المؤسسات الإسلامية بمدارسها ومراكزها ومساجدها.

الإدارة في الماضي والحاضر:

إن الحالة التي صارت إليها كينينا تذكرني بقول القائل (الناس على دين ملوكهم) فعلى ضوء ما نقرأ ونسمع من أفواه إخواننا المسلمين المخلصين نستنتج بأن الرئيس الراحل وإدارته كان الاهتمام فيها بالمادة ولا يهتم بالدين إطلاقاً من أي الأديان ويمكن القول بأنه لم يعرف له دين بل بأن الأخبار متوترة/ متواترة بأنه كان في كثير من المناسبات ينتقد المسيحية ويمدح الإسلام ومن ذلك خطبة له معروفة افتخر بأنه يعرف التعاليم الإسلامية وقال بأن العقيدة التي يدعو الإسلام إليها أوضح من العقيدة التي تدعو إليها المسيحية إذ لا يعقل إله واحد مع وجود ابن له وماذا عن أم ابن الإله فهذه الخطبة ما بعدها لخطبة. ولكن الرئيس الحالي مسيحي متمسك بالمسيحية وملتزم بها وله اهتمامات ملموسة بالدعوة والدعاية لها في كل مكان وفي كل مناسبة فهو يحضر طقوس الأسبوع في كل يوم الأحد وكلما خطب خطبة عامة أو غير عامة اقتبس من كتاب المسيحية المقدس وأصبح معظم الزعماء السياسيين منتظمين الآن في حضور طقوس يوم الأحد، أما في الكنيسة التي ذهب إليها الرئيس في ذلك الأسبوع أو أية كنيسة أخرى، والمهم هو أن موقف الرئيس الحالي يساند ويدعم الدعوة إلى المسيحية وكنت أخشى أن يتعود بعض السياسيين المسلمين حضور الطقوس المسيحية تقرباً للرئيس في المستقبل ولكن هذا وأحمد الله لم يحصل حتى الآن.

أوغندا تلبس ثوب الحداد على الإسلام

على قرب من شاطئ بحيرة فكتوريا وفي مدينة كسومو الكينية بالذات أقرب مدينة لحدود أوغندا، خطر لي هذا العنوان بعد رؤية لفيف المهاجرين

العرب منهم والمسلمين أو بالأحرى الشاردون من نار الفتنة وشظايا الرصاص وإجرام العسكريين وهمجية الأفارقة الذين لا يحكمهم دين ولا يلتزمون بالقيم، كثيراً ما يقع انقلابات في الدول وتذهب حكومة وتأتي حكومة أخرى والشعوب هي الشعوب لا تتغير والنظم ا لمعترف بها دولياً ودبلوماسياً تجرى ولا تتأثر بالحوادث الوقتية ولا بالانقلابات العسكرية ولكن الحرب في أوغندا أمر قضى بإبادة المسلمين وطمس معالم العرب في شرق أفريقيا متمثلة في الجيوش التنزانية ودول أخرى أفريقية لم تعلن اسمها ولكن في قائمة المؤامرة والتدبير اضطر إلى بل ريشة قلمي بالحديث عن السياسة رغم اقتناعي بما قاله الإمام محمد عبده لعن الله ساس يسوس السياسة ومشتقاتها إلا أن الحادث المؤلم والخطب الجلل الذي أقضى مضاجع المسلمين وأرمل نسائهم وأيتم أطفالهم وجعلهم سبباً للغزو الذي لا يعرف الرحمة ولا الوطنية والذي أشبه بأسد غابة انقضت على شياه آمنة لم تألف في الفتنة ولم يدر لها بالحسبان حرب أوغندا مؤامرة دولية وتكتيل عسكري سافر الحجة أو بغير حجة ولكن العوامل الرئيسية لهذه الحرب هي نشوز وجود رئيس مسلم بين أكثرية مسيحية انبرى لرفع رأس المسلم وإعطائه حقوقه كاملة غير منقوصة كما هو شأن كل رئيس دولة في مناصرة عقيدتها والعمل على رفع مستوى أبناء ملتها، عيدي أمين يقول ويعمل ويتحدى القوى الخارجية في تنفيذ سياسته في بلده وعدم السماح لإدارة حكومته من الخارج مما جعل الغرب ينبهر لصراحته وجبروته وتحيزه السافر للدول العربية وإيمانه بدينه وعقيدته.

مضى عيدي أمين يدعو للإسلام بين قبائله وعشيرته حتى ارتفعت نسبة المسلمين في أوغندا من ثلاثين في المائة إلى خمسين في المائة مما جعل حركات التبشير تضم صوتها إلى الدول الغربية في ضرورة القضاء على عيدي أمين وحكومته حتى لا تكون أوغندا مركز انطلاق الدعوة الإسلامية مما يشكل خطراً عظيماً على التبشير المسيحي وإحباط التنظيم السياسي في

جنوب السودان على أمل أن تكون دولة مسيحية مستقلة.

وللصهيونيـة العالمية دورها الأكبر في حروب أوغنـدا ولكنها من وراء الستار بعد أن طرد عيدي أمين ثلاثة آلاف خبير عسكري يهودي من أوغندا بعد أن تلقى هو تدريباته العسكرية في إسرائيل عاد الأمر على غير ما أريد منـه حيث كان حربه ضارية بين أكتاف اليهـود، أضف إلى ذلك ما فعله عيدي أمين من طرد الآسيويين من أرباب الديانات الوثنية كالهندوك والسيخ والبهرة والإسـماعيلية الذين مصوا دماء الأوغندي وخلفهم الاستعمار بعد أن وكل إليهم خلافة الأمر والعبث فيها بالتعاون مع الاسـتعمار تعاوناً غير مباشر.

وهـذه أبرز العوامل التي حملت تنزانيا أن تقـوم بدور الانتقام وبحجة الانتصار للرئيس السـابق واعتداءات عيدي أمين علـى الأراضي التنزانية حيـث قد احتل جيش عيدي أمين مسـاحة ٢٥ ميلاً، ولا يعاد السياسـة وعمق جذورها في أودية النفاق والمكر والخداع إلا أن الظواهر تفسـر هذه الاعتداءات والانتقامات الهمجية للمسـلمين والعرب خاصة تفسـيراً دينياً حاقداً على المسـلمين ومستقبل الإسلام ويأباه الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافـرون، والحق يقال لا نبرئ سـاحة أمين من عـدم ضبط إدارة الحكم وفسـاد الاقتصاد وترك الجيش يعبث كما يشاء بدون ضوابط عرف أو حكم أو قانـون، وأمين رجل عادي ينقصه الاتزان لما يحب أو يكره فهو صديق العرب وهو داعية الإسـلام وهو المتحدي لكل القوى داخل أوغندا أو من يريد الهيمنة ومكر السياسـة الغربية وضحالـة وزن الأفريقيين لدى الدول المسـتعمرة، فخير لها أن يفني الرجل الأسـود لتبقى البلد الخضراء والجنة الغناء ليعود الاسـتعمار مرة أخرى إلى بلاد أفريقيا في ثوب الراهب الأمين والطبيب المداوي والحامل لسعادة الرجل الأفريقي فيمن عليه بالعمالة ويسرق دينه وأخلاقه وقيمه ويسـترقه استرقاقاً عقلياً وروحياً وتبعياً للسياسة الغربية فيكونون سادة البلاد والمسـتنين عليها بالفضل والنعمة ومنقذيها من عداوة

العرب ومن الإسلام حامل السيف ومسترق الرقاب والداعي لفوضوية الأسرة وعدم احترام حقوق المرأة بل الآمر لهم بالعبودية لرب مجهول لا تراه بعينك ولا تسمعه بأذنك ولا تحسه بحواسك، والمسيح جاء ليفدي الإنسان بدمه فكان الفداء للبشر المتبعين له والمسيح ابن الرب وبالقرب منه ليتجاوز الله عن كل الخطايا والذنوب فهل يقابل المسيح بعربي من أبناء الصحراء امتدحوه بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب عمله الأول رفع راية الجهاد وحمل السيف على من عاداه، بينما المسيحي يقول من ضربك على الخد الأيمن فأدر له خدك الأيسر لهذا أو ذاك كله قامت الحرب الأهلية في أوغندا ليرى الناس والعرب جميعاً أن النصر والتأييد حليف أعوان الغرب ديانة وسياسة واقتصاد وأن اليهودية والمسيحية عنوان لا ينفصلان في حرب ولا سلم وأن دول أفريقيا دول مسيحية شاء العرب أم أبو، ولا يهمك سواد المسلمين ولا المواقع الجغرافية ولا التاريخ ولا حقوق الإنسان إذا تعارضت وأهداف السياسة العالمية لتسيير دفة الحكم تحت شعار إعادة الرأسمالية أو الشيوعهية أو الاقنيم الثالث الصهيونية العالمية .

هذا وفي النفس أشياء هاجها المظهر الكئيب والمنظر الرهيب من رؤية المتدفقين من الهاربين الفارين من ظلم الظالمين وكيد الماكرين من أوغندا التي كادت أن تكون منطلقاً إسلامياً وإشعاعا نورانياً لشرق أفقريقيا بمعاهدها العلمية وعلمائها ودور البعثات العربية الإسلامية في نهضة أوغندا تحت حكم عيدي أمين.

وفي النفس أشياء لا أبوح بسرها في صحيفة أو مجلة يقرأها ناقد أو حاقد واختم القول بالدعاء لقادة المسلمين أن يجعلوا أمن صالحنا وإياهم رحمة بالإسلام والإنسان على منهج الله الذي ارتضاه لخلقه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حررته على عجل واضطراب وفكر وتشـــوش بال تلاطمت فيه الأفكار تلاطماً على بحيرة فكتوريا التي كتبت عناصر هذه الأسطر على شاطئها.

كينيا في ١٥ جمادى الثاني ١٣٩٩هـ . . وصلى الله على محمد .

الدولة العاشرة ـ الحبشة

وقد تسمت بأثيوبيا تتميز في أفريقيا الشرقية بارتفاعاتها العالية وتاريخها الطويل الذي لا يدانيه تاريخ في أفريقيا باستثناء مصر وشواطئ البحر المتوسط وإلى وقت قريب كانت أثيوبيا تسمى الحبشة ولكن تغير بسبب الاتحاد بين الحبشة واريتريا حيث كانت مستعمرة لإيطاليا وسميت في أوروبا مملكة القديس يوحنا وكانت في عزلة فرضتها الحبشة على نفسها ولكن بعد الامتياز الفرنسي لمد خط حديد عام ١٨٩٤م بين جيبوتي وأديس أبابا والذي يبلغ طوله ٧٨٣ كم تم بنائه عام ١٩٢٦م كما تم نقل عاصمة الحبشة إلى أديس أبابا ومعناها الزهرة الجديدة أو المتفتحة، تولى هيلاسلاسي الملك عام ١٩٣٠م غير أن إيطاليا احتلت الحبشة عام ١٩٣٦م حتى تحريرها عام ١٩٤١م وضمت اريتريا إلى الحبشة عام ١٩٦٢م وبذلك لم تعد أثيوبيا منعزلة عن العالم، ولم يرضى الاريتريون بالوحدة مع أثيوبيا فقامت جبهة تحرير اريتريا التي كتب لها النجاح وتمكنت من تحرير جزء غير قليل من الأراضي لتسيطر عليها وترفع علم اريتريا المسلمة مع وجود خلاف وانقسام في حركة التحرير، وقد زال وعاد الوئام بعد عراك طويل وإعلان الدولة دولياً.

ـ مع جبهة الإنقاذ للصومال:

سكنت فندق أثيوبيا والتقيت بأفراد من أعضاء جبهة الإنقاذ الصومالي بزعامة الشيخ حرسي ورفقاءه، عرض علي أن يعرفني بالجبهة فلم أمانع وكان لقاءنا في الصالة العامة بالفندق وهو يتحدث ماذا نريد ولماذا نقاتل وفي الخمسة الأيام التي أمضيتها بالفندق كنت أمضي بعض الوقت معه فاعترضت على لجوءهم للأحباش ضد المسلمين في الصومال، قال أن الأحباش آووا أصحاب رسول الله ﷺ أيام النجاشي حين ضايقهم العرب

ولنا بهم أسوة حسنة، كما أن قتالنا للصومال لم يكن إلا للحكومة الكافرة وبالذات زياد بري المتعصب في سياسته المتحجر في فكره، فقلت كيف احتماءكم بالروس، فقال طلبنا من الدول العربية فرفضوا إلا بشروط معينة، أما الروس فهي لا تطلب شروطاً وليس لها الحق في إدارة سياستنا ولم نسأل عما عليه روسيا، فقلت وليبيا، قال ليبيا كالأعاصير لا قمة لها ولا جذور، ولن نستفيد من هذا المدد ولن نكون في معية القذافي، هل أنتم تكرهون المملكة وسياستها، فقال معاذ الله المملكة هي الأم للعالم الإسلامي وأنا أعرف سياسة المملكة وأقدر لها قدرها ونعرف موقفها من زياد بري المجرم الحاقد سلطه الله على قوم مستضعفين انتهى.

الذي رأيته:

لقد لفت نظري تكاثر الفتيات في دور في المقاهي والمطاعم والأسواق ودور السينما والشارع العام، فكأن ثلثي السكان من النساء على مختلف الأعمار والأجناس الأبيض يماني والأسود حبشي المهجنين كثير لا حجاب ولا احتشام ولا مظهر يفرق بين المسلمة وغيرها، كدت أحسب أن انفلات الخلق وبذاءة المرأة في مانيلا بالفلبين فقط وإذا كل في الهوا سوا، إلا أن عرض الأجساد بالمكياج سمة الشرقيات الفلبينيات، أما الأفريقية تفوق بالطبع غير المتكلف على حد قول أبو الطيب.

حسن الحضارة مجلوب بتطلية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

لقد أغرق الشعراء في وصف القد والجيد والأرداف ورق الحواشي والشفتين وتجعد الشعر والمشية والتثنيني، لا أخال البنت الحبشية خلو من هذه الأوصاف وكما قيل لكل ساقط لاقط، لا يكاد يمضي ثلث الليل أو ربعه حتى لا ترى واحدة إلا ومعها القرين وتحلوا الملتقيات، جلست في مطعم شعبي لاستطلع ولم أطلب شيئاً فجاءت إحدى المباشرات (تشا شي) تريد شيئاً بلغة اليمن فقلت ما عندكم فقالت هي العصيدة ولا شيء غيرها

هنا، فقلت هاتي وكأســاً من عصير فقالت لا شيء غير الماء، شعرت مني بالاشمئزاز والتقزز وعدم الارتياح فقالت أنت سعودي، فقلت نعم فقالت هــذا مطعم الأثيوبيين فهل أحــد أبويك أثيوبي، فقلت ربما يكون يمني ولا شــيء كلنا بني آدم، وناولتها صدقة وإحساناً وانصرفت. وأغرب من هذا وأعجبه مررت بمدرسة إسلامية تديرها امرأة اسمها صفية ورثت هذه المدرسة عن أبيها فكانت هي المسئولة فعرفتني على حال المدرسة وحاجتها للمساعدة وأخبرت أن أرضاً تابعة للمدرســة يريــدون تعميرها ورغبت مني الاطلاع عليها وهي على بعد من المدرســة الحالية فوافقت وأحضرت الســيارة وبها أربعة ركاب والسائق فأمرتني أن أركب بجانب السائق وصفية تكون خلف فوق أفخاذ الرجال الأربعة، فقلت هذا لا يجوز على الاثنين من الركاب أن ينزلا وأركب مكانهما وبجانب السائق تكون المرأة ، لا أدري إلى هذا الحد كان برود اللحم أم الشــيطان غاب عنهم أم هو الطبع والانطباع الإباحي أم الفقر أنساهم والشــهوة غابت عن ملامس الأجساد المحرمة شرعاً، وقفت على الأرض وتكاليفها وأخبرتني أن ليبيا ســاعدتهم بمبلغ مالي ولا شــيء غيره من الــدول العربية، أردت من إيراد هذا الحــدث كيف غابت الغيرة ولو عند المنتســبات لخدمة الدين ودراســة اللغة العربية لغة القرآن الكريم، الفتاة الحبشية أكثر اســتخداماً من الفتيان الأحباش خارج بلادهم، حدثني الشــيخ الهدية رئيس أنصار السنة المحمدية في السودان أن عشرة آلاف فتاة أثيوبيات أعلن إسلامهن لإعطائهن ســمة دخول المملكة لاستخدامهن في جدة بواســطة مكاتب الاستقدام ولا زال الســيل الجارف من الحبشة لدول الخليج هرباً من شــبح الجوع وسطوة الأمراض والحكم الجائر نعوذ بالله من الكفر والفقر ومن كل بلاء.

- الهيئات الإسلامية في أثيوبيا:

مما هو معلوم أن المســلمين في الحبشــة قد عانوا من حكم هيلاسلاسي من الناحية الدينية ضغوطاً، وبعد الثورة أعطت حرية الأديان وســادت بين

الإســـلام والمسيحية بل توددت إلى المســـلمين بجعل العيدين عطلة رسمية وكذلك ذكرى مولد الرسول ﷺ وأذنت ببناء المساجد وفتح المدارس العربية على أن تتكون لجان شعبية تشرف على المدرسة وتختار المدير لها. لذا فإن نشاط المسلمين ينصب على بناء المساجد والمدارس وقد حاولوا إيجاد مجلس أعلى للمسلمين، وتبنى هذه الفكرة الشيخ محمد ثاني إمام الجامع المركزي (جامـــع انور) ولكن الموافقة جاءت متأخرة مع عدم التزام الدولة بالاعتراف الكلي ولكن تســـمح بالنشاط الديني على أن تكون الدولة عارفة بما يجري من الاتصالات والمخابرات حول نشـــاط المجلس وقد تكون المجلس بالفعل وركز على تعمير المساجد وإحياء المدارس مع تحفظ وخوف سيما وأن الشيخ محمد ثاني له صلة بالمملكة فهو متعاقد مع رابطة العالم الإسلامي وقد قُتل ابنه بحجة أنه سياسي يتعامل مع جهات خارجية.

أما المدارس في العاصمة فهي:

١ ـ المدرســـة الأولية تأسست منذ ثلاثين عاماً وكانت تقوم على حساب المواطنين والأهالي وهي ســـلفية المنهج ، يدرس بها خمسة من الجامعيين: اثنان من الرابطة، واثنان من الجامعة الإسلامية وواحد من قبل دار الإفتاء، وتقوم رابطة العالم الإســـلامي بصرف مســـاعدة شهرية قدرها عشرة آلاف ريال تصرف بواسطة السفارة للمدرســـة المذكورة مصاريف ورواتب بعض مدرســـين محليين ومستخدمين، يدير هذه المدرســـة مبعوث الرابطة الشيخ محمد بشير وســـعادة القائم بأعمال السفارة يوليها اهتماماً خاصاً ويزورها من حـــين لآخر ويتفقد أحوالها. وقد أعطتهم الدولـــة أرضاً خارج المدينة ليقيم عليها مبنى المدرسة ولكنهم يعجزون عن تسويرها فضلاً عن بنائها.

٢ ـ مدرســـة الجالية العربية اليمنية: تأســـســـت منذ أربعين ســـنة وكانت الأولـــى في أديس أيابا وجرى لها أطوار آخر طور هو أن اســـتولت عليها الحكومة اليمنية الجنوبية وزودتها بالمدرسين وألزمتهم بالمنهج الجنوبي وأخيراً اشتركت حكومة اليمن الشمالية بدعم هذه المدرسة بالمبعوثين على أن تأخذ

حصتها في منهج التعليم في اليمن الشمالي، زرت هذه المدرسة وتحدثت مع المسئول الذين أدارها عشرين سنة وقال بصراحة أن هذه المدرسة لها تاريخ ولكن السياسة هي معول الهدم والتخريب وأنا شخصياً غير مرغوب في ربما أتخلى عنها نهائياً.

٣ ـ مدارس أبادير تأسست عام ١٩٦٢م لغرض تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي واستخلاص أبناء المسلمين من مدارس الإرساليات التبشيرية وهي تضم ثلاث مدارس على المراحل الثلاث، تعاني مدارس أبادير الثلاث أزمة مالية كادت أن تغلق أبوابها إلا أن حكومة ليبيا بادرت في العام الماضي بصرف مساعدة مالية تقدر بـ (١٤٠,٠٠٠) برأي ما يقارب سبعين ألف دولار أمريكي، وقد اتصلت بهم جهات يسارية وساومتهم على تطبيق المنهج الاشتراكي الماركسي ولا زالت اللجنة متأرجحة بين القبول والرد، وسألت عن اتجاههم العقائدي فأخبرني الأخوان أن أبادر مزار من مزارات الخرافيين والمبتدعين وأصحاب هذه المدارس لهم ميل إلى البدع والخرافات، وقد قابلني رئيس اللجنة وبدأ حديثه بالتحدث عن الصوفية ومالها من فضل من نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا، وعرضت عليه قبول مبعوث من قبل الرئاسة فقال نرحب بكل دعم ومساعدة تأتينا من حكومة المملكة العربية السعودية، وشكر جهود المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين.

٤ ـ مدرسة فتح: هي المدرسة الرابعة في أديس أبابا وهي قديمة قدم تأسيس مسجد النور الذي قيل عنه أنه بني في ليل قبل سبعين عاماً ومدرسة الفتح مدرسة عربية إسلامية تشبه المدارس سابقة الذكر تعتمد على نفقات الأهالي وتبرعات المحسنين.

هذا ما تمكنت أن أتعرف عليه أثناء إقامتي في العاصمة الأثيوبية ومدتها خمسة أيام.

الدولة الحادية عشر: نيجيريا الفدرالية

هـي الدولة الكبرى لغرب أفريقيا وهي الرحم للبعث الإسـلامي ومنها العلماء الأفذاذ والقادة المبرزين في السياسة والكياسة وبالأخص الشمال من قبائل الهوسا والفلاني في القديم والحديث .

شـاعت أخبارهم إذ كانوا صداً لحركة التجديـد للجزيرة العربية فكان العجب ملئ السـمع والبصر لمن سمع الخبر، مراكز إسلامية ومعاهد دينية وكثافة سـكانية وثروة معدنية تعطي قوة للإسـلام والمسلمين، وكنت إبان الطلب أعشـق أخبارهم عبر ما ينشـر ويذاع وبعد التخرج عام ١٣٨٤هـ صنفت قاضياً وباشرت العمل غير أن رغبتي الملحة في غير كرسي يحبسني بين جوانب الحيطـان الأربع أو لقب يغريني بالعجب ومظاهر الحياة الفانية وما عند الله خير وأبقى.

عرضت على المسـئولين رغبتي والتي هي من فطرتي الانتقال إلى سلك الدعوة خارج بلدي فكان لنيجيريا الفدرالية.

وبتاريخ ١٣/٨/١٣٨٧هـ كانت الرحلة الأولى ولمدة تسعة أشهر أقمت بها.

ثم كانت الثانية في ٢٢/٥/١٤٠١هـ مع وفد لدول غرب أفريقيا.

ثم بتاريـخ ١٠/٤/١٤٢٠هـ في دورة للدعاة، وحتى لا أهيم بالقارئ الكريم في متاهات المعلومات عن نيجيريا اقتصر على ما هو آت:

١ ـ لقاء مع ذي القرنين سلطان ألورن مقال نشر في مجلة الدعوة.

٢ ـ تقرير موجز عن تحركات الوفد ومعلومات عن نيجيريا.

٣ ـ عن الدورة التعليمية للدعاة والأئمة ومقارنة الحالي بالماضي.

اسـتبيح القارئ عذراً في الاختصار والاختزال مع وفرة المعلومات ومن العدل التسوية بين الدول في تحبير الورقات، والله ولي التوفيق.

الرحلة الأولى:

لقاء مع ذي القرنين.. سلطان الورن – نيجيريا.

الزيارات التي حظيت بها في جمهورية نيجيريا مدينة الورن الواقعة غرب شمال العاصمة المركزية لجمهورية نيجيريا الفدرالية (مدينة لاجوس) على بعد مأتين وعشرين ميلاً وليست هي من كبريات المدن ولكن لها تاريخ مجيد ومآثر مما يستدعي التنويه بها ومعرفتها.. لهذا اقتطفت من برنامج الزيارات هذا الحديث الذي جرى أثناء زيارة حاكم المنطقة السلطان محمد ذو القرنين. وقد أعطيته الوعد بنشره وإعلانه (فرب مبلغ أوعى من سامع).

ومما لا يخفى جهود حكومة جلالة الملك تجاه إخوانه المسلمين والحركة الإسلامية الواعية وقد أسند الأمر في ذلك لأهله ورواده صاحب السماحة مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها ومن ورائه نجله الميمون فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ نائباً للمفتي، وقد جد السير وسارت الوفود قدماً تترى أختها الأخرى فانتدبوا لهذا الأمر من رأوا فيه الكفاية والقيام بأعباء الرسالة فكان لي شرف السبق في هذا المضمار فقد لبيت نداء ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وذلك بتكليف من دار الإفتاء والإشراف على الشئون الدينية وكانت وجهتي نحو غرب أفريقيا وفي الإقليم الجنوبي من نيجيريا وبالتحديد بالمركز العربي الإسلامي باجيجي فكان التوفيق حليفنا ومعونة الله ترعى عباده المخلصين (والله لا يضيع أجر من أحسن عملا) فلعلك أيها القارئ الكريم تستشف من خلال هذا الحديث مدى قوة الروح المؤمنة بالله المصدقة بوعده ووعيده من أبناء الأفريقيين السود الذين مضى على حكم الاستعمار في بلادهم مائة عام وهو يعمل جاهداً في تنصيرهم وصدهم عن دينهم وهو مع هذا كناطح الصخرة الصماء إنه سر ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]

وقبل البدء في الحديث أزجي هذه الأرقام فلعلك لم تسمع بها أو سمعت بها ونسيتها أول اتصال الإنكليز بنيجيريا عام ١٥٥٣م سقطت لاجوس العاصمة تحت حكم الإنكليز عام ١٨٦٣م ، نالت استقلالها عام ١٩٦٠م. سكانها ٥٥,٦٥٣,٨٣١ ، المسلمون منهم ٣٦,٩٣٨,٨٢١ ، المسيحيون ١٣,٢٩٥,٠٠٠ ، الوثنيون وغيرهم ٥,٤٣٠,٠٠٠ . ومن اجيجي حيث منار المركز الإسلامي العربي الواقع شمال لاجوس على بعد ثلاثة عشر ميلاً انطلقنا بمعية فضيلة الشيخ الحاج آدم عبد الله الألوري عميد المركز المذكور وقد مررنا في الذهاب بالمدن التالية : شفامو ـ إبادان ـ ايوو ـ اجيبو ـ ابوموشا ، وفي الإياب من الورن ـ اجاش ـ اوفسا ـ ايرمن ـ اوكوكو ـ اني لشار ـ اكيرون اوشوبو ـ ايدي ابيكوتا . ولكل مدينة من هذه المدن آثارها الإسلامية القديمة البالية وتعاليم المسيحية الناشئة الناشطة ، ومنذ سيرنا لم تنقطع الرجل فالمشاة عبر الطريق والقرية تلو المدينة وعلى جنبات الطريق أنواع المزارع بمختلف الثمار وصدق الله إذ يقول ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] وصلنا الورن وقد أذن لصلاة المغرب فكان منزلنا في مسجد جبهة العلماء حيث انتظار المصلين للشيخ العربي ليؤمهم وبعد الصلاة التف المصلون حولنا للسلام والترحيب فجلسة مختصرة مع العلماء يعبرون عن أحاسيسهم وشعورهم تلقاء زيارة العربي المسلم الوافد من الحرمين وأغلبيتهم يعبر عن لسانه أسارير وجهه وخلجات عيونه وابتسامة السرور والفرح حيث لا سبيل للتعبير باللسان العربي ثم صلاة العشاء فالتوديع إلى المنزل المعد للضيافة وكان من الجاري عندهم أن يكون منزل الضيف على الأمير ولكن الوجيه الحاج يحيى أحد أعيان البلد استأذن الأمير في ضيافة الشيخ العربي فكان له ما طلب ، وقد أحسن الضيافة وجاد بالقرى وكان إقامتنا ورحلتنا تبدأ من الأحد وتنتهي بالخميس خمسة أيام فقط ، ومن أبرز ما في البرنامج هو يوم الاثنين زيارة الحاكم ويوم الثلاثاء زيارة الجمعيات والعلماء ويوم الأربعاء حضور الحفل لتوزيع الشهادات على

خريجي دار العلوم لجبهة العلماء ومن خلالها استقبال الزائرين في بيت الضيافة فكان شعوري إزاء ما رأيته ولمسته أثناء هذه الرحلة شعور المذنب الخجول المفرط أمانته المضيع وديعته، إنها أمانة الإسلام ووديعة الإيمان، كيف خسرناها في معاركنا الحاسمة الفاصلة، إن الملايين من هذا النوع يؤيدوننا في جميع قضايانا العامة والخاصة وهم منا كالجسد الواحد وهم مع هذا ليسوا منا على شيء ولكنه سحر الإيمان وحلاوة القرآن، الله أكبر الله أكبر الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فلنعد إلى عنوان الكلام وفي صباح الاثنين وبعد إفطاري نزلنا قصر الأمير المحاط بالسور الحجري في قلب المدينة ويطول بنا الحديث لو أدرجت ما رأيته من تقاليد وعادات ولكن أبشع ما رأيته منع دخول القصر بالنعال (طبعاً لغير الزائر) والانحناء والسجود له على الأعضاء الستة والدنو منه حبوا والأمير ذو القرنين هو الحفيد التاسع للباكور عبد السلام الذي جمع بين إمامة الدين وسياسة الحكم في هذه المنطقة من عام ١٨٣١م ومن بعده أسرته وبنوه يحذون حذوه ويتبعون خطاه، والأمير شخصية سياسية قد شغل عدة مناصب في الدولة فكان السكرتير العام للحاكم متى شغل منصب الوالي في هذا الإقليم، فكان خير من يرث كرسي جده وقصر آبائه، فأهل هذه المنطقة يدينون لهم بالولاء والفضل والإمامة في الدين، وقد جرى الحديث معه على النحو التالي: فبعد التعريف والتقديم من فضيلة الحاج آدم الألوري استأذنت في الكلام ومما قلته بعد الديباجة بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ لقد من الله على العالم الإسلامي والعربي أن رفع كابوس الاستعمار من بلادهم مما هيأ الجو لتعاون المسلمين والبحث في قضاياهم الدولية والمحلية بروح الأخوة الصادقة المؤمنة وتنظيم الصف الإسلامي الموحد شعاره ووحدانية الله المطلقة وإتباع هدي رسول الله ﷺ وسنته وأن مبدأ التعاون هو التعارف وقد عرفنا عن هذه البلاد من تاريخها القديم وعن أسرتكم الكريمة الخاصة ما يوطد الأمل في أصالة الإسلام

وتمكـــن الإيمان من قلوب أبناء هذه البلاد وما لها من مجاهدين ومكافحين تجاه عقيدتهم وإيمانهم فرحم الله أحمد بللو سردونا، فقد ذاع صيته وانتشر ذكـــره لتبنيه دعوة الحق وكان مثالاً رائعاً ورمزاً للجهاد والمجاهدين، كما لا يخفى على سموكم وعلى شعب نيجيريا ما قامت وتقوم به الجزيرة العربية من إمداد روحي ومادي في حاضرها وماضيها موقوف على خدمة الإسلام والمســـلمين وفصـــل خطاب إمام المســـلمين حامي الحرمين رائـــد التضامن الإســـلامي والداعي للوحدة الإسلامية فيصل ابن عبد العزيز ملك المملكة العربية الســـعودية كلل الله أعمال الجميع بالتوفيق والنجاح، وكانت كلمتي لا تتجاوز عشرين دقيقة شـــطرها للمترجم واختتمت بالدعاء وكان يصغي بإمعان وتفكر ثم اســـتفتح الكلام وقال إن ســـكان هذه المدينة يبلغون ربع مليون وســـبعون في المائة مسلمون وعشرون في المائة مسيحيون وعشرة في المائة وثنيون وفيها ألف مدرســـة تابعة لمراكز التبشير وحركة المسلمين جامدة كلاشـــيء بجانب حركة التبشـــير النصراني، ولولا جهود بعض الأفراد لما وجدتم من يســـتقبلكم في هذه البلاد وإننا في جهاد متواصل ولكن الإيمان وحده لا يكفي للبروز في الميدان فموقفنا موقف المدافع ونحن نهدد بالخطر الداهم على مســـتقبل الإســـلام إلا أن يتداركه الله برحمته فيعود له مجده وســـلطانه، ثم قال إن الإسلام لم ينتشر خارج الجزيرة إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ وذلك أن الصحابة خرجوا للعالم وأعلنوا دعوة الإســـلام وحملوا رســـالته علماً وعملاً فأسلم الناس وتســـلموا قيادة الأمة، وإني أقول بكل صراحة إن العرب المعاصرين قد فرطوا في قيادتهم وقصروا بجانب رسالتهم وإننا نحن المسلمين هنا نعزو الفضل الأول للعرب السابقين ونعتبرهم الأسياد وأهل الإمامة فينا وإن عدم وجود الخلافة الإسلامية أو الحاكم العام للمسليمن مما ســـبب تفكك جماعة المسلمين وتخلل صفوفهم وتشعب طوائفهم وإننا نتابع ما تحصل عليه الدول العربية المنتجة للبترول منذ البداية وأظنه قال من عام ١٩٣٧م فلا نرى له أثرا في بلاد إخوانهم المسلمين وإن حصل فنزر لا

يذكر بجانب ما تمده أمريكا من المساعدات والمشاريع لإصلاح البلاد وتقدمها وهم لا يرجون من جزاء ونحن لا ندين لهم بولاء ولا بمحبة بقدر ما ندينه للعرب والمسلمين ، ولقد زارنا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح إمام حرم المدينة المنورة عام ١٩٦٣م وبات عندي في هذا القصر ليلتين أعدها من أنفس أيام العمر حيث حظيت بإمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور قصري ويشرف بلادي وأن يشاهده إخوانه المسلمون وقد أوصيته بتوصيات ورجوته أن يبلغ المسئولين وأن ينقل شعور المسلمين هنا إلى من يهمهم الأمر عندكم ويعنيه لم شعث المسلمين وتقدم عجلة الإسلام وإني لأرجو أن يكون مجيئكم هذا أثراً من آثار تلك التوصيات التي نقلها فضيلته مما يطمئنني على مدى اهتمام حكومة الحرمين بشأن إخوانهم المسلمين كما أخذ عليك العهد والوعد بالوفاء أن لا تكتم شيئاً رأيته وسمعته ولمسته عن وضعنا عامة وعن محضرنا هذا خاصة، ثم أشار لخادمه فانطلق فأبرز لي بروازاً كبيراً يضم صورة الأمير مع صورة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وقد علقه في مجلسه الخاص مما يدل على غاية الحفاوة وعظيم التقدير والاحترام ، ثم كان التوديع فكان اللقاء به يوم الأربعاء في حفل توزيع الشهادات لخريجي دار العلوم لجبهة العلماء في الورن حيث تولى هو تسليم الشهادات لأصحابها وكان الحفل قد أعد على شكل مهرجان شعبي عام من برنامجه كلمة الضيف وكلمة الأمير وهذه بعض الجمل التي وردت في خطاب الأمير في الحفل . فقال للجماهير: طالما وزعنا الشهادات الإنجليزية وكأن اللغة العربية لا أثر لها في التعليم هنا وها نحن من عامين نوزع شهادات طلاب العلوم العربية الإسلامية وإنه لكبير الشرف أن نرى من أبنائنا من يترجمون للمتكلم العربي ومن يخطب باللغة العربية الفصيحة وهذا من غير شك ثمرة أعمال الدعاة المجاهدين وأخص منهم العالمين الكبيرين الألوريين الحاج آدم عبد الله والحاج كمال الدين حبيب الله الأدبي فهما خير من زرع وأنتم ثمار غرسهما ثم أعاد حديثه شاكراً لزيارتي

وتشـــريفي وما ألقيته من كلمة في الصميم ورجاء أن أشرف الحفل في كل عـــام ثم أعاد وقال إن المبشـــرين هنا قوامهم علـــى إخوانهم في دينهم من الأوربيين والأمريكان وأنهم يمدونهم بالإمكانيات الضخمة والمساعدات التي لا تقاس ولا تحد وإننا صفر اليدين من مســـاعدات إخواننا في الدين الذين يمتلكون ينابيع الذهب الأسود ولكننا لا نيأس فالجو قد تهيأ والحمد لله وإذا كان المســـتقبل في الأعوام الماضية لتعليم الإنجليزيـــة فإن الزمان يدور دورة وســـيكون المستقبل للغة العربية وللعرب والمسلمين إن شاء الله تعالى (دوى التصفيـــق والهتاف) وقال إذا كان العرب يحبون الرســـول فاليتقدموا بتراثه وشريعته للعالم كما أحبه صحابته وأتباعه وإننا وإن أسودت جلودنا وعجمت ألســـنتا فإننا نحب رســـول الله حقاً وندين بدين الإسلام صدقاً ولولا ذلك لكنـــا أثراً بعد عين والله يعطينا وفـــق مقاصدنا وغاياتنا وهو لا يخفى عليه خافية، ثم أطنب في الحديث عن مقام أســـرته وصمودها لمناصرة الإسلام هنا والتعليم العربي الإســـلامي وكان من ضمن برنامج الحفل كلمة لفضيلة الشـــيخ الحاج آدم عبد الله وبعض الأناشيد والقصائد في مديح الأمير ومن الجدير بالذكر أن كل الخطباء يخطبون باللسان العربي ويترجم المترجم باللغة المحلية (اليورباويه) هذا بعض ما سجلته ووعيته من مقابلة الأمير ولكل يوم من أيام هذه الرحلة ما يســـتدعي نشـــره والإفصاح عنه إلا أنني التزمت بما وعدتـــه وغيرت الكلمة حول حضرة الأميـــر ومقابلته، لهذا اقتصر على ما كتبت رجاء أن القراء قد تزودوا بمعلومات عن هذه البلاد وعرفوا عن إخوان لهـــم يبادلوننا الشـــعور يجمعنا بهم رابطة الدين وهم لنا كالســـند الحصين ولكننا وللأسف ننظرهم شزر ونعدهم من سقط المتاع ولعلنا لم نعرف فمن الآن نعرف أن الإسلام وحده هو سلاحه وأن الشعوب المؤمنة هي معنا وفي صفنا وإننا بغير إخوتنا لا نعيش وبغير أنصارنا لا نتمكن من تحقيق ما نصبو إليه وإلا سوف نصبح ســـلباً ونهباً للدول العلمانية ومبادئ الإلحاد الكفرية والله نســـأل أن يحقق للأمة الإسلامية مجدها الخالد وأن ينصرها على كل

من يناوئها . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرحلة الثانية:

أ ـ تقديم:

بقيت أصالة الإسلام في شمال نيجيريا بسبب الحركات الإسلامية، كحركة الإمام عثمان بن فودى في القرن الثالث عشر، كان لمشايخ الطرق يداً في تثبيت الإسلام بمفهومية الصوفي، أما المناطق الجنوبية الغربية فغالب سكانها من قبائل اليوربا ولم يدخلوا الإسلام إلا بواسطة الدعاة من الهوسا والفلاتي. أما المشرق فكان منطقة وثنية ركز الاستعمار الإنكليزي على تنصيرها كما اهتم بأهلها من النواحي التعليمية لما يعلمه من وجود البترول والذخائر الأرضية وليبقوا ركيزة نصرانية في نيجيريا. ويقدر عدد سكان نيجيريا بثمانين مليون نسمة نسبة غير المسلمين ٢٠٪ وهي جمهورية اتحادية فدرالية تتكون من تسع عشر ولاية كل ولاية مستقلة بذاتها إدارياً وتشرف الحكومة الفدرالية على السياسة الخارجية والدفاع والتعليم العالي.

وتقوم على تعليم المسلمين بجانب الحكومة الجمعيات الإسلامية وأهمها وأكبرها جمعية أنصار الدين وجمعية أنصار الإسلام ونصر الإسلام وأنوار الدين ونوار الدين والوقف الإسلامي واتحاد الطلبة المسلمين وللقاديانيين نشاط في التعليم والنشر وفتح المستشفيات.

وتعتبر قاعدة أفريقيا الغربية ومن أهم صادراتها البترول والمحاصيل الزراعية ونيجيريا أكبر دولة أفريقية.

ب ـ تحركات الوفد وسير عمله:

قرر الوفد زيارة خمس ولايات في نيجيريا هي: لاجوس، ابادن، كادونا، سكوتو، كانوا.

١) لاجوس: مكث الوفد بها خمسة أيام التقى خلالها بعدد من الشخصيات الإسلامية والمراكز والجمعيات، كما تعاون مع السفارة السعودية ومكتب رئاسة البحوث العلمية على إنجاز الأعمال ورسم خطة العمل في

لاجوس، كان أول مركز زاره الوفد هو المركز العربي الإسلامي في أجيجي ثم مركز الدعوة والإرشاد في موشى فجمعية أنصار الدين ونوار الدين وجامعة لاجوس وكانت اللقاءات والزيارات تتمثل في تبادل الرأي وإلقاء النصائح والتوجيهات لكل من زاره الوفد، وقد لمس الوفد عند بعضهم نوعاً من الانغلاق وعدم الانفتاح حيث قدم للمركز العربي الإسلامي مساعدة مالية رفض صاحب المعهد قبولها واعتذر للوفد بقوله إننا لم نألف هذا الأسلوب رغم أن صاحب المركز الحاج آدم عبد الله الالوري يتقاضى مرتباً شهرياً مقداره ألف ريال من رابطة العالم الإسلامي ولم نفهم لهذا الرفض تفسيراً سوى الأنفة والحذر من أن يكون للمعونة أثر في سياسة المعهد.

ج ـ ابادن:

زار الوفد ولاية ابادن ومعه مبعوث رئاسة البحوث العلمية إلى جامعة ابادن الشيخ علوي آدم فتجول الوفد في المراكز التعليمية وزار جامعة ابادن وتم إلقاء عدد من المحاضرات في المساجد ومراكز التعليم ومن أهم المراكز التي زارها الوفد في ابادن المعهد العربي الإسلامي الذي يرأسه الحاج مرتضى عبد السلام وهو من أكبر المعاهد وأهمها في المنطقة وقد صرف الوفد مبلغ خمسة آلاف دولار مساعدة عاجلة للمنظمات والجمعيات والمدارس الإسلامية في ولاية ابادن من أهمها منظمة المسلمين ومدرسة النهضة العربية العالمية والمدرسة الخراشية الثانوية مما هو مذكور في سندات الاستلام، وسر الوفد بما شاهده من تقدم النشاط الإسلامي في ابادن وقد تفضلت حكومة جلالة الملك بمد يد العون والمساعدة لمشروع الجامع الكبير داخل الجامعة مما كان له أثر عظيم في نفوس المسلمين.

د ـ كادونا:

وصل الوفد إلى ولاية كادونا وفور وصوله التقى بجمعية نصر الإسلام التي أسسها المرحوم أحمد وبللو ويرأسها حالياً فضيلة الشيخ أبو بكر جومي وهي من أنشط الجمعيات الإسلامية كما أنها تعنى بنشر الدعوة أكثر من

غيرها، كما التقى الوفد بجمعية إزالة البدعة وهي جمعية حديثة انبثقت من جمعية نصر الإسلام ولها نشاط في محاربة البدع عموماً وطرق الصوفية خصوصاً ولها نشاط تعليمي أيضاً، كما التقى الوفد برئيس القضاة الشيخ بشير ساموبا وعضو جمعية نصر الإسلام وقد تم تقديم مساعدة مالية مقدارها خمسة آلاف دولار لكل من جمعية نصر الإسلام وإزالة البدعة وجمعية نوار الدين وكانت مدة إقامة الوفد في كادونا ستة أيام بذل فيها الوفد ما أمكن من النشاط في المساجد والمدارس واللقاءات وكان الوفد مرتاحاً لزيارة هذه الولاية.

هـ ـ ولاية سكوتو:

وهي مقر الخلافة الإسلامية حيث يوجد بها أمير المؤمنين سلطان سكوتو وهي وظيفة تقليدية كانت منذ حركة الشيخ عثمان بيللو وبهذه الولاية عدد من النشاطات الإسلامية إلا أنها تأخذ صبغتها الرسمية، فالتقى الوفد بالسلطان وتحدث كثيراً مع وزيرة الدكتور الجنيد وهو عالم فاضل، ومدينة سكوتو مدينة إسلامية محافظة.

و ـ كانو:

زار الوفد ولاية كانو والتقى بسعادة القنصل السعودي ومبعوثي رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، كما زار جامعة عبد الله بايرو والتقى برئيس قسم الدعوة الإسلامية الدكتور ثاني زهر الدين، وقد قام الوفد بإلقاء بعض المحاضرات في مسجد الجامعة ومسجد جمعية الدعوة، وفي كلية الشريعة وغيرها، كما التقى برئيس القضاة الحاج الدكتور حسن إبراهيم غوارز ورئيس المؤسسة وهي من أكبر المؤسسات التي لديها مشاريع إسلامية في الولاية، وقد غادر الوفد نيجيريا من مطار مدينة كانو حيث كانت آخر مدن نيجيريا التي زارها، آخر الدول التي كلف الوفد بزيارتها.

الرحلة الثالثة عام ١٤٢٠هـ:

نيجيريا كما عهدتها عام ١٣٨٧هـ والفوارق التي كانت عليه اليوم عام ١٤٢٠هـ.

أولاً: كانت العاصمة لاجوس وهي موطن اليوربا القبائل الوثنية والتي دخلت في الإسلام أغلبيتها عن طريق مشايخ البدع الصوفية وبالأخص التيجانية، وقبل خمسة عشر عاماً كانت فكرة نقل العاصمة إلى الشمال مدينة كانو، وسكان الشمال هم الهوسا والفُلاني وهم لهم قدم في الإسلام ودولة وخلافة لا تزال آثارها ثم تم تحديد العاصمة في مدينة أبوجا التي تبعد عن كانو أربعمائة وخمسين كيلو، وعن لاجوس قرابة ١٠٠٠ كيلو، ومدينة ابوجا قيل أن معناها أبو بكر وهي بلاد الهوسا ووجود العاصمة في بلاد الهوسا مكسب للمسلمين حيث إن إدارة البلاد وقمة الساسة هم من الهوسا إلا أن الاستعمار والعوامل الأجنبية تفضل اليوربا لما هم عليه من تسامح أو بالأصح من التدني في ديانتهم وكثرة من يتنصر منهم، ولكن مع هذا فإن الصراع قائم بين القبيلتين ولا تزال الدماء تسفك من حين إلى آخر، وآخر ما صرحت به الأنباء قبل أسبوع أن عدد القتلى ٣٠٠ من الطرفين الهوسا واليوربا. وقد سألت إمام الجامع المركزي عن سبب هذه الفتن فقال سببها بسيط ولكن النفوس متهيأة إلى المشادة والقتال، وكان من عادة الوثنيين أن يجتمعوا براهبهم إلى منتصف الليل فإذا خرجوا ووجدوا امرأة أمامهم قتلوها أياً كانت نسبتها القبلية أو الديانة، وقد كان أولى ضحاياهم امرأة من الهوسا فانتقم الهوسا من اليوربا بقتل عدد كبير منهم وهكذا قامت الفتنة بين القبيلتين المتنافستين في كل خلاف وطني أو ديني غير أن الحكومة تسعى لإخماد الفتنة قدر الإمكان وخلاصة القول أن وجود العاصمة في شمال نيجيريا يعطي مركزاً وهيبة للهوسا أكثر مما كانوا عليه من قبل، هذا هو التغيير الأول الذي جد بين زيارتي الأولى لنيجيريا عام

١٣٨٧هـ وزيارتي الثانية عام ١٤٢٠هـ.

ثانياً: التغيرات والتوجهات السلفية: فيما مضى لم يكن يقدر أحد أن يقبض يده اليمنى على اليسرى ويضعها فوق صدره في الصلاة وخاصة في الشمال المتمسكون بالمذهب المالكي فهم شديدوا الحساسية لمن يخرج على سنة ظاهرة، اقتنع بها المذهب المالكي وكان الشجار يقع دائماً إلى حد المواصلة وترك الصلاة خلف من يقبض ولم يسدل، كما لاحظت قلة المسابح التي كانت شعاراً لأهل الذكر من المسلمين ولا يتخلى عنها أحد عقب الصلاة من الإمام إلى سائر المأمومين، وفي نظرة عامة وجدت جل المصلين لا يحملون هذه المسبحة بل يسبحون بأيديهم، كما هي السنة وهذا دلالة على التأثر والتلقي لمبادئ السلف وعدم السير على العادة والمألوف، وقد سألت عن أحوال مدينة أهل سكوتو دار الخلافة هل كانوا على ما كانوا عليه في أزمان غابرة إذ كانوا لا يتوضئون بل يتيممون مع وجود الماء مقيمين في بيوتهم فقالوا: زالت هذه العادة واضمحلت وتأكد لدى الجميع عدم صحة صلاة من لم يتوضأ وهو قادر على الوضوء وإنما يباح التيمم من أجل عدم القدرة على استعمال الماء فالحمد لله على ذلك.

وظاهرة ثالثة كانت عند اليورباويين من المسلمين وهو تعدد الزوجات إلى أكثر من أربع وبالأخص عند مشايخ الطرق ومن يتلقى من المريدين ما يهدونه إليه من البنات وقد أفاد الإخوان بخفاء هذه الظاهرة وتلاشيها وذلك بموت القادة الكبار من أئمة التيجانيين، هذا كما قد سألت عن نشاط القاديانيين الذين كان لهم الصولة والجولة في ذلك الزمان فقالوا لقد اندثرت آثارهم واضمحلت أعمالهم وباءوا بالفشل، ومما كتبته بعنوان (حوار مع القاديانيين وجهاً لوجه) وفيه شيء من المجاملة لما لهم من صولة وجولة وتأثير آنذاك.

ثالثاً: أعلام فقدناهم: كان فيما كان علماء يشار إليهم بالبنان في نيجيريا أذكر منهم الحاج الشيخ/ آدم عبد الله الألوري مدير المركز العربي

في أجيجي قرب لاغوس وقد استفدت منه وأفدت في مركزه في حين ابتعاثي الأول عام ١٣٨٧هـ ومكثت معه ستة أشهر كتبت عنه بعد وفاته في الدعوة السعودية مقالاً أوضحت بعض جوانب من حياته تحت عنوان (علم كان فبان) وله مؤلفات متنوعة في العقيدة والتاريخ والأدب العربي وهو عالم لغوي مفسر وفيما أعلم ويعلم النيجيريون أنه عالم اليوربا الأوحد الذي كان مركزه العربي من أنجح المراكز وأقدرها على التعليم العربي بلغة فصيحة، وقد وافته منيته وانتهى أجله وبقيت آثاره في قبائل اليوربا، ومنهم العلامة الشيخ/ أبو بكر جومي رئيس قضاة شمال نيجيريا العالم السلفي وزير أحمد بلو المقتول ظلماً والعضو التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ومنهم الشيخ/ ناصر كمارا شيخ الطريقة القادرية في مدينة كانو اختفى أثره وزالت هيبته ولم يبق منه إلا الذكرى وكان رحمه الله سني الاتباع غير أنه ينتمي إلى الطريقة القادرية لأن العامة والسواد الأعظم زعموا أن من لا طريقة له فطريقته الشيطان، وقد تطرق التيجانيون في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: ١٦] قالوا: طريقة أحمد تيجاني، ومنهم العالم الكبير الوزير الشهير وزير سكوتو عمر أكثر من ١٠٠ عام قابلته آنذاك وكان شيخاً كبيراً لعله تجاوز السبعين عام ولكن ذاكرته ذاكرة الفتيان، لديه قوة بيان ومحبة للإخوان قلنا له: سنسافر غداً قال: لا مرحباً بغد، هؤلاء الأعلام الأربعة هم من كانوا في زيارتي الأولى لنيجريا عام ١٣٨٧هـ ممن يشار إليهم بالبنان ويتفق الجميع على فضلهم ومكانتهم غفر الله لهم.

رابعاً: أعلام برزوا: يصعب الحكم على الأحياء الذين لا زالوا يمارسون أنشطتهم التعليمية والدعوية لا نعلم ماذا سيختم لهم ولكن قد تهيأت الظروف لعدد كبير من الشباب ممن واصلوا دروسهم ودراساتهم في الدول العربية والإسلامية وبالأخص في المملكة العربية السعودية في الجامعة الإسلامية وجامعة أم القرى، فقد رأينا كماً هائلاً ممن يحملون الشهادة

الجامعية الليسانس وعدداً لا بأس به ممن أخذ الشهادة العليا (الدكتوراه) وعليهم وبهم تقوم الحركة السلفية والنهضة التعليمية في نيجيريا، أذكر منهم الدكتور/ خضر والدكتور/ أمي أبي بكر والدكتور/ رفيع وأناساً آخرين، وقد تبنى هؤلاء من خريجو الجامعة الإسلامية المناهج التعليمية المطبقة في المملكة العربية السعودية كما أن نيجيريا بها عدد كبير من الجامعات التعليمية وهي الأخرى تتجه إلى التقرب من المملكة قدر الإمكان لقناعتهم بالقيادة الدينية وسياسة الدول العربية للقادة السعوديين منذ أن أعلن الملك فيصل حركة التضامن الإسلامي والذي كان يؤيده في غرب أفريقيا المقتول ظلماً أحمد ابلو رئيس وزراء الشمال في نيجيريا وحفيد البيت الدعوي عثمان فيدو الفلاني غفر الله له، ومما أذكر من كلامه عام ١٣٨٧هـ أنه أعلن للصحافة النيجيرية حين زارت جلدمائير رئيسة الوزراء الصهيونية نيجيريا العاصمة لاجوس ورغبت أن تزور الشمال فقال أحمد ابلو: لتعلم أنها لو زارت الشمال لعادت جثة يعني التهديد بالقتل، أحمد ابلو من الزعماء المبرزين الذي كان صريح العداء للتبشير والصهاينة ومبادئ الإلحاد، وكان الملك فيصل رحمه الله يطمع أن يحذو حذوه رؤساء الجمهوريات الأفريقية في مقاطعة الغرب ومكافحة الشيوعية ولكن جاد القدر بما هو مسطور على الجبين يغفر الله لهم جميعاً، لا زلنا ننظر وننتظر إنتاج الأيام في زعماء قادة تحت راية التوحيد ومتطلبات الإيمان فالجو مهيأ والأسباب متيسرة والله ولي التوفيق.

خامساً: المنظمات والجمعيات من خارج نيجيريا في نيجيريا: اهتم المسلمون بالأخص دول الخليج والجزيرة العربية فأبدعوا في التنظيم وسبقوا التبشير وبذلوا من الوقت والمال ما عسى الله أن يكتب لهم الأجر والمثوبة في مقدمة أولئك (مؤسسة الحرمين الخرية) ومقر مركزها الدائم في ابدن من بلاد اليوربا، امتدت آثار هذه المؤسسة إلى مدن نيجيريا للدعاة والمساجد والكتاب ومنها: (المنتدى الإسلامي) والذي ينطلق من إدارته المركزية في

لندن فقد تخصصوا في دول أفريقيا حيث كان لهم الاهتمام البالغ في جميع الدول الأفريقية لافتتاح مكاتب وتبني مشاريع المساجد وكان لمكتبهم في مدينة كانو الأنشطة الدينية في المسجد وكفالة الإمام والمؤذن والمدرس وهكذا (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) و (رابطة العالم الإسلامي) و(الإغاثة الإسلامية) جهودهم تذكر ولا تنكر ولكن من الصعب الاستقصاء وكانت هذه الأنشطة لم تكن من قبل وإنما جدت بتجدد الأيام والتقارب الذي بفضله تم التفاهم في كثير من قضايا المسلمين ولا أظن أن هذه المؤسسات الخيرية الدعوية تملأ الفراغ وتحجب تلك المبادئ متعددة الأشكال والألوان إذ أن نيجيريا دولة علمانية تفتح صدرها لكل راغب ومستثمر ولو على حساب الخلق والدين وما أظن أن نوادي الروتارية في منأ عن الأنشطة الدينية كما أنّ الفاتيكان يرمق هذه الأنشطة بعين الحذر والخوف من انقلاب نيجيريا إلى بلد إسلامي، فلذا كان الصراع ولا زال بين القبيلتين الهوساويين واليوروباويين نسأ الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

سادساً: ومن الفوارق بين الرحلتين ١٣٨٧هـ ورحلة ١٤٢٠هـ: أن سكان نيجيريا آنذاك ٧٠ مليون من جميع السكان وعلى جميع الطبقات القبلية والدينية وفي هذا العام تجاوز سكانها مائة وعشرين مليوناً فما السر في ارتفاع تعداد السكان أهو من الصحة والاستقرار أم من خصوبة الأرحام أم كثرة تعداد الزيجات كل هذا حاصل إلا أن العامل الأخير هو أقوى العوامل وأكثرها انتشاراً وبالأخص بين المسلمين والوثنيين، أما الوثنيون فإنه لا حد لعدد الزوجات وبالأخص إذا كان من الزعماء والأعيان ومن يشار إليهم بالبنان، فإن من الفخر والاعتزاز والظهور كثرة الزوجات والأولاد، وقد حصلت واقعة من وثني أسلم وعنده عشرة زوجات فأخبر بأنه لا يجوز أكثر من أربع فعاد إليهن وأخبرهم بإسلامه وبما يمليه الحكم الشرعي فيهن فأمهلهن بعض الوقت لتحديد من يختاره وفي هذه الأثناء أسلمن جميعاً ودخلن في دين زوجهن ولكن عاجلت المنية بوفاة الرجل وفي ذمته النسوة

العشر ولم يختر منهن قبل وفاته أربعاً لهذه مسألة فقهية من يرث من العشر نسوة من هذا المتوفى ، وقد اجترأت على الفتوى وقلت بإشراكهن في الثمن جميعاً فهذا ما يصلح أن يكون لغزاً أو نكتة في الأحكام الفقهية، رجل توفي عن عشر زوجات يورثهن الإسلام فما الحل ؟ الحل ما ذكر.

أمام المسلمون فهم في الدرجة الثانية فقد أباح الإسلام التعدد بل أمر وفي رأي من يراه أن الأمر بالوجوب لقوله تعالى ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] وهذا يأخذ به جمع من أهل الفقه والأصح هو الاقتصار بواحدة ولو قدر على العدل والإنفاق ومع هذا فإن نظرية التكاثر بين المسلمين أمر مقطوع به فهو شرع ودين لأمر النبي ﷺ «**تناكحوا وتناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**» وقد يكون الدافع من المسلمين من النيجريين في التعداد هو مسابقة الوثنيين قدر الإمكان في اللحوق بهم من حيث التعداد والكم البشري ومن أخطر ما تواجه المسلمين حالات الطلاق والفراق والفسخ عنمدما لا تتهيأ الظروف للزوج بالعدل والتسوية والإنفاق التام ورعاية الأطفال وبالأخص في قبائل الهوسا الذين يلتزمون بستر المرأة وحجابها عن الأنظار ما دامت في عصمة الرجل وذلك في كثير من بيوت المسلمين وبالأخص علماءهم وقادتهم وأعيانهم.

أما المسلمون من قبائل اليوبا فإنهم لا يتكلفون في الالتزام بالنفقة أو الواجبات الزوجية فقد جرت عادة المسلمات اليورباويات أن يتجرن ويعملن كادحات لتتحصل على قوت زوجها وأبنائها ومن تحت يدها، فالرجل لا يلتزم بالالتزامات المنزلية وإنما المرأة من قبائل اليوربا هي المسئولة عن كل هذا حتى في ضروريات الرجل من لباس وسكنى وغير ذلك، فلهذا يكثر التعدد عند قبائل اليوربا مع انسجام في الزوجية وعدم إثارة الحزازات بينهن بدعوى العدل والتسوية والهبة، وقد يدفع الرجل اليورباوي لتعدد الزوجات حتى يكون في نعمة ورخاء وسعة لأن الزوجات الأربع والثلاث هن من يجلب المال ويكثر من الرجال ولا أظن المسلمين من هذه القبيلة يلزمون زوجاتهم

هذا الالتزام وإنما جرت العادة والعرف على مثل هذا أخذاً بالقوانين الوثنية فإنهم على هذه الشاكلة ولهذا لا يضير الرجل منهم أن يكون لديه أكثر من عشر زوجات. كما أن قبائل اليوبا لا يلزمون المرأة بلزوم البيت فليس للرجل سلطان ولا نفوذ فلهذا تأخذ المرأة اليورباوية حريتها في التصرف ومخالطة المجتمع بكليته كما أن الحجاب بالمعنى الشرعي غير مألوف ولا معروف وإنما تعصب المرأة على رأسها كعمامة الرجل لتقيها من حر الشمس أو لتحمل على رأسها فيقيها هذا الوقاء مما تحمله ، ومن عجيب ما رأيته عام ١٣٨٧هـ أن هناك جمعية كبرى تدعى (جمعية زمرة الحجاج) وهذه الجمعية كلها نساء وفي يوم في العام وقبل الحج يخرجن على الخيول في مسيرات وهن لابسات العقال المقصب إعلاناً للتهيؤ للحج فيجبن الشوارع على الخيول على شكل مسيرة صامتة يعرب المشهد عن كثرة من حج من النساء المنتظمة في هذه الجمعية فهذا هو الفارق السكاني بين عام ١٣٨٧هـ وعام ١٤٢٠هـ ولعل فيما أوضحت من أقوى الأسباب والعوامل في هذا النمو البشري .

سابعاً: العملة النقدية والاقتصاد الوطني: لقد حاولت قبائل الإيبو عام ١٣٨٧هـ الانفصال عن نيجيريا الفيدرالية وهم يسكنون المناطق الشرقية من نيجيريا وقد كان الاستعمار الإنجليزي قد ركز على هذه المنطقة من حيث الاقتصاد ومن حيث التعليم المرتبط بالتنصير فكان أغلبية هذه المنطقة من النصارى والنصارى هم من ينتسب إلى الديانتين البروتسانت والكاثوليك غير أن المحاولة فشلت وكان في مقدمة من ناصر نيجيريا الفيدرالية ضد الإنفصال الملك فيصل رحمه الله والحكومة السعودية، حدثني أبو بكر جومي رئيس القضاة في الشمال وعضو التأسيس لرابطة العالم الإسلامي قال: أتينا على رأس وفد من نيجريا للملك فيصل وأخبرناه بما حصل وطلبنا منه المساندة ضد الانفصاليين، قال الشيخ: فأمر الملك فيصل بالدعم غير المحدود وذلك بمساعدات عينية من الأسلحة والذخائر قال أبو بكر:

فعدنا إلى نيجيريا وأخبرنا بما تم استلامه من حكومة المملكة وكان الرئيس آنذاك يعقوب جوان نصراني، قال يعقوب: كيف تحملوننا هذه الديون ونحن لا نستطيع شحنها فقال أبو بكر قلت للرئيس: شحنها تتحمله المملكة فقال: وقيمتها فقال وقيمتها كذلك هذا هو الإسلام قال أبو بكر فوضع الرئيس يعقوب جوان يده على يدي وقال: لولا ما نحن فيه من حالة استثنائية لأسلمت.

ومن الجدير بالذكر أن يعقوب جوان هو من الهوسا سكان الشمال إلا أن أسرته تنصرت فتنصر تبعاً لها ولعله يكتم إيمانه. وكانت العملة النقدية آنذاك تعادل النيرة الواحدة النيجيرية خمس ريالات سعودية وتزيد أحياناً أما اليوم فالريال الواحد بثلاثين نيرة نيجيرية، كذلك العينيات من المواد الغذائية ترتفع وقت لآخر ولست من علماء الاقتصاد ولكن السبب واضح هو اضطراب الحكم المتقلب من حين لآخر فكم كان ضحايا هذا الكرسي اللعين الذي أطاح بعدد كبير من البشر فداء له وتضحية وما عسى أن يكون ذلك الكرسي إلا الزعامة والقيادة والأنانية والاستفزاز والعبث بمقومات الشعوب سواء كان ذلك اقتصادياً أو اجتماعياً وضرب كل القيم المبادئ الدينية والإنسانية فالاقتصاد مرتبط بالاستقرار سواء كان ذلك في التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو حتى الوظائف الحكومية لا يستقر لها قرار إلا بالاستقرار. وناهيك بالرشوة التي هي وظيفة كل موظف ولو على حساب الوطن والمواطنين، الرشوة داء ووباء تتضاعف يوماً بعد آخر في المجتمعات عموماً وفي مجتمع العالم الثالث خصوصاً، والعالم الثالث كما قيمه الأوربيون ينشد الثقة والأمانة بل والديانة الصحيحة فلعل ما يكنه الغرب لهذا العالم المسكين تتبدل موازينه وترتفع قيمته ويشهد له الغرب بالإنسانية حتى لا يكون عالماً، إن الرشوة مظهر من مظاهر الفساد المتفشي في نيجيريا على مستوى السلطة وكافة الإدارات، لقد عجبت من قصة رجل أتى ليحجز غرفة في فندق من الدرجة الأولى مما هو معروف التزام بالسعر

الرسمي كالفنادق العالمية المشهورة غير أن موظف الفندق طلب بالتصريح دفع الرشوة حتى يهيئ له غرفة وقبل هذا الطلب أهانه إهانة المنصرف المنشغل بما هو أهم حتى تفطن النزيل وعرف أن السفينة لا تجري على يبس وهذا دلالة على الفوضوية وارتباك الأنظمة الرسمية والتجارية والأهلية، أما ظاهرة الفقر فتعرف بكثرة المتسولين وبالأخص عند أبواب المساجد ويوم الجمعة ترى زخماً هائلاً ممن ينادون بأعلى أصواتهم وقد ينشدون شعراً ويكثرون الذكر بغرض التسول واستعطاف المصلين، ومما رأيته تكاثرهم عند إشارة المرور في لحظة انتظار الإشارة الخضراء فيتكالبون من الجهتين للسيارة وبالأخص على من عرفوا أنه غريب فالفقر هو من أحط الشعوب وأزال هيبتها بل حطم القيم والمبادئ الإنسانية وكفى ما قيل فيه (كاد الفقر أن يكون كفراً) من الذي جر أولئك إلى الاستسلام لما تمليه الكنائس ويروجه الرهبان ومن الذي دفع دور البغاء وملاهي السمر إلا ذلك الجوع المروع وبئس الضجيع ، والمهم هذه الفقرة أن الاقتصاد الوطني في نيجيريا لم يكن على أشده قبل ثلاثين عاماً فقد انحط ولا يزال إلا أن ينقذ الله البلاد بحكومة عادلة آمنة تعرف الله وما أوجب وتعرف حق الإنسان بمعناه الكامل وهذا لن يكون ما دام العرب هم الذين يديرون الرؤوس ويلعبون بالفلوس ويشترون الضمائر وهذا ما يشكوه العالم الثالث من القادة الأوربيين الذين لا يرونهم إلا محل تجارب وتفكك بعد أن خسروا القيادات المباشرة فيهم فعثوا في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين.

ومن عرفتهم في نيجيريا:

أبو بكر جومي: رئيس قضاة الشمال ومؤسس جماعة أنصار الإسلام: هو الشيخ العالم الفقيه المصلح الداعية عضو رابطة العالم الإسلامي والمستشار الخاص للزعيم المقتول ظلماً أحمد أبولو ـ رحمه الله ـ رئيس وزراء شمال نيجيريا ومن أحفاد الداعي المصلح المجدد الشيخ عثمان فيدو عليه رحمة الله.

فـي عام ١٣٨٧هـ ارتحلت إلى نيجيريا وهـي أكبر دولة أفريقية لغرض الدعوة إلى الله ومكثت بها تسعة أشهر كانت الثلاثة الأخيرة منها في شمال نيجريـا أتجول بين مدنها الثلاثة كدونا وكانـو وسـكوتو والتي تسـمى الأخيرة (دار الخلافة) يسكن الشيخ أبو بكر جومي في كادونا وفيها ألتقيت به ثم كانت الجولة التفقدية للمحاكم التابعة له في شـمال نيجيريا صحبته فـي هذه الجولة، ورأيت عجباً في التحاكم فـي المحاكم النيجرية فالقضاة خمسة يشتركون في قضية واحدة وهم كالتالي: القاضي الشرعي، والقاضي العسـكري، والقاضي المدني، والقاضي العرفي، والقاضي الدسـتوري، حضرت إحدى الجلسـات فعجبت كيف يحاول كل قاض أن تكون القضية لا يتعـارض الحكم فيها مع تخصصه، وكان الشـيخ أبـو بكر جومي هو الشخصية البارزة في الموضوع، إذا كانت القضية عائلية زوجية.

لازمت الشـيخ أبا بكر جومي في بيته ومسجده وأسفاره فرأيت الرجل التقي الذكي الورع الصالح ومع بسـاطة مظهـره ولين منطقه فإن له الهيبة والوقار سـيما من بني جنسه وقبيلته الهوسا، وكان أبو بكر ـ رحمه الله ـ المستشـار الأمين لرئيس الوزراء أحمد بولو، قلت له ذات يوم: لقد أعلنت الإذاعة أن الزعيم أحمد أبولو ستر قبر جده الشيخ عثمان بالحرير الأسود. وقـد كان أحمد أبولو زعيماً في السياسـة مناهضاً لإسـرائيل لكنه يجهل مقاصـد التوحيد، ولهذا أقدم على فعلته المنكرة ووضع السـتائر على قبر جده.

ترأس الشـيخ أبو بكر جومي جماعة أنصار الإسلام وهي جمعية تنحو منحى السـلف بعيدة عن الابتـداع والتصوف، وقد دعم الملك فيصل هذه الجماعة بواسطة رابطة العالم الإسلامي، كما أن الزعيم أحمد أبولو يرضى عـن هذه الجماعة ويؤيد مسـيرتها، فقد كان هو الآخـر يقوم بالدعوة في القـرى والأحراش والغابات، ومن حكاياته أنـه يأتي القرية ومعه الملابس والمسابح (جمع مسبحة) فيقول للناس: من أخذ ثوباً ومسبحة ولبس الثوب

وسبح لله هكذا كان مسلماً. فيتبادر الناس إلى أخذ الثوب ولبسه وفي أيديهم المسابح، ثم يعلن تلقيهم التوحيد جماعياً ويكتب على القرية بأنها مسلمة يمنع التبشير من دخولها، ويؤسس فيها المساجد والدراسة القرآنية ، وتقوم جماعة أنصار الإسلام بمتابعتهم وتثبيتهم على دينهم.

وأبو بكر جومي هو الموجه الأول والراسم خطط العمل في القرى والمدن، وقد قامت دولة الكويت ببناء مدرسة كبيرة تدعى بـ (كلية الصباح) سلمتها جماعة أنصار الإسلام للتعليم العصري وهي مدرسة تضم المراحل الثلاث (ابتدائي ومتوسط وثانوي)، كما أن رابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية وجهت عدداً كبيراً من الدعاة لمناصرة الشيخ أبي بكر والقيام بمجانبه في الدعوة إلى الله حتى ضاق التيجانيون وانحسر نشاطهم في كادونا بالذات، أما مدينة كانو فيتمركز فيها الشيخ محمد ناصر وهو شيخ الطريقة القادرية وهو على جانب كبير من الخلق والأدب واحترام الزائر، وفي سكوتو تفرخ التيجانية وهي دار الخلافة كما يسمونها، وقد كان الشيخ عثمان فيدو قادرياً ثم تحول أبناؤه وتلاميذه إلى التيجانية، ومنها وفيها تجمعاتهم يلتقون بالشيخ إبراهيم إناس الكولخي التيجاني زعيم الطائفة التيجانية في غرب أفريقيا.

وخلاصة القول أن الشيخ جومي عالم مصلح مجدد سلفي، توفي على تلك الحال الرضية والطريقة السنية ، عليه رحمة الله وبركاته ويغفر الله لنا وله.

كتب ذلك بقلمه ونطقه بفمه إسماعيل بن سعد بن إسماعيل العتيق في الثامن من شهر ربيع الثاني ١٤٢٠هـ

الدولة الثانية عشر
جمهورية السنغال وعاصمتها دكار

التاريخ نسبت كلمة سنغال إلى قبائل البربر صنهاجا التي احتلت جزءاً كبيراً من النهر المسمى بالسنغال وقد دخلت البلاد في الإسلام إبان القرن الحادي عشر ميلادي بفضل حركة المرابطين جنوب السنغال ١٠٤٠م وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر ظلت السنغال جزء من مملكة مالي الإسلامية وتدعى بالامبراطورية ثم أسسوا حكومة إسلامية حتى سنة ١٨٩٠م قبل أن تجبر على الانضمام إلى المستعمرة الفرنسية، كما احتل الإنجليز سواحل السنغال سنة ١٧٥٨م ثم أعيدت لفرنسا وتأسست في البلاد أول حكومة تتمتع بالاستقلال الذاتي سنة ١٩٥٧م، وقامت جمهورية السنغال سنة ١٩٦٠م ضمن المجموعة الفرنسية، وقد تولى الرئيس سنغور رئاسة الجمهورية وهو نصراني وتولى محمد ديا رئاسة الوزراء رغم أن الاكثرية الساحقة من المسلمين، ثم كانت الرئاسة للمسلمين بتولي عبدو ديوف الذي نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤١٨هـ إذ كان أول رئيس دولة أفريقية رأس منظمة المؤتمر الإسلامي، وكما له إسهامات كبيرة في مؤتمرات القمة الإسلامية واهتمامه بقضايا الأمة الإسلامية وعمله الدؤوب في الدفاع عنها في المحافل الدولية ولتشجيعه التعليم العربي والإسلامي في بلاده لهذا نال عبدو ديوف جائزة الملك فيصل العالمية وحضر لاستلامها في الرياض، وللسنغال تاريخه المجيد رغم العواصف الاستعمارية التي جعلت من السنغال مرفأ لتصدير أبناء السنغال وبناته ليكونوا أرقاء مستعبدين لدول أوروبا وأمريكا الشمالية وإلى تاريخه، نسبة المسلمين لمجموع السكان ٩٥٪ وفيهم من لا ديانة له، وبعد الاستقلال كان النشاط على أوجه في التعليم والقضاء والدفاع والجيش والزراعة والمناجم والصناعة والتجارة، زادهم الله

لتمثيل الإسلام في مظهره وقوته.

ثلاث رحلات للسنغال:

الأولى بتاريخ ١٥/ ٤/ ١٤٠١هـ ضمن وفد لغرب أفريقيا، الشيخ محمد بن ناصر العبودي والشيخ عبد العزيز الربيعان وإسماعيل بن سعد بن عتيق.

الثانية عام ١٤٠٢هـ في ربيع الأول منه بزمالة الدكتور جعفر شيخ إدريس أستاذ العقيدة والفلسفة لمقابلة الشيخ عثمان سونتو بدجي رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية هكذا نعت نفسه.

الثالثة في ٢٢/ ٥/ ١٤١٩هـ للمشاركة في ملتقى الدعاة المنعقد في المعهد الإسلامي في دكار بمعية عدد من الأخوة العلماء التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية.

ولكل من الرحلات الثلاث حديث وحدث غير أن الأهم الحديث عن التكتلات الدينية بسمات وشعارات تدر عطف المؤيدين والمناصرين ومنها:

١/ الطريقة الموريدية وقاعدتها مدينة طوبى فهي أكثر شيوعاً ولها دورها السياسي والاجتماعي.

٢/ الطريقة التيجانية ومركزها مدينة كولخ وزعيمها الشيخ إبراهيم إيناس ولها أتباع خارج السنغال أكثر.

٣/ حركة الفلاح الثقافية الإسلامية السلفية وهي حديثة التأسيس قام عليها وأسسها الشيخ خليل بن عبد الله مديقا ومركزها دكار، وبعد هذه الثلاث يأتي نشاط الشيخ عثمان سونتو بدجي رئيس مجمع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بمدينة عين السلام بالسنغال وغير هذه الأربع كثير.

* الطريقة الموريدية: مؤسسها الشيخ أحمد بمبا رجل مجاهد قاتل الفرنسيين وحاربهم حين الاستعمار فأسروه ونفوه إلى هذه المنطقة الصحراوية، ومكث بها ١٥ عاماً وأسس مسجداً ومدرسة، كما أسس هذه المدينة وأسماها طوبى وقد أسس الطريقة الموريدية غير أن الأمر لم

يعد كما بدأ المسجد للصلاة والمدرسة للتعليم فقد غلا أبنائه وأشياعه ولم يعد مدرسة ومسجد بل كان مقبرة للشيخ أحمد بمبا فيه ضريح وصندوق محلى بستار من ذهب ويحاط بسور خشبي وقبر آخر لخليفته وثالث لآخر وكل واحد له زيارة ورواده وفيه صناديق مقفلة توضع فيها النقود للقبور ويعتقد بعض الجهلة أن باباً من القبر يفتح إلى مكة فيحج الشيخ كل سنة عمن زاره وتعاهده من أتباعه الموريديين وهم يدفعون جزء من ثمن هذه الحجة يضعونها في تلك الصناديق والنذور والصدقات والتبرعات والتبرك بالماضين.

* الطريقة التيجانية: طريقة صوفية يعتقدون بإمكانية مقابلة النبي ﷺ مقابلة مادية واللقاء به لقاء حسي في الدنيا وأن النبي ﷺ خصهم بصلاة الفاتح لما أغلق وبجوهرة الكمال، أسسها أبو العباس أحمد بن محمد المختار المشهور بالتيجاني، عاش ما بين ١١٥٠ إلى ١٢٣٠ ولد في الجزائر ودفن في فاس بالمغرب، غلا فيه المريدون وزعموا أنه يلتقي بالرسول لقاء حياً مادياً وأنه كلمه مشافهة وعلمه صلاة الفاتح وأن الرسول قد أخبره لأن المرة الواحدة تعدل ست مرات وأن هذه الصلاة بمنزلة الأحاديث القدسية، انتشرت التيجانية بغرب أفريقيا ووسطها حتى السودان العربية بل قد رأيت منهم في ألبانيا في مدينة شودر شرقي ألبانيا ومن عجيب صنعهم أنهم يضعون خرقة بيضاء في وسط حلقة الذكر ثم يرددون صلاة الفاتح وجوهرة الكمال جماعياً ولا نرى أحداً يفتح المصحف الشريف وعند نهاية الذكر يسلمون الخرقة بسرعة وهم يعتقدون أن الرسول ﷺ والخلفاء الأربعة هم متواجدون على هذا الكساء الأبيض المعطر.

* ثالثاً حركة الفلاح السلفية: كانت في موريتانيا ثم نقلها إلى السنغال خليل بن عبد الله ماريقا من التجار والغيورين على العقيدة السلفية جعلها على شكل مدارس وكون لها جهازاً إدارياً وبدأ يخاطب الأعيان والتجار لمساعدة المنشآت التعليمية لشراء العقار واستثماره لصالح حركة الفلاح،

وفتح معهده معهد الإمام محمد بن سعود وكسب ود المتعاطفين معه في المملكة وبالأخص سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز فقد كان يكاتب التجار والمحسنين لدعمه ومساعدته، وهو بهذه الحركة لا يدخل في السياسة ولا في الخلافات المذهبية ولا يشجب الصوفية ولكن ما يقوم به تعليم الناشئة معتقد أهل السنة والجماعة فكانت حركة مباركة، ظل الشيخ خليل كذلك فكان الأول في فتح خط للدعوة في السنغال تخدم المنهج السلفي من غير انتماء ولا تحديد بتبعية لأحد، عرفت الشيخ خليل عن قرب فكان هو التاجر الصادق ولا يصنف بالعلماء ولا يلحق بالمجددين ولكنه الإداري الناجح المؤمن لدعوته ورسالته.

٤/ أما الشيخ عثمان فكانت زيارتنا له بناء على طلب من السفارة السعودية في دكار لتقييم أعماله والاطلاع على نشاطه وكسبه لخدمة الإسلام والمسلمين وبعد أسبوع من وصولنا إلى دكار جرى الاتصال به لمقابلته وكان ذلك بواسطة مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي الشيخ عبد الوهاب دوكري وبعد المقابلة فاجأنا بقوله لو استأذن الملك ابن سعود لزيارتي لأذنت له بعد شهر ولكنكم من العلماء أذنت لكم بعد أسبوع، ماذا عند الشيخ عثمان الدجل والكهانة والتضليل ، أخذنا بجولة في مركزه فقال عن غنيمات عنده هذه أغنام شعيب وقال في بئر حوله هذه التي وقع فيها خاتم النبي ﷺ وقال عن أثر نار هذه نار موسى عليه السلام، له ثلاثة أنواع من اللباس أسود وأبيض وأخضر ولكل لباس عنده رمز، كاتب الزعماء والرؤساء يخبرهم بمعجزاته وتنبؤاته وأنه يعلم ما يكون، وكان من المعجبين به رئيس السنغال سنقور النصراني قالوا إذا جاء إلى العاصمة دكار استقبلوه بالخيول وبالجماهير الحاشدة في مسيرة بشوارع العاصمة تعظيماً له وإظهاراً لهيبيته، مكثنا معه ثلاثة أيام لم نزد منه إلا بغضاً، مخيف المنظر أحول العينين قاني السواد، قال إنه أخبر عن وقوع البراكين في أغادير بالمغرب قبل وقوعها وأخبر السفارة المغربية بذلك قبل الحدث فلم تصدق مع أني أخبرت به،

وفي حال أداءنا الصلاة لا يصلي معنا ولم نسمع منه آية أو حديث يستشهد به في كلامه وغالب ما يكون لقاءاته مع الوثنيين شرقي السنغال ويطلب منهم الدخول في الإسلام، لا أدري أي إسلام، كان المترجم بيننا الشيخ عبد الوهاب دوكري الذي كان سفيراً لبلاده في جدة وعضو رابطة العالم الإسلامي فلم ينكر ما نقول ولم يجري منه استفهام أو رد أو قبول، أهدى لنا نشرات مما يكتبه لملوك ورؤساء بحرف ضعيف خطي لا تستظهر بعض معانيه، ويثني على الثورة الإيرانية ويكاتبهم فكأنه يريد محاكاة الخميني في الثورة الإسلامية، حاولنا معه أن نتعرف على أحد أعضاء مجلسه أو من يعرفنا بمن هو يساعده فلم يتجاوب معنا، وقد عد على مدخل بيته أو مجلسه مطبلون حال دخوله وانصرافه وعلى حصانه داخلاً أو خارجاً، عدنا بتقريرنا لمرجعنا ولم نستفد من أستاذ الفلسفة والعقيدة الشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس، فالأمر لا يحتاج إلى جدل أو نقاش، وبعد عودتنا لدكار سألنا عن أحواله وما الداعي لهذه الهيمنة ولماذا رئيس السنغال يضع كفه بكفه أجابوا مكر السياسة وخداع الأديان وتضليل السواد من الناس البله، ذكر أنه قابل البابا في روما سنة ١٩٧٩م وسلمه المصحف الشريف وقابل رئيس جمهورية إيطاليا ومع أنه ملحد اعترف بوجود الله، كما كاتب ياسر عرفات وأخبره بهجوم إسرائيل على بيروت قبل الهجوم إلى آخر ما لديه من التنبؤات الكاذبة.

الرحلة الثالثة للسنغال:

في شهر جمادى الأولى لعام ١٤١٩هـ للمشاركة في ملتقى الدعاة المنعقد في المعهد الإسلامي في دكار بمعية عدد من الأساتذة والدعاة الفضلاء، كان لقاء مبارك اتسم بالصراحة والوضوح عن التوجهات الدعوية والمسالك التعبدية والانتماءات المذهبية حتى اتضح الفكر وتجلى معالم العمل الإسلامي وتبيان قاعدته التوحيد فبغير التوحيد لا وحدة وما أحدثه الزمان من تشعبات في الدين ومن خصائص كل زمان حين لا تواصل

ولا مؤتمرات ولا مجامع فقهية ولا إعلام مرئي أو مسموع ولا نفاثات من الطائرات تربط الشرق بالغرب وبهذا التواصل كان التواصل المعرفي على شتى أشكاله وتنوع أسبابه ومن أهمها الدين الذي هو قوام الأمة ووحدتها ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون: ٥٢] سبق الإسلام إلى التنظيم الحولي لكافة المسلمين وجعله أحد أركانه يجب على كل مسلم في العمر مرة واحدة لمن استطاع إليه سبيلا ومن هنا كان الحج من أسباب كسب التعارف والمنافع ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨] واليوم وقد برزت ظواهر اجتماعية في جميع الطبقات المعرفية لتطوير المواهب لفتح الجامعات الدراسية وفق نظم تربوية وكان علم النفس وعلم الاجتماع عاملان من عوامل التربية بمفهومها العام للإنسان وإن سبق الغرب في هذا المجال فالمسلمون يأخذون ما صح لهم من فنون المعرفة ما لم يخالف شرع الله ودينه ، حول هذه المعاني كان توجه اللقاء لتنظيم المحاضرات والكلمات والمذاكرة الفردية والاجتماعية، تصفحات في بعض الصفحات لمن كتب عن أفريقيا باللغة العربية مما وقعت يدي عليه.

١/ أفريقيا ودراسة المقومات للقادة تأليف الدكتور محمود رياض والدكتور كوثر عبد الرسول، جعلا الكتاب ثلاثة أقسام صفحاته ٦٤٢ صفحة، الأول الدراسة العامة لأفريقيا في أحد عشر فصل كشف أفريقيا المعاصرة، التربة والنباتات السلالة واللغة، السكان والأمراض، أنماط الحياة، وفي القسم الثاني دراسة بعض دول أفريقيا العرب والسودان، أثيوبيا، نيجيريا، جمهورية زائير، جمهورية جنوب أفريقيا.

أما القسم الثالث فصول وخرائط ختم به الكتاب وبحق أنها دراسة جديرة بالاهتمام لذوي الاختصاص ونحن الدعاة لا يهمنا هذا بقدر ما يهم تعديل اعوجاج ما أعوج من مشارب الدين ومنابع التوحيد ويا حبذا دراسة

مشـــابهة في تقويم معالم الطرق السلوكية والاجتماعية على ضوء الشريعة الإسلامية.

٢/ وصـــف أفريقيـــا باللغة الإيطالية جان لبون وهو الحســـن بن محمد الوزان الزياتي ترجم بالفرنسية ثم العربية من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن ســـعود الإسلامية بمناســـبة المؤتمر الجغرافي المؤلف ولادته سنة ٨٩٤هـ صنف كتابه بقراءة الطليان سنة ١٥٢٦م جعل المؤلف كتابه تسعة أقسام في ٦٧٥ صفحة ، وقد نقلت في كتابي هذا ما جعلته استهلالاً وصف أفريقيا المحمود منها والمذموم في مقدمة الكتاب هو بحق جدير بالدراسة التاريخية سيما أن المؤلف أفريقي وقد اهتم به الغرب وجعلوه محور دراستهم للأحوال الاجتماعية في أفريقيا.

٣/ موســـوعة العالم الإســـلامي لمجموعة من المؤلفـــين ثلاثة طبع عام ١٤١٤هـــ طبعته الأولى أدرجـــوا عدداً من الـــدول الأفريقية وفي مقدمة الكتاب عرض تاريخي لأهم محطات النمو الإســـلامي في العالم الآسيوي والأفريقي والكتاب ينم عن توجهات المؤلفين في ســـرد المعلومات التاريخية التي لها مســـاس بوضع المسلمين الحالي ومستقبله، المؤلفون الشيخ مشهور حســـن محمود، الدكتور حسن أبو سمود، الأستاذ عمر محمد العرموطي جزاهم الله خيراً.

٤/ قسمات العالم الإســـلامي المعاصر للدكتور مهندس مصطفى مؤمن طباعـــة دار الفتح ١٣٩٤هـــ الكتاب في ٤٨٤ صفحة مـــن الحجم الكبير ســـجل الأحداث التي حددت قســـمات العالم الإســـلامي المعاصر وبيان الواقع والأحداث مـــن تاريخ ٥٤ قبل الهجرة ٥٧٠ ميلادي إلى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ثـــم تحدث عن رقعة العالم الإســـلامي المعاصـــر خلال القرن الهجري الأول إذ بلغت مســـاحة العالم الإسلامي في القرن الهجري الأول ٤,١٢٠,٨٠٩ ميلاً مربعاً وزادت مساحة العالم الإسلامي في القرن الثالث ١٠٧,٩٦٩ وفـــي القرن الخامس ٧١٢,٨٣٥ كيلو متراً مربعاً، واليوم تبلغ

مساحة العالم الإسلامي ١٢٧,٦٠٩,٠٣٠ كلم مربعاً، ثم استعرض المؤلف في الفصل الأول قادة آسيا وأقطار الدول الإسلامية. والفصل الثاني قادة أفريقيا واتصالها بالدول الإسلامية، ثم الفصل الثالث قادة أوروبا، والرابع استراليا وجزر المحيطات، فقد أجاد المؤلف وأفاد وقد مضى أربعون سنة على طبعته الأولى نتمنى أن يعاد نشره مع زيادات ما جد في أربعين عاماً والحاجة تدعو لمثل هذا الكتاب بين أيدي الدعاة والمنظمات الإسلامية نرجو أن يكون كذلك، ولشيخنا ورائدنا في التطواف الكاتب العالم الشيخ محمد بن ناصر العبودي الكتب الكثيرة (رأيت من فهرسة كتبه في الرحلات ١٢٠ كتاباً خص أفريقيا بالكتب التالية :

أ/ في أفريقيا الخضراء طبع سنة ١٣٨٨هـ في ٧٧٩ صفحة وهو أول كتاب نشره عن أفريقيا وكان هذا الكتاب فاتحة لمواصلة الرحلات والكتابة عنها.

ب/ قصة سفر في نيجيريا طبع سنة ١٤١٥هـ في ٢٠٤ صفحات، وكنت بمعيته في هذه الرحلة ولمدة شهر في غرب أفريقيا سنة ١٤٠١هـ.

ج/ شهر في غرب أفريقيا مشاهدات وأحاديث عن المسلمين وهي الرحلة تلك في ٤٣٨ صفحة.

د/ جولة في جزائر البحر الزنجي أو جزر المحيط الهندي طبع سنة ١٤٠٢هـ في ٣٦٨ صفحة كتبه في رحلته التي كنت بمعيته شيخنا العلامة لم يكن له تخصص منهجي في مسالك الدعوة ولكنه الكاتب الواصف ولو لما قد يستحيا من ذكره سيما وصف ذوات الخدور ومن في حكمهن وقد كان حفظه الله يقوم بالأعمال الرسمية كلها في الدعوة فكان مديراً للمعهد العلمي في بريدة ثم أميناً عاماً لمجلس الدعوة ثم أميناً عاماً للجامعة الإسلامية ثم مساعداً لأمين عام رابطة العالم الإسلامي فأين المنهج وأين الفكر يا صاحب الأمانات الثلاث يغفر الله لنا وله.

٦/ رحلات إلى الدول الإسلامية تأليف الشيخ محمد محمود الصواف طبع دار القرآن الكريم طبع سنة ١٣٩٥هـ في ٨٠٤ صفحات مزوداً بالصور للأعيان والرؤساء والملوك الذين قابلهم في هذه الزيارات ولأمر من الملك فيصل رحمه الله فقد حمله رسائل تحريرية وشفوية لزيارة الدول الأفريقية بالتعاون مع وزارة الخارجية السعودية لشرح أهداف التضامن الإسلامي الذي نادى به الفيصل وقد زار ستة وعشرين دولة في غرب أفريقيا وشرقها ووسطها، الشيخ الصواف لا يجاري في عصره وحماسه لقيام دولة الإسلام أو الدول فهو فكري وصاحب منهج مع علو مرتبته في العلوم الشرعية وقد بسط الله له في الجسم فكان جهوري الصوت مهيب في منظره يتزي بزي الأزهر فهو أزهري وإن كان عراقياً في المولد والنشأة وكتابه يفتح المجال للتحدث عن الإسلام والمسلمين لدى رؤساء وملوك عصره فقد اتصل برؤساء ليسوا مسلمين كملك الحبشة ورئيس السنغال وسيراليون وغيرهم ومع هذا فكان المتحدث اللبق الذي كسب الود ونجح في مهمته رحمه الله، الشيخ الصواف فقد أدى مجهوداً كبيراً لخدمة رسالة التضامن الإسلامي.

٧/ ولشيخنا العلامة الألوري آدم عبد الله والذي عايشته أو زاملته في مركزه المركز العربي الإسلامي باجيجي في نيجيريا وقد ألف عن بلده ما هو في خلده مراجع يندر وجودها.

أ/ تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم طبع عام ١٩٦٧م في ١٤١ صفحة.

ب/ الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي المجاهد الإسلامي الأكبر بغرب أفريقيا طبع سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م في ١٨٤ صفحة.

ج/ موجز تاريخ نيجيريا طبع ١٩٦٥م في ١٧٣ صفحة.

د/ نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي طبع ١٩٦٧م في ١٠٩ صفحات.

هـ/ مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية قطع صغير، هذه الكتب بقلم العالم النيجيري الماهر بقلمه يعد من أنبل علماء عصره وفي بلده إلا أنه بعد تأليفه الكتاب الإسلام وتقاليد الجاهلية عارضه علماء عصره من مشايخ الطرق ومن هم حول السلاطين فكان ذلك مما حط من قدره بين من لا يعرفون حقيقة أمره.

٨/ دليل أوعية النشاط الإسلامي في العالم المتعاونة مع رابطة العالم الإسلامي وفيها دول أفريقية أثبتت الأسماء والعناوين لكل ما هو إسلامي فهو مجهود كبير وموسوعة لبيان النشاط الإسلامي.

٩/ التقرير المفصل عن أربعة عشر دولة في دول غرب أفريقيا أعده مندوبا الجامعة الإسلامية في المدينة الشيخ محمد أمان علي وحامد بكر كتباه حينما انتدبا عام ١٣٨٦هـ لاختيار الطلاب واختبارهم في صلاحيتهم للدراسة في الجامعة وهو تقرير مفيد.

١٠/ لمحات فيصلية من أعمال الدعوة في القارة الأفريقية السيد الأمين المامي الجكني الشنقيطي سنة ١٣٩٦هـ وهو إظهار وبيان أوجه النشاط في ١٠٤ صفحات ، هذه الكتب يمكن أن تعتبر المرجع في دول غرب أفريقيا وقد استفدت منها في إعداد هذا الكتاب عن دول أفريقيا ستة عشر دولة.

١١/ كتاب عنوانه الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفلاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري – التاسع عشر الميلادي للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر ، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود سنة ١٤٠١هـ ألف هذا الكتاب حين ابتعاثه من قبل الأزهر هو وزميله الشيخ محمد الراوي وقد التقيت بهما في كانو وجرى التعاون النسبي في تبليغ الرسالة والدعوة إلى الله عز وجل، أما الشيخ الراوي فقد احتضنته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية محاضراً في كلياتها وفي معهد الدعوة العالي في الرياض وكان يخطب في أحد الجوامع في الرياض وبقي فيه إلى أن شاخ وعجز عن العمل فعاد إلى مصر واستقر

هناك ، أما الشيخ حسن كاتب الكتاب فكان العهد به في نيجيريا عام ١٣٨٨هـ والكاتب بأسلوبه وخبرته عنون الكتاب فكان لمضمون الحركة والتجديد الإصلاحي للشيخ عثمان فيدو ولا زالت هذه الآثار باقية إلا أن التوجه العقدي والسلوكي على خلاف مع منهج الدعوة النجدية وإن تقارب الزمان لكن تباعد الأوطان وتلقي المعرفة جعل من خلاف ما لا يسد رقعة ولا يضيق صدعة فقد كان الشيخ عثمان ممن يرى الطرق فكان قادرياً ثم تحول أتباعه إلى الطريقة التيجانية وقد وقفت على قبر الشيخ عثمان في سكتوا والتي تدعى دار خلافة فرأيت ما لا ينسجم مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

١٢/ تونس الإسلام الجريح بقلم محمد مهادي ومصطفى زمزمي في ٥٠٤ صفحات .

وممن عرفت في السنغال - الشيخ خليل ماريقا:

في داكار ١٤٠٢هـ التقيت بالشيخ خليل ماريقا الداعية السلفي والتاجر الصادق، حمل راية الدعوة السلفية في السنغال رغم تسلط قادة الطرق الصوفية ، ومنها الطريقة التيجانية ، وتغطرس شيخها إبراهيم إناس الكولخي ، نسبة إلى كولخ مدينة في السنغال والذي جرأ الطاغية إلى أن يقول : «من رآني أو رأى من رآني في جنة الفردوس حقاً يراني»، تلقى الشيخ خليل ماريقا مبدأ السلفية من عالم موريتاني في نواكشوط ، فعاد الشيخ خليل إلى السنغال ليبدأ عمله ، ولكن كيف بدأ وهو الذي لم يُعرف بعلم ، ولا هو ممن يُعتد به في الرأي ، فكر الشيخ خليل كثيراً ورأى أن ينهج نهج شيخه الموريتاني بإعداد المدارس التي أسماها مدارح الفلاح أو الحركة الفلاحية .

وبدأ الشيخ ماريقا في شراء العقار في عاصمة السنغال داكار ليجعلها منشآت إسلامية ، ومجمعات تعليمية ، واتصل بالتجار والأعيان والحكومات الإسلامية والتنظيمات خارج السنغال ، كرابطة العالم الإسلامي ورئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وطلب زيارة إمام الحرم المكي

لمنشآته ومشاريعه في داكار، فتهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من المساندة والوقوف بجانبه لا سيما وأنه لم يُضف على نفسه لقب السلفية التي قد تكون شيئاً مخيفاً لبعض جهات لا تفهم معنى السلفية فسمى مشاريعه وأعماله بالحركة الفلاحية.

صحبت الشيخ خليل ماريقا قرابة عشرين يوماً في السنغال وقابلني مراراً وتكراراً في الرياض وفي مكة المكرمة، فكان هو هو لم يحد عن فكرته، ولم يتزعزع عن منهجه الحركي، وكأن الأمر عنده مسلم فيه لا يحتاج إلى زيادة ونقصان، فهو وإن ناصره الكثير، لكنه لا يأخذ غير المادة والتأييد، ويقول بلسان حاله مقالة (أهل مكة أدرى بشعابها) ونحن أعرف بالأسلوب المجدي في بلاد غرب أفريقيا ومنها دولة السنغال.

وزرت السنغال وبمعيتي العالم الفاضل الشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس ممثلين لرئاسة البحوث العلمية في مهمة تتعلق برائد تضليل وتبديع في شرق السنغال قدم له دعماً سخياً ظناً أنه من القادة العلماء فكان على عكس ذلك اتضح دجله وخبثه ومكره، وكان مندوب رابطة العالم الإسلامي الشيخ عبد الوهاب دوكري سفير مالي في المملكة سابقاً هو رفيقنا في تلك المهمة، لنستطلع أمر هذا الدجال الذي يتنبأ بالمغيبات، ويزعم أنه خرج لإقامة الدين في قبائله شرق السنغال.

عدنا إلى داكار لنسترجع المعلومات مع الشيخ خليل ماريقا وحركته السلفية فأفهمنا بأن طبيعة بأن طبيعة الأفريقي ينخدع بالأبهة والمظهر والتنبؤ عن المغيبات وتكبر الزعامات باسم الدين، وقال لنا إن هذا الدجال عندما يزور داكار يكون في مسيرته الخيول والمسارات الشعبية بأم رمن رئيس السنغال (سنغور) ونحن أتباع السلف نعمل بالتواضع والافتقار إلى الله ولكن لا بد من المنشآت والمشاريع، ولو بأقل مما تباهى به النصارى هكذا اتخذ ماريقا مبدأ التعلم والخدمات من حفر الآبار وبناء البيوت للفقراء ولإعتاق العبيد إن وجدوا، وأخيراً التقى بجمعية التراث الكويتية فتعاونوا

معه دليلاً ومرشداً على الجهات المستحقة في قرى ومدن السنغال للمدارس والمساجد والمستشفيات وحفر الآبار وبيوت الفقراء المحتاجين، قال لي أحد الأخوة الكويتيين : لقد تحول السنغاليون إلى سلفيين بالإحسان والعطف، ولكن من يلقنهم السلفية؟ هذا ما يحتاجه شعب السنغال بعد أن أغدقت عليهم أموال المحسنين من المسلمين في دول الخليج، أكرر وأقول إن الشيخ خليل ماريقا لا يصف مصاف العلماء ولكنه مصلح ومجدد ومثير للحركة السلفية في النغال بمقوماته المحدودة.

والله أعلم .. وصلى الله على محمد.

الدولة الثالثة عشر - سيراليون

ومعناها برج الأسد أو غابة الأسد وعاصمتها فريتاون البلدة الحرة موقعها في أقصى الغرب من الغرب الأفريقي الغربي كانت جزء من مملكة مالي الإسلامية في القرن السابع الهجري وقاعدتها كمبكتو الشهيرة ، قامت بريطانيا وأمريكا بمشروع الإيواء للزنوج المتردين والجنود المسرحين من الجيش الأمريكي عقب الحرب، وفي عام ١٧٦٧م اشترى الإنجليز من القبائل رقعة من الأرض لتكون مأوى لهؤلاء المشردين فكانت مستعمرة بريطانية من التاريخ ١٨٩٥م، وقد طالب السيراليون بتحررهم من عبودية الاستعمار البريطاني وخرجت الجموع سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م منادية بإجلاء النفوذ الأجنبي والجنود البريطانيين فكان أول دستور للبلاد حدد سنة ١٩٦١م ورافعة إعلان الاستقلال ليكون الحكم جمهوري فكانت عضواً ضمن مجموعة الكومنولث البريطاني، كما جاء العضو رقم مائة في هيئة الأمم المتحدة وتم انتخاب مجلس النواب يضم ستين عضواً ومع أن الأغلبية من المسلمين فإن رئيس الحكومة مسيحي بحجة أن المسلمين جهلة.

ومما هو جاري في سيراليون تعدد القبائل والانتماءات العرقية فقد أوجد الإنجليز ١٤٤ زعامة لمساعدته في إدارة الشؤون من متقدمي السن مما جعل البعض لا يصلي في مسجد إلا في مسجده الذي شيدته قبيلته، لاحظت ارتفاع المنارات مع صغر مساحة المسجد فقالوا كذا تفعل القبيلة فكل يفتخر بطول منارة مسجده ومن أشهر القبائل اللامبا والتمني والهوسا والمندى، وظل نظام السلاطين والسلطان هو رئيس القبيلة والعشيرة يعمل عمله في حماية الدولة لما يقدمه من خدمات لدى المجتمع إلا أنه لا سلطة له في التشريع ولا في التنفيذ الرسمي فقد يكون مرجعاً في النزاعات العائلية أو معاقبة من خرج على عرف القبيلة وارتباطاتها الأدبية كما هو جاري في

كثير من الشعوب.

فالسيادة بالعلم والمعرفة لا أرباب العرف والوراثة وقد يكون عامل الرحم والقرابة من عوامل الترابط والأخذ بالثأر والانتصار للقبيلة غير أن الإسلام هذب تلك الانتماءات مع سطحية بعض المسلمين في فهم الإسلام وجهالتهم بمبادئه غير أن الإسلام بخير لوجود الجمعيات والمدارس وتنافس القبائل في عمارة المساجد كما أن بعض الجمعيات تعطي مثالاً حسناً جيداً في تنظيم الدراسة للمراحل الثلاث كجمعية الأخوة الإسلامية وجمعية الشبان المسلمين وجمعية اتحاد الطلبة المسلمين الذي يتبعه ١٣٥ ألف كلهم على فكرة واحدة وهي إعلان صلاحية افسلام للتطبيق العملي عقيدة وشريعة ونظاماً وحكماً ولأن النهضة التعليمية للمسلمين لم تكن إلا بعد الاستقلال، لذا كان الاقتصاد والسياسة يسيطر عليها غيرهم وعلى القسم الأكبر من الوظائف، وقد اطلعت على بيان الجمعيات والهيئات الإسلامية في سيراليون ما ينيف على أربعين جمعية أهلية عاملة في شتى المجالات الخدمية والإنسانية والدينية غير أ، الذي يحز في النفس وجود الطائفة الكافرة القديانية تعمل عملها في الإعلام والتعليم فقد وصلت إلى سيراليون جماعة من الهند والباكستان في ظل الاحتلال البريطاني ينشرون دعوتهم ويفتحون المدارس الابتدائية والثانوية ووزعوا تراجم القرآن الكريم ولهم مستوصفات صحية ونشاطاتهم تشبه إلى حد كبير نشاطات الجمعيات التبشيرية النصرانية بل هم أدق لأنهم مستقرون ومستوطنون ويتفاعلون مع السياسة ومما هو من جذور الفتنية تنوع الفئات الدينية فقد حكمنا على القاديانية بالكفر لزعمهم نبوة غلام أحمد الموزا، ولكن ماذا عن الشيعة وتلوثهم الأعراض صحابة رسول الله ﷺ ومناهضتهم وتشوبه تاريخهم المجيد للحجر عن التلقي عنهم وسحب الثقة فيهم فلا يعتد بما قالوا تلك هي الجرامة التي لم تلبث أن تتسع رقعتها إلى أفريقيا السنية التي لم تعرف الرفض أو التشييع من قريب أو بعيد ولسيراليون نصيبها الأوفر .

فقد عمدنا لزيارة مكتب الممثل اللبناني لطائفة الشيعة في سيراليون فكان الإعجاب لكل مظاهر التقدير والاحترام لمن يزور المكتب وكان الشيخ بهيأته ولحيته علامة الاقتداء والتأسي لمن سلف ناهيك عن السياسة والتظاهر بعمل سمو الأمة ورقيها وأسباب انحطاطها، عرف مهمتي في سيراليون ولم يفاتحني في شيء من المواضيع التي تعكس خط سيرهم.

وإن تكن السياسة الدينية ومزجها بالأحداث عند الروافض فعند أرباب التصوف والصوفية ما هو أخطر وهو تضليل العامة بالمشايخ كمرجع لحل المشكلات الروحية والبدنية وأن تعلق العامة بالمشايخ جعل منهم الدهماء لا يسمعون ولا يرعون لغير مقالة مشايخهم فبماذا تحكم على من قال إن صلاة الفاتح تعدل القرآن ست مرات وأنها وحي ومن كلام الله القدسي هذه هي التيجانية الصوفية ومما قرأت إن عبد القادر جيلاني جيئ له بدجاجة مشوية فأكل منها أو أكلها فقالت صاحبة الدجاجة أين دجاجتي يا عبد القادر، قال ها أنذا أعيدها إليك فجمع العظام ونفخ فيها فعادت كما كانت قبل ذبحها وطبخها، هذه هي الطريقة القادرية، إنها لمسئولية كبرى على الدعاة لتنقية هذه الأجواء البدعية مما أحدثه قدم الزمان والبعد عن الشرب الأمثل لفهم القرآن والسنة وسلف الأمة، هل للغرب يد في هذا التضليل لقد هالهم امتداد الأمبراطورية الإسلامية التي نشأت في مالي في عهد الملك المسلم الكبيرة (منسا موسى) في القرن السابع الهجري وامتدادها إلى غرب أفريقيا مما يحصنهم ويحميهم من النفوذ الأجنبي، لذا كان الدس والمكر والخداع من أهم أسباب عوامل تفكيك الدولة الواحدة وأقرب وسيلة لذلك رجال الدين واستخدامهم لتفريق الأمة شيعي ومذهبية أو قومية ولا أدل على ذلك من إيجاد ديانات تنتمي إلى الإسلام ولا إسلام كالقاديانية إذ كانت ربيبة الإنجليز في البلاد الهندية وامتد إلى المستعمرات الإنجليزية وعامل الجهل والتخلف أكبر عون على التضليل ومتابعة كل ناعق، ولا زلنا نسمع كل وقت وآن عن ضمور الهدي حتى قال بيرزا أنه المهدي المنتظر.

ومن عرفت من سيراليون : الشيخ جبريل سيسي:

وفي غرب أفريقيا دولة سيراليون وعاصمتها (افريتاون) بمعنى غاية الأسد، نلتقي بالشيخ سيسي رجل العلم والسياسة، وصاحب الحنكة والكياسة، كان سفيراً لدولته في القاهرة، وهو أزهري من الطراز القديم، يجيد اللغة العربية بلهجتها الفصحى والعامية.

في عام ١٤٠١هـ كنا في مهمة رسمية لدول غرب أفريقيا الناطقة باللغة الإنجليزية، ومنها دولة سيراليون، يضم هذا الوفد معالي الشيخ محمد ناصر العبودي، والشيخ عبد العزيز الربيعان إمام وخطيب جامع قباء بالمدينة، كان الغرض في المهمة دعم المشاريع الإسلامية، والنظر في أحوال المسلمين عامة، التقى الوفد بالشيخ جبريل سيسي، واتفق معه على خطة توزيع المبالغ واختيار الشباب للمنح الدراسية، والتعرف على الشخصيات الإسلامية في سيراليون.

فوجدنا الرجل الماهر الذي يجمع بين طبقات الشعب السيراليوني، فهو سياسي مع الساسة، وعالم مع العلماء، وشيخ قبيلة في مصاف القبائل، حتى يكاد الناس في سيراليون يجمعون على أنه الشخصية المعتدلة رغم النزاعات القبلية والفوارق بين أصحاب الطرق الصوفية، والاختلافات السياسية، فكان رمزاً لوحدة الجميع على الخط السوي من دين الإسلام، إلا أنه بهذا الضعف أو ما نسميه التواضع واندماج الشخصية لم يبرز الشيخ جبريل بروز الأعلام المصلحين المجددين، إذ كان يتحاشى الاصطدام مع أي تيار يرى فيه الخطر أو تشويه السمعة أو التقليل من شخصيته، ولهذا بقي محبوباً لدى الأطراف المتباينة، ولعله اتخذ مسلكه هذا درءاً للفساد الذي احتدم صراعه بين الفئات الإسلامية، فكان لديه شبه اليأس عن الوحدة التامة لصفوف المسلمين، وهو بلسان حاله ومقاله يقول بالمثل (أي كذا خلقت) بمعنى أن المسلمين لم يزالوا على خلاف وفي خلاف فما علينا إلا تضييق فجوة الخلاف في أصول الدين

وعقائده، وله ما اختار ولمشربه وجه حسن.

في ضحى يوم أو عصره تأخر علينا زميلنا الشيخ محمد ناصر العبودي في غيبة عاد منها وهو يضحك، ويقول جئتكم من سدرة المنتهى بمعية جبريل. فعجبنا لهذا الكلام وقلنا/ أفصح، فقال: أما جبريل فهو صاحبكم، وأما سدرة المنتهى فهي أبنته. فقال لي: كما قلت لكم أنا جبريل سأذهب بك إلى سدرة المنتهى، فأخذنا لزيارة بيت بنته المسماة ببيت سدرة المنتهى، وهي زوجة أحد القادة السياسيين في سيراليون، أسس الشيخ جبريل مدرسته العلمية، أسماها بالمدرسة البازية نسبة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز، وقال: بكل صراحة أنا أجل الشيخ ابن باز واتخذ من حياته وسيرته سلوكاً عملياً في الدعوة، ولهذا أرجو أن يخرج أبناء هذه المدرسة في تربيتهم الدعوية متمثلين بسيرة هذا الإمام الشيخ ابن باز.

شاهدنا في (أفريتاون) صغر المساجد مع طول مناراتها فقال الشيخ جبريل: إن قبائلنا يتنافسون في تشييد المساجد وبالأخص أي ٰل فلان منارة مسجده أطول كما لاحظنا تقاربها فقال: وهكذا كل يعتز بمسجده ومنارته اعتزاز الابن بأصوله وأجداده، لم يكن الشيخ جبريل سيسي من الحركيين ولا ممن يطمع في خوض السياسة ودمجها بالإسلام أو الإسلام بها، ولكن رضى لنفسه أن يكون بمنزلة المفتي أو المعلم الأكبر للقادة والعامة، فكان له بعض ما أراد بل كانت زوجته هي الأخرى رائدة في الدعوة، فقد شيدت لها مسجداً بجوار بيتها تؤم النساء بالصلاة فيه في الأوقات جميعها حتى صلاة الفجر، ومسجدها مزدحم بالمصليات والدارسات وبتشجيع من زوجها كانت رائدة بين صفوف النساء.

عدنا من سيراليون ونحن نحمل في حقائبنا ومذكراتنا المعلومات الكثيرة، كتب عنها زميلنا الشيخ العبودي ضمن كتاباته في دول غرب أفريقيا، ودعنا الشيخ جبريل وبلاده غابة الأسد، وفيما بعد جاءت الأخبار بقدومه إلى ربه، عليه رحمة الله.

- غانا -

تقع على الساحل الغربي للمحيط الأطلسي ويحدها شمالاً فولتا العليا ومالي وجنوباً المحيط الأطلسي وشرقاً نيجيريا وغرباً غينيا، ويتكاثر المسلمون في أطراف البلاد كمدينة تملي وكاسي وتبرز ظاهرة الفقر والحاجة لتدهور الاقتصاد وفقدان الحاجيات الضرورية إذ بلغ سعر الدولار ٢,٥ سيدي عملة البلاد بالتسعيرة الرسمية بينما هي في السوق السوداء خمسة وعشرون إلى سبعة وعشرين سيدي مع أن البلاد غنية بالموارد الطبيعية كالذهب والأخشاب والكاكاو وكانت الزيارة لدولة غانا رسمية، وصلنا أكرا العاصمة في ١٥/ ٥/ ١٤٠١ بصحبة معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي والشيخ عبد العزيز الربيعان وقد كان في لقائنا سعادة القائم على أعمال السفارة الأستاذ عبد الحميد قادي مما سهل كافة الإجراءات لترشيح أسماء الطلبة من منح دراسية في المملكة وصرف مساعدات نقدية للمعاهد التعليمية والجمعيات الدعوية تعدادها ثمانية عشر جهة وإحدى عشر مدرسة وأربعة عشر منح دراسية ومن ما هو مستفيض لدى مسلمي غانا أن السفير الأسبق الشيخ أحمد المبارك من الإحساء أوجد نقله توعية لالتفاف المسلمين ضد الدعوات الدخيلة على الإسلام والمسلمين كالقاديانية والبهائية والتشيع، وكان خلفه الأستاذ عبد الحميد قادي من المدينة المنورة ممن يذكر بخير في تواضعه ودماثة أخلاقه وحبه للمسلمين والعمل الإسلامي على مختلف المستويات القبلية والمذهبية.

غانا من الدول المستعمرة للإنجليز في غرب أفريقيا والتي كانت تسمى ساحل الذهب مما أطمع الإنجليز أن يمارسوا شتى العنف لاستعمارها واستثمارها باستخراج ذهبها فكأن أهلها ليسوا أهل للزينة والأخذ بها وهم أحق بها. وبحكم الاستعمار فرض المستعمرون لغتهم ولكن لم يفرضوا

دينهم على الكل.

عاصمة غانا أكرا، يسكنها ثلاثة ملايين نسمة من مجموع السكان الكلي ١٢ مليون ، نسبة المسلمين ٤٥٪، واللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية السائدة لغة التعليم والإدارة والسياسة ولغات شتى محلية لا قيمة لها مما سهل استعمار البلاد كما هو القول (فرق تسد) سياسة قديمة، بلد ساحل الذهب لم نرى أثر الذهب في شوارعها المغفرة وطرقها الضيقة، إذا هبت العواصف رأيت ما لا يطاق من تغير الجو من الغبار، غير أن موقعها في المحيط الأطلسي يخفف ركام الغبار، وبإلقاء نظرة فاحصة على المجتمع الأفريقي عموماً نجد أن التدين فطري لديهم فينساب معه الفرد بأقل تأثير وإغراء مادي أو مظهر حسن، لذا كان الغزو الخارجي يبعث جيوشه لكسب العامة والتأثير عليها فكان الوثنيون وهم الفرقة الأهم في دعوتهم وكسبهم كثير الاستجابة لاعتبارات مادية في الدرجة الأولى ثم الثقافية في الدرجة الثانية ومما يسهل كسب الوثنيين للاستجابة أنهم ليسوا أصحاب دعوة لدينهم وقياداتهم قبلية أكثر منها دينية مع أن الأمية من أعظم ما يسهل الاستجابة فلا نقاش ولا حيل ولكنه التسليم والانقياد متى ظهرت المصلحة، وغير خاف على الإنجليز المستعمر أنه لا يمكن أن يضمن دوام استقراره في البلاد ما لم يكن له أنصار وأعوان من البلاد نفسها ومن أهمها كسبهم دينياً وقد لا يكون دين ولكن ثقافة الغرب وبهذا التوجه يظل مستعمراً ومن غير شك أن الخدمات التي تقدم للمواطن من أسباب كسب المودة لمن أحسن إليهم وإن غابت عنهم المصالح الكلية والبعد السياسي وعدم قدرة المواطن على إدارة الحكم وأهم من ذلك القوة العسكرية التي لا تدع فرصة للمواطن الأفريقي أن يتعرف على التدريبات العسكرية حتى لا يكون جندياً في نحر الوافد المستعمر وإذا كان الاستعمار وقد أدرك كثيراً من مصالحه فإن المنتسبون للإسلام هم الذين أقضوا مضاجع المستعمر وعملوا على فك الحصار الاستعماري الغاشم وذلك بإيجاد

منظمات وجمعيات باسم الإسلام لخدمة العامة والتأثير عليها فكان اتحاد الطلبة المسلمين، والجمعية الإسلامية، وتنظيم الشباب المسلم، والمجلس الإسلامي الأعلى، ومركز الإصلاح، والبعث الإسلامي، ومنظمة الاتحاد الإسلامي، وجمعية النهضة الإسلامية، وخلف هذه التجمعات المدارس العربية كمدرسة إرشاد الإسلام، ومدرسة الرحمانية، والمدرسة النورية، والمدرسة الإسلامية الوطنية، والمدرسة الثانوية والمدرسة الرشادية، ومدرسة المقاصد الإسلامية. ولكثرة المسميات التي تلفت النظر إليها ترتبط باسم الإسلام، والإسلام هو الواجهة العريضة لتقبل الناس مما أدى إلى التكتل لدى مسلمي غانا الجماعي، وفي مدينة كوماسي بالذات وهي شرق البلاد بعيدة عن التأثير السياسي في العاصمة تكثر المدارس والمعاهد التي ترعى جانب التوحيد والعقيدة السليمة على ما شاهدت كالمعهد الإسلامي الثانوي يديره أخونا الفاضل آدم محمد أفيدو، ولأن كثير من المدارس والجمعيات والمنظمات هي خير دليل على تقبل الإسلام لولا ما يسود هذه الأنظمة التعليمية الدعوية من فوضى تؤدي إلى التهلكة وأخطرها وإن نطقت باسم الإسلام ظاهرياً القاديانية فقد كسبت كثيراً من رجال السياسة وبالأخص أعضاء البرلمان وهم . . . . . النصارى من عجينة واحدة ومن المعلوم إن هذه الطائفة القاديانية تعمل تحت مظلة الاستعمار الإنجليزي فهي ربيبته أنشأها في الهند بدعوى أن الميرزا أحمد المهدي المعهود والمسيح الموعود بوحي من السماء ويتلقى المعارف الربانية وحياً مباشراً، انتشرت القاديانية في المستعمرات الإنجليزية بدعم وتأييد من الإنجليز ولا تختلف وسائل الكسب عن وسائل التبشير النصراني كثيراً فهي ترعى جانب التعليم والصحة والإنفاق على الفقير إلا أن القادياني جعل من هذه المشاريع مصدر كسب وثراء وفي نفس الوقت حيل وتلبيس، وفي غانا استجاب الكثير من رجالات الدولة وأعيانها لخفايا حقيقة القاديانية ظناً منهم أنهم من المسلمين، غير أنه حصل حداً للأمر الذي صدر من حكومة المملكة العربية السعودية

بعدم إعطاء تأشيرة الحج لمن ينتسب للقاديانية وذلك بناء على توجيهات الملك فيصل ـ رحمه الله ـ فكان التساؤل عن سبب المنع لأنهم كفار وليسوا بمسلمين وهذا منعطف مهم في معالجة إقصاء القاديانية عن ساحة العمل الإسلامي وظل الأمر ساري المفعول مما جعل الكثير يتراجع عن متابعة هذه الطائفة الكافرة، أما النصارى فالعهد بهم قديم وإن كان رجال الدين والكنيسة لم يواكبوا سير القوة العسكرية بدخول البلاد والاستيلاء عليها ولكنهم جاءوا .....

..... وليسعفوا ..... الفقر والحاجة باسم الشفقة والرحمة وحب المسيح.

ولا يخفى حاجة البلاد لمن يمد لهم يده، وفي ميدان الدعوة دأبت وسائل الدعوة بأساليبها ومراكزها لتخفيف المعوقات والمثبطات، وبرزت ملامح الإسلام على كثير من الوجوه التي كانت تسجد لغير الله ومن أهم عوامل النجاح لانتشار الإسلام في أفريقيا قديماً وحديثاً:

١ ـ الحج فالحاج هو على أتم الاستعداد لتلقي ما يراهم بمكة أو يسمع به مما يعدل سلوكه ومعتقداته بإذن الله .

٢ ـ خريج حلقات العلم ومدارسه في الحرمين الشريفين كمدرسة الفلاح والصولتية ودار الحديث والحلقات في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

٣ ـ الجاليات الأفريقية المتنقلة من دول المنطقة للتجارة والسكن كقبائل الهوسا والفلاتي والولوف وذلك بإظهار دينهم ومن أهمها الصلاة والذكر.

٤ ـ المراسلات العلمية بين علماء المنطقة ودعاتها حول مسائل فقهية أو عقدية وكذا المبعوثون والوفود الدعوية والتعليمية من المملكة ومن مصر ودول عربية أخرى.

٥ ـ كما أن من خرجي الجامعات الإسلامية والعربية لهم الأثر البليغ في التأثير الجذري بين شعوبهم.

٦ ـ وأخيراً الجمعيات والمؤسسات الإسلامية المحلية والخارجية العاملة، فهذه ملامح التميز التي تدعو للإصلاح في المنطقة.

وبعد بيان ما تقدم من أهم العوامل التأثير الديني لدى الأفارقة فإن هناك عوائق وصعوبات كثيرة مختلفة تواجه الدعوة المعاصرة وتتفاوت من حيث القوة والضعف والمكان والزمان والأسباب الظاهرة والأشخاص ويمكن تحديد هذه المعوقات إلى داخلية بين جميع الدعاة أنفسهم وإلى خارجية وهي باختصار:

١ ـ اختلاف التضاد بين العاملين في ساحة الدعوة بسبب التفاوت في العلم والعقل والتجربة وبعد النظر .

٢ ـ بعض المؤسسات الدعوية تظهر بمظاهر حزبية والتفرقة بين المسلمين وعدم مراعاة الحال في التوجه العقدي والسلوكي كمن ينتمون للسلفية.

٣ ـ يصدر من بعض العلماء فتاوى ارتجالية قد تكون صالحة في بلد وغير مناسبة في بلد آخر لأن البيئة والمجتمع لها أثرها في التلقي والرفض.

٤ ـ إتباع الهوى والتعصب المذهبي أو بالأحرى المشيخي لمن يقدر شيخه إذا كان عالماً مشهوراً يأخذ الناس بقوله في فتاويه.

٥ ـ مصالح شخصية مادية أو معنوية بحب الظهور والتطلع للرئاسة باسم الدعوة وخدمة الدين.

هذا بعض ما هو مشاهد من حال المسلمين مما سبب تعثر العمل الإسلامي وإظهاره على أحسن وجه وأتمه.

زيادة على ما ذكر فإن الطرق الصوفية من التيجانية والقادرية لهم نفوذ واسع في البلاد وأنشطة واسعة لنشر مبادئها لإنشاء المراكز النظامية والعلمية ويضاد هؤلاء غلاة ينتسبون إلى أهل السنة يتسمون بأنصار السنة يكفرون من لا ينتسب إليها ولا يأكلون ذبائحهم ولا يصلون في مساجدهم، وظهرت

طائفة أخرى تدعو إلى الاعتزال الكامل لكل وسائل الحياة المعاصرة تسمى الضرورية منها، أما التنصير فله وسائله المادية والمعنوية والمدارس والمراكز الصحية والتعليمية والاقتصادية وسياسة العلاج، أما التغريب في أكبر معانيه وأوسع جوانبه الثقافية والاجتماعية والتربويه فأمر يتسع الحديث عنه وهو أمنية أنصار السياسة الراغبون في محاكاة الغرب ولو في الظاهر.

وعلى العموم فكل هذه الأمراض والأعراض نتيجة الجهل التام لما عليه أهل السنة والجماعة في توحيد العبادة والنظم التشريعية وفقدان الحكومة المسلمة لتأخذ بتنفيذ شرع الله ودينه.

ومن معوقات العمل الإسلامي المشكلات التموينية القدرة الإدارية وعدم وضوح المنهجية ومن وراء ذلك السياسة الطائفية التي تواجه المدارس الإسلامية العربية وخريجيها، وقد رفضت بعض الدول أن تقام هذه المدارس بعدم الاعتراف بشهاداتهم وعدم معادلتها، ومن الصعوبات والنزعات القبلية التي تغيب وحدة المسلمين بسبب التعصب للقبيلة وتشويه السمعة لمن لم يسير في موكبهم، ومع أن الإسلام لا يلغي القبيلة ولكنه يوجهها توجيه حسن مما يحقق الخير ويدفع ضده، ومن أخطاء كثير من الدعاة تركيزهم على العواصم والمدن الكبرى لتوفر الخدمات والقرب من مراكز الدولة ومسئوليها واستقبال المساعدات واللجان الخيرية للتبرعات، ومن غير شك أن الأطراف محل للنسيان دائماً ولكن لا يجوز أن نقفل عنهم بأن الدعوة والإصلاح فلعل هذا الأمر يكون نصب أعين الدعاة ويدعون للتغلب على هذه الصعوبات للدعوة الإسلامية.

أمضيت عشرة أيام في غانا نظراً لسعة المنطقة وتوزع المسلمين في أماكن بعيدة ولحاجة التعرف على أحوالهم في هذه المدة، قمت بإلقاء المحاضرات وتنظيم الزيارات للهيئات الإسلامية والمراكز والمدارس، ونظراً لقلة المسلمين في وظائف الحكومة فإننا لم نحاول الاتصال بالمسئولين فيها واكتفينا بما أبداه لنا سعادة القائم بأعمال السفارة من معلومات عن أوضاع المسلمين

وما يعانونه من أزمات مما جعل النشاط الإسلامي يأخذ تسميات كثيرة، إلا أن حقيقة هذه الأسماء تقل عن الواقع فيختلف عن الاسم كالذي يحمله مجلس ممثلي مسلمي غانا يتكون من خمس هيئات رئيسية وكل مشاريعهم وأعمالهم تخطيط ولم يظهر لحيز الوجود في أعمالهم سوى تنظيم سفر الحجاج إلى الحج، أما المدارس فهي تشكو فقدان الكتاب بالكلية، كما أن بعض الأماكن غير مناسبة للتدريس.

وقد شاهدنا ما تقوم به المنظمات التبشيرية والإرساليات كالقاديانية في نشر وتوزيع الكتب لعرض مبادئهم وعقائدهم. وقد سرنا ما يقوم به المسلمون في خدمة الإسلام في مدينة كوماسي ومعهد الإسلامي الذي يضم أكثر من ألفي طالب و ٣٥ مدرساً ويقوم في موقع محترم واسع الأرجاء، ومن عجيب الأمر أن هذا المعهد يقوم ربوة أهداها الرئيس الهالك نكروما وهو نصراني واشتراكي ولكن سخر الله أن وافق على منح المسلمين مقر لهذا المعهد وهذا بتوفيق الله وإعانته.

وفيم يلي أعرف القارئ الكريم بشخصية بارزة في غانا في مجال التعليم والدعوة وقد قابلته وتحدثت معه وهو الداعية الشيخ آدم محمد افيدوا.

وفي غرب أفريقيا دولة غانا وعاصمتها أكرا توجهت منها إلى مدينة كوماسي لألتقي بالأخ الكريم الشيخ آدم، أحد أعلام غانا والبارزين في التجارة والقبلية والتصاقه بالسياسيين، وفي معهده أو جامعته في مدينة كوماسي، عجبت من القدرة البشرية والإمكانات الفردية فقد استطاع أن يحتوي ربوة من رُبى كوماسي، وهبها له رئيس غانا الأسبق الهالك (نكروما)، وأعجب من ذلك أن الرئيس النصراني هو الذي أعطى هذا المسلم، وليس لسكنه ولا تجارته، ولكن لمشروعه الإسلامي الخير معهد كوماسي الإسلامي، فإن دل على شيء فإنها دلالة واضحة على لطف آدم وقدرته الماهرة على الالتصاق برئيس الجمهورية وأخذ الأمان منه، بل ودعمه ومساعدته، ومن هو نكروما؟ هو ذلك الرجل الذي لمع نجمه في

غرب أفريقيا سياسياً ووضع كفه بكف جمال عبد الناصر تحت شعارات تضطرب اضطراب المتردد في مبدئه، والذي لم يحدد وجهته بين القوميات والوطنيات والاتجاهات المستوردة.

كان الهدف من زيارة غانا هو دعم المشاريع الإسلامية بمبالغ نحملها نقدية وعينية، فكان لمعهد كوماسي النصيب الأوفر إذ هو أبرز المؤسسات الإسلامية والمدارس التعليمية، فقد حدثنا أخونا الفاضل من غانا وما تعانيه من ألم التشتت والتفرق والفقر والحاجة، حتى لم يبق مبدأ من مبادئ الكفر إلا ويطمع في غانا، ويفتح بها مؤسسته، وشرهم أولئك القاديانيون الذين كادت أنشطتهم تكتسح جميع الأنشطة الإسلامية الأخرى، بتعداد مساجدهم ومدارسهم بل رجالات السياسة من أهل غانا انخدعوا بالقاديانية الأحمديين المرزاءيين فكانوا هم سواء.

الشيخ آدم ليس له توجه فكري ولا عقائدي غير ما عليه سلف الأمة وعلماؤها، وقد ضرب صفحاً عن البدع الصوفية ولم يول جانب التعبد اهتمامه أعني التعبد التطوعي، إذ كان همه الأول أن يتجه الناس للعلم الشرعي الديني، فهو يقول: حاجتنا للعالم المصلح ليكون هو القاضي والخطيب ورجل السياسة والحكومة، وهذه هي العبادة المتعدية النافعة، وعلى هذا أسس معهده وأقام صرح بنيانه وهذه فكرته وذاك منهجه.

الشيخ آدم تاجر مع التجار، وسياسي مع الساسة، وعالم شمع العلماء، وفي شخصيته المتواضعة ووزنه الخفيف وأناقته في مظهره ما يعطيك ثقل الرجل في عقله وتبريره بلطفه وحسن تعبيره، فهو ينطق أحياناً يا سيدي يا مولاي، بهذا الأسلوب اتخذ الشيخ آدم أسلوب الإقناع والالتماس والطلب والتفاوض الهادئ المثمر المفيد.

ظل يكاتبني وأنا في الرياض وفي كل مناسبة يرسل أولاده إلي في الرياض يقولون جئنا نقبلك نيابة عن والدنا، فقد أمرنا بذلك، لم أعرف فيما عرفت من الأفريقيين أقدر من هذا الرجل على الاستفادة ممن يقابله

ويلقـــاه، حتى لا تكاد تحكم عليه أهو معك أو عليك، ولكن مع القناعة، لوجاهة ما يقول والتفاعل معه في تفكيره وتوجهاته، كتبت عن هذا الشخص لإظهار الكوامن الذاتية في الرجل، ومدى الاســتفادة منها في خدمة الدين والمبدأ، وهذا رجل أنموذج من أولئك الرجال الذي أثبت التاريخ عبقريتهم وممن يشـــار إليهم في خدمة الإسلام في بلدانهم وبني جنسهم، فحكم الله في خلقه وتدبيره في ما هو أعجب من ذلك.

والله ولي التوفيق، ويرحم الله أخانا آدم الغاني الكوماسي.

الدولة الخامسة عشر - غامبيا -

جمهورية غامبيا أصغر جمهوريات أفريقيا من حيث المساحة وهي عبارة عن لسان داخل جمهورية السنغال عرضه عشرة أميال ويمتد على طول نهر غامبيا حتى نهاية القرن الأفريقي الغربي وتحيطها الأراضي السنغالية من الشمال والشرق والجنوب، أما الغربي فيها فيطل على المحيط الأطلنطي وتاريخ هذه المنطقة هو تاريخ السنغال فهي جزء منها حل بها البرتغاليون منذ ١٤٥٥م وفي القرن السابع عشر استقرت بها شركات وتجار وحصلوا على امتيازات تجارية مما أثار المنافسة الشديدة بين كل من بريطانيا وفرنسا حول تملك تلك البلدان السنغال وغامبيا، ولم تهدأ هذه المنافسات إلا بعد الحروب وبعدها وقعت الدولتان اتفاقية سنة ١٨١٦م وتولت فرنسا أمر السنغال ووضعت بريطانيا يدها على غامبيا، وفي عام ١٨٤٢م صارت غامبيا مستعمرة بريطانية، وفي عام ١٩٦٢م أعلن الحكم الذاتي في البلاد فكانت دولة مستقلة وانضمت إلى الكومنولث البريطاني سنة ١٩٦٥م، رئيس الدولة كان أول رئيس للبلاد وهو الحاكم العام الحاج فاربمانج ثم جرى استفتاء سنة ١٩٧٠م فكان السير داود رئيس الجمهورية، ونظام الحكم برلماني دستوري يتألف من الحاكم العام ومجلس النواب، وتنقسم غامبيا إدارياً إلى ٣٥ منطقة يرأس كل منطقة شيخ أو عمدة، ويبلغ سكانها مليون وأربعمائة ألف نسمة، وسكان العاصمة يزيد على الثلث والغالبية الساحقة المسلمون وفي العاصمة كنيستان ولم تنل غامبيا حظها من التعليم مبكراً إذ كان بها عام ١٩٦٧م ٩٠ مدرسة ابتدائية و١١ مدرسة إعدادية و ٦ مدارس ثانوية هذا التعليم النظامي الحكومي، أما مدارس التحفيظ والخلاوي الأهلية فالأمر يزيد أضعاف العدد.

جمهورية غامبيا كغيرها من الدول لها مقوماتها الذاتية بالأنشطة المتنوعة ففيها إذاعة وبها صحافة، النقد بالجنيه يساوي الجنيه الاسترليني، ومن محاصيلها الزراعية الفول السوداني، أما الأرز فللاستهلاك المحلي وليس للتصدير، وبها من المناجم على الشواطئ استغلتها الشركات الإنجليزية ثم توقفت عن العمل وهكذا التجارة لها محاصيلها مما يجعل اقتصاد البلاد في اعتدال، والقوى العاملة تعمل عملها في الزراعة والصناعة، وبها الملاحة والطرق والطيران والبريد والمواصلات... الخ.

حدد الوفد إقامته ستة أيام نظراً لصغر البلد ووضوح المعلومات حيث أنها دولة إسلامية، نسبة غير المسلمين ٥٪، نظم الوفد برنامج عمله لزيارة رئيس الجمهورية والمدارس والجمعيات والمساجد، وتم إلقاء المحاضرات في المساجد والميادين العامة كما عقد ندوة إذاعية أذيعت في حينها، كانت مقابلة الوفد للرئيس مقابلة ودية، استنتج الوفد من هذه المقابلة محبة المسئولين في غامبيا للإسلام ورغبتهم الأكيدة في إظهار تعاليم الإسلام إلى حيز التنفيذ والعودة إلى التشريع الإسلامي، حيث قال الرئيس أرجو أن تكون غامبيا جمهورية إسلامية ونحن نعمل لذلك، هذا وقد التقى الوفد بشخصيات إسلامية عاملة في حدود طاقتها منها الشيخ شريف حطاب رئيس هيئة التضامن الإسلامي والحاج محمد الأمين رئيس جمعية اتحاد مسلمي غامبيا ومستشار رئيس الجمهورية للشئون الدينية وهو رجل عاقل متميز يحب الخير والعمل على تحقيقه، كما التقى الوفد بإمام الجامع المركزي في العاصمة بانجول وهو عضو المجلس التأسيسي في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما التقى الوفد بمبعوثي رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وعددهم عشرة، وجرى التنسيق معهم في صرف المساعدات والمنح الدراسية، فممن تم صرف مساعدات لهم بالجمعيات والمنظمات الإسلامية اتحاد مسلمي غامبيا، جمعية التضامن الإسلامي، مسجد بلندي كانجا، مدرسة محمد الأمين باه، مدرسة عمر ابن الخطاب، كما تم ترشيح عشرة من الطلاب

للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعد المقابلة وفحصهم والاطلاع على مؤهلاتهم الدراسية ومعادلتها، كما أوصى الوفد في تقاريره بأهمية غامبيا الإسلامية وخطر الطائفة القاديانية التي لها نشاط مألوف في البلد، وكذا أهمية الكتاب المدرسي وتسهيل دخوله إلى المدارس الأهلية، أما المساعدات المالية فقد خصت غامبيا بمبلغ خمسمائة وثلاثين ألف ريال صرفت على أربع جهات تعليمية ودعوية وهو من المبلغ الكلي لمساعدات دول غرب أفريقيا ثلاث ملايين وأربعمائة وخمس وسبعون ألف ريال. الوفد يتكون من معالي الشيخ محمد ناصر العبودي والشيخ عبد العزيز الربيعان وإسماعيل بن عتيق وكان له الأثر الطيب وإن كانت المدة قصيرة ومنها عدنا إلى السنغال حيث المطار الدولي.

تاريخ الإسلام في غامبيا:

أرجع بعض المؤرخين دخول الإسلام إلى حركة المرابطين التي أسسها الأمير يحيى الجدالي والتي امتدت من موريتانيا إلى السنغال ومنها أرض غامبيا حيث بدأت الزوايا تنتشر من عام ١٤٣٢م بينما يرجح فريق آخر من المؤرخين دخول الإسلام فيها إلى نشاط التجار المسلمين الذين رحلوا إلى المنطقة من أهل النجاوة فتأثر الناس بدعوتهم وسلوكهم الشخصي والاجتماعي مما حمل أهل البلاد على اعتناق الدين الإسلامي، وهناك رأي ثالث كان هو الأرجح أن هذه العوامل ساهمت في ترسيخ جذور الإسلام في تلك البلاد وعلى العموم فإن دخول الإسلام في غامبيا كان في وقت مبكر جداً له جذوره الراسخة في البلاد، ويتمذهب الجميع بالفقه المالكي ومعظم المسلمين في غامبيا أخذوا مسلك التصوف من التيجانية والقادرية ، وفيها من المساجد ما يزيد على ألف مسجد كبير وصغير في جميع المدن والقرى وأكثرها عامرة بتدريس القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية، زار الشيخ أحمد الصواف غامبيا مبتعثاً من الملك فيصل لتأكيد التضامن الإسلامي مع الدول الإسلامية في ٩/ ٤/ ١٣٩٢هـ، وكان لقائه بالرئيس

داوود، فقد ذكر الصواف فيما كتبه عن رحلاته للدول الأفريقية قصة الرئيس داوود وما هو عليه قبل إسلامه حيث تزوج نصرانية فكان نصرانياً ثم بعد انتخابه رئيساً للجمهورية اغتسل وتوجه للمسجد وأعلن إسلامه فكانت فرحة المسلمين بذلك وخير زوجته إما الإسلام وإما الطلاق فكان الثاني، وفي رحلتنا القصيرة لغامبيا التقينا بالرئيس وفي مكتبه صورة لبابا الكاثوليك على الحائط فهل هي سياسية أم تعلق بالنصرانية، والذي يظهر أن هناك ضغوط وتهديد للرئيس داوود كيف يترأس الدولة مسيحي لشعب مسلم نسبة غير المسلمين ٥٪ وهو الذي يتبادل الناس القول به وعلى العموم فإن الأفارقة وإن أسلموا فلا محادة ولا مشادة بينهم وبين الدين الآخر، فقد يكون في البيت واحد أو أكثر من توجه عقدي أو ديانة ولا حرج لكل وجهة، والغالب أن المصلحة الذاتية هي التي تبرر ذلك والسكن ولقمة العيش، فلذا استجاب البعض للدعوة القاديانية ومثلها النصرانية وإن انتسب البعض للإسلام فإنه انتساب صوري ولهذا كانت توصيتنا للدعاة في غامبيا التركيز على تصفية العقيدة من تلك الديانات والمذاهب المستوردة إلى غامبيا وفيما ذكروا أن الأثر ظاهر والتوجه إلى المذهب السني والعقيدة الصحيحة هو رغبة المسلمين عموماً، وقد حظيت غامبيا بنشاط تعليمي ودعم مادي من المملكة العربية السعودية ظهر ذلك جلياً في سلوك المجتمع الغامبي، وقد عقد اتحاد المدارس الإسلامية أكثر من دورة تعليمية في المدارس كما كان لغامبيا بعثات متقدمة للدراسة في الأزهر وقد تخرج البعض وعاد إلى بلادهم مرشدين ومعلمين وقد خفت وطأة الانتماء للتيجانية والتبعية لها بفضل من درسوا في الجامعة الإسلامية وعادوا إلى البلاد مذكرين ومرشدين والحمد لله رب العالمين..

وممن عرفت العالم المبارك الشيخ حطاب شريف وهذا حديثي عنه .. رائد التضامن الإسلامي في دولة جامبيا، من دول غرب أفريقيا المستعمرة للإنجليز سابقاً، وهي أشبه بشريط على امتداد حدود السنغال من الشرق دولة

صغيرة أراد الإنجليز أن تكون بجانب السنغال الفرنسي للتنافس الاستعماري من دول أوروبا النصرانية لدول أفريقيا المسلمة، ولعل الضغوط الاستعمارية والتنافس الأوروبي على أرض أفريقية إسلامية أفرزت تلك الشخصيات التي لمع نجمها وتألق ضوءها بما تنادي به من دعوة وتوجيه وإرشاد إلى العودة إلى دين الله عز وجل. كان من أولئك رئيس الدولة الذي تحول من نصرانيته القديمة إلى دينه الجديد دين الإسلام وغيره كثير.

أما صاحبنا الشيخ شريف حطاب الذي نادى بالتضامن الإسلامي في غرب دول أفريقيا ، ولعله تضامن بين الجمعيات والمنظمات والمدارس الإسلامية، هذا ما عناه الشيخ شريف لا تضامن الدول والذي نادى به الملك فيصل رحمه الله، ولكن من مفهوم التضامن يعني الالتقاء والنظام، حتى لا يكون هناك فجوات يدخل منها من يسيء للعالم الإسلامي.

التقينا بالشيخ شريف حطاب في دولته جامبيا عام ١٤٠٩هـ، وكان لقائي به مسبقاً في الرياض وفي مكة المكرمة، حيث تم إجراء العقد معه على أن يكون ضمن دعاة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، فقد جرت تزكيته والتعريف به من الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إذ هو أحد أعضائها والمنتمين لها والممثل لها في جامبيا، درس اللغة العربية في موريتانيا وهي لغة أمه وأبيه، إلا أنه استفاد من علماء شنقيط، فكان لغوياً نحوياً ماهراً في النطق والتعبير حتى تعجبت منه في أداء مخارج الحروف لقوة بيانه وساطع تبيانه.

اخترمت المنون الشيخ شريف وهو في العقد الخامس من سني عمره ولم يحقق الكثير من طموحاته وأهدافه، فقد كان يطمح أن يكون سياسياً واجتماعياً، وأن يكون في جامبيا، رجل الدعوة والدولة وله ما نوى أرجو الله له المغفرة وحسن الجزاء.

وبما أننا لا نهتم بالشخص كاهتمامنا بالفكرة والمبدأ والمنهج الدعوي لذا كان الحديث عن الشيخ شريف حطاب كأنموذج من نماذج العمل الإسلامي

في غرب أفريقيا، ومحور دعوته تقوم على تضامن المدارس الإسلامية العربية لغرب أفريقيا، وهي دعوة وافقت القبول عند كثير من الناس، ولهذا بادرت مدارس الرياض والتي يشرف عليها سمو الأمير محمد الفيصل بإدارة الدكتور توفيق الشاوي بعقد الدورات للمعلمين في جامبيا كما قامت الجامعة الإسلامية بالمدينة بنظير ذلك ، وذلك كله بتحريك الشيخ شريف حطاب ، فهو شخصية ماهرة مقنعة مؤثرة في استقطاب الأنظار إليه، ولفت النظر فيما يقدمه ويعرضه، وساعد على ذلك ديمقراطية البلد، وحرية الكلمة والأغلبية السكانية من المسلمين، لذا قام شريف بكل قواه وإمكانياته حتى فتح الكثير من المدارس التي أسماها مدارس التضامن الإسلامي في غرب أفريقيا.

وهو بجانب هذا يتعامل مع السياسيين تعاون وئام وزمالة في المنهج السياسي الإسلامي، فهو صاحب فكرة ومبدأ أكثر منه صاحب عقيدة وتشريع، لعله استفاد ذلك من التصاقه التام بندوة الشباب العالمي الإسلامي، وكان لبنة في ذلك البناء، وهو مع هذا مأمون الطوية سليم النية ـ آمر بالمعروف ناه عن المنكر، في حدود مقدرته وإمكلانياته.

نرجو الله له المغفرة وحسن الجزاء، وهو ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم.

- مالي -

غرب أفريقيا دولة غير ساحلية تزيد مساحتها على مليون ومائتين وأربعين ألف وعدد سكانها ١٤ مليون نسمة في ثمان مناطق، عاصمتها باماكو تقع المناطق الجنوبية منها في الصحراء الكبرى، يعيش فيها أغلبية السكان، كانت مالي جزء من ثلاثة إمبراطوريات أفريقية، غربية سميت مالي، فاستولت فرنسا على مالي أواخر القرن التاسع عشر وجعلتها جزءاً من أفريقيا إلى أن استقلت سنة ١٩٥٩م، وبعد فترة طويلة من حكم الحزب الواحد حصل انقلاب سنة ١٩٩١م أدى إلى كتابة دستور جديد وإنشاء دولة مالي كدولة ديمقراطية متعددة الأحزاب، السلطة التنفيذية في يد الرئيس والسلطة القضائية بيد البرلمان الوطني أما السلطة التشريعية فللمحكمة العليا للبلاد، ويجري بين الأحزاب السياسية التحالف من أجل الديمقراطية وأكبرها حزب التجمع الديمقراطي، ومع أنه حصل انقلاب عام ١٩٩٧م إلا أن البلاد تتمسك بصورة الديمقراطية المثالية مع ضعف المشاركة في الانتخابات وعدم فهم جزء كبير من السكان أهمية الانتخابات مما يؤثر تأثيراً سلبياً على الانتخابات، وقد شهدت البلاد انتقال الحكم إلى خمسة رؤساء منذ الاستقلال.

مالي قطر فقير يشتغل أكثر من ثلاثة أرباع سكانه بالزراعة والرعي وينتج من المحاصيل الزراعية الدخن والأرز والذرة أما المحاصيل النقدية القطن وقصب السكر، ويرعى البدو والرحل قطعاناً كبيرة من الأبقار والأغنام والماعز، كما يعتبر صيد الأسماك من الأنشطة الاقتصادية المهمة، وتأتي معظم الثروة السمكية من نهر النيجر وبحيرة ديو، يستوعب قطاع الخدمات كالعمل في المرافق الحكومية والسياحية والأعمال التجارية ١٥٪ من القوى العاملة في مالي، ويعتبر صناعة النسيج والمواد الغذائية والمنتجات

الجلديـة من أهم النشـاطات الصناعية الكبيرة ولكنها تعمل على تشـجيع زيادة الاسـتثمارات الفردية، وقد تم تشـييد معظم المصانع الكبرى بفضل المساعدات الخارجية كمصانع الأسـمنت والسكر والنسيج، وفي مالي من المعادن الذهب والنحاس وخام الحديد والملح وهو أكبر إنتاج معدني بجانب اسـتخراج قليل من الذهب، ويشـكل القطن المحصول الرئيسي للتصدير وتقدر بحوالي نصف الصادر من مالي بجانب تصديرها الجلود والأسـماك والماشية واللحوم والفول.

الديانة الإسـلام ٩٠٪ هو الدين الغالب في البلاد على المذهب السـني المالكي، وتنتشـر الطرق الصوفية خاصة التيجانية والقادرية وتمثل المسيحية ٥٪ ثلثي المسـيحيين مـن الرومان الكاثوليك والثلث الآخر بروتسـتانت، خلال القرن التاسـع الميلادي جلب التجار المسـلمون من البربر والطوارق الإسـلام جنوباً من غرب أفريقيا، كما انتشـر الإسلام في المنطقة من قبل أتبـاع الطرق الصوفية ودعوا إلى الاعتقاد بإله واحد وسـرعان ما أصبحت مراكز دولية للعلم الإسلامي في مدن تمبكتو وقاوا، كان من أهم ملوك مالي مانسا موسى ١٣١٢ – ١٣٣٧ الذي شهدت له مالي في عهده توسع كبير، ومد النفوذ من النيجر ومدن تمبكتو وقاوا، وكان مانسا موسى مسلم متدين كان يقوم ببناء المسـاجد الكبرى في جميع أنحـاء المناطق وفي قيامه بأداء فريضة الحج جعله من الشـخصيات المعروفـة حتى في التاريخ الأوروبي، وفي عهـده أصبحت تمبكتو واحدة من المراكـز الثقافية الكبرى في أفريقيا والعالـم، وكان حجه عـام ١٣٢٤هـ عبر القاهرة واسـتقبله المماليك في القاهرة بحفاوة بالغة.

التعليم في مالي:

تواجه مالي باعتبارها دولة نامية العديد من المشـكلات الاجتماعية ولأن معظم السـكان أميون ونحو ٦٩٪ من الراشدين لا يعرفون القراءة والكتابة في حـين أن ٢٧٪ فقط من الأطفال يلتحقون بالمدارس وأكثر المدارس دور

القرآن والحديث تأسست سنة ١٩٥٩م على يد الشيخ عبد القادر الطوبي المشهور بالحاج مودي دوكري وقد فتح كلية للدراسات الإسلامية ولها من الفروع ٣٧٥، وقد تعرفنا على حفيد المذكور الشيخ عبد الوهاب دوكري خريج جامعة السربون وسفير بلاده في المملكة العربية السعودية وعضو رابطة العالم الإسلامي ومدير مكتبها في السنغال وهو سياسي مخضرم يجيد اللغة الفرنسية كجودته للعربية أدباً وتاريخاً، كان لنا مهمة في السنغال وكان الناصح الأمين فاسترشدنا بآرائه ومعلوماته، ومع علمه وفضله كان صديقاً للرئيس السنغالي (سنجور) الرئيس الأسبق وهو نصراني ومن أعمدة النادي الروتاري الماسوني كما يقولون.

دعانا الشيخ عبد الوهاب لمنزله في دكار سألناه هل هذا البيت ملك أو إيجار فقال هو من صديقنا الرئيس (سنجور) وكان من مهمتنا في السنغال التعرف على نشاط المسلمين عامة وعلى الهيئات والمنظمات الإسلامية القائمة بغرض الدعم والمساندة..

أسأل الله أن يتقبل عملنا الصالح.

تقييمي للجالية المالية:

مما هو معلوم أنهم من أبناء الصحراء الكبرى التي اشتهرت برعي الإبل والبقر، والغنم، ولظروف سياسية واقتصادية هرع الكثير منهم خارج بلادهم كليبيا والمغرب والمملكة العربية السعودية، ودول أفريقية مجاورة لهم، ويقدر من سكن المملكة في مكة والمدينة والرياض والقصيم بحوالي عشرة آلاف، وفي الرياض قرابة ٢٠٠ أسرة، وقد قام بعض الأمراء بإعداد مساكن لهم كالأمير سعود بن محمد، وكذا أبناء الملك سعود في قصور المنصورية، وعلى العموم فهم ابتلوا بثلاث خصال بالفقر والجهل والغربة، ومما أعلم أنهم طبقات تعتز كل طبقة بجنسها وتفخر بأمجادها كالطوارق والسوقيين والأنصاريين، وقد تتداخل الألقاب بحكم الجوار ولكن قبائل الطوارق فيما علمت أشد تعصباً وأعلى درجة من بقة القبائل، والذي أجزم

به حسن سلوكهم الخلقي فلا أعلم من يشرب الدخان، ولا من يتعاطى المسكرات، ولا من يتعدى بالسرقة أو التلصص، ولا قيادة لهم ولا زعامة ولا تنظيم فهم رعاة الغنم وعليهم السكينة، إلا أن الحاجة تدفعهم إلى عرض أحوالهم على المحسنين فيما يشبه التسول أو من سماهم الله (الفقير المعتر) وأغلبهم يدفعون مقابل كفالتهم لكفيلهم مبلغ قد يصل إلى ٣٠٠٠ ريال مع رسوم الإقامة وتجديد الجواز لدى سفاراتهم.

ولذا كتبت عنهم . .

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد :

فبناءً على رغبة بعض المحبين ومن يرغب التعاون في خدمة الدعوة إلى الله للجاليات الموجودة في الرياض يسرني أن أكتب رؤوس أقلام حول الجالية المالية المقيمة في الرياض.

أولاً الفكرة: إن هذه الجالية وفدوا من الصحراء الكبرى وهم أرباب ماشية وأبناء الصحراء الذين حُرموا نعمة العلم والتعليم والتفقه في الدين في بلادهم والكثير منهم تقدم به السن والبعض منهم أو الكثير يجهل مبادئ دينه وأصول عقيدته بجانب حالتهم المادية فالكثير منهم يتسول ويطلب المعونة بصفة اختفاء وعدم إظهار حاجته إلا عند الضرورة وحيث أنهم كلهم أو أغلبهم يدفعون مقابل كفالتهم للكفيل مع ما تطلبه الإقامة النظامية من رسوم سنوية والكثير منهم بعوائلهم يسكنون وسط الرياض شارع الفريان ومنفوحة وما حولهما. لذا كان الاحتساب لخدمتهم من نواح تعليمية وتوعية وتقديم بعض المساعدات العينية والنقدية عسى أن يكون ذلك خالص لوجه الله وطلب ما عنده من الثواب.

ثانياً البداية: منذ ١٤١٢هـ كان لي جلسات تعليمية في مسجد اسكيرنة بعد صلاة مغرب كل يوم وجُل من يحضرهم من الماليين لتدريس الأصول الثلاثة وكشف الشبهات وكتاب التوحيد وبعض المختصرات من المتون. ثم جدّ عندي فكرة إيجاد مكتبة عامة للمطالعة والتدريس في آن واحد

خصصت منزلي القديم بحي اسكيرنة لهذا الغرض وكنت أجلس كل يوم بعد العصر لاستقبال الزائر والمستفيد من الطلاب وغيرهم وكان لدي جملة من الكتب المخطوطة والمطبوعة مما جعل رواد هذا البيت يتكاثرون وقد زار معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية هذا البيت كما زاره الشيخ صالح السدلان وعدد من المشايخ والأعيان والحمد لله على النعمة.

ثالثاً: عرضت على محسن كريم في الرياض بشراء بيت وقف في اسكرينة لغرض احتواء الجالية المالية وتعليمهم وتثقيفهم ومواساتهم قدر الاستطاعة فوافق على ذلك وتم شراء البيت وإيقافه لهذا الغرض كما تمت موافقة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على تعليق لوحة على باب هذا البيت وكتب عليه بيت الطلبة المغتربين الماليين.

وكان هذا البيت ملتقى الجالية من بعد العصر حتى بعد العشاء متأخراً.

رابعاً: تم تكليف بعضاً منهم من الذين استفادوا مني ومن طلبتي الأقربين بتدريس القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي كالأصول الثلاثة وشروط الصلاة وبعض المختصرات كالأجرومية وعمدة الأحكام وغيرهما، وتم بحمد الله وتوفيقه واستمر النشاط إعداد هذا التقرير.

خامساً: طلبت من مدير عام المؤسسة العالمية للأعمار والتنمية فضيلة الشيخ/ عبد الله بن دغيلب المرزوقي على تكليف أحد منسوبي المؤسسة الأخ الشيخ/ عادل إسماعيل سالم وهو كان أحد منسوبي مؤسسة الحرمين الخيرية والذي تعاونت معه في إنشاء مركز للبحث العلمي في المؤسسة عام ١٤١٧هـ وهو أحد الطلبة في علم الحديث وينتسب إلى أنصار السنة المحمدية فرع المنصورة وهو إن شاء الله محل الثقة والأمانة يظهر الولاء والمحبة لهذه الدولة ولرجالاتها وعلمائها فوافق الشيخ عبد الله المرزوقي على أن يعطي دروساً مسائية في البيت وتم اختيار خمسة كتب وهي:

١ ـ كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٣ ـ الرحيق المختوم في السيرة النبوية للمباركفوري.
٤ ـ عمدة الأحكام مع شرحها للشيخ البسام.
٥ ـ تيسير مصطلح الحديث للشيخ الطحان.

هذا بجانب تحفيظ القرآن الكريم بعد العصر وبعد المغرب من كل يوم.

سادساً: اتصل بي بعض المحسنين وأخذ رأيي في جواز دفع الزكاة للماليين فأفدته بأن الجالية المالية تتصف بصفات أخطرها الفقر والجهل والغربة فدفع الزكاة لهم في محلها إن شاء الله لاسيما وأن الكثير منهم يلتصق بالعلماء ويبحث عن الفائدة.

لهذا حصل عندي بعض المال كزكاة لهؤلاء ولضرورة تنظيمهم وعدم تكرار الصرف وإثبات ما استلمه كل واحد منهم فقد تم إعداد بيانات وملفات لكل فرد ملف يحتوي على إقامته وإثبات شخصيته وتوقيعه، وتكاثروا حتى بلغ من فتح لهم ملفات ٣٤٠ ملفاً. وكلها مرتبة في أدراج في مكتب البيت وبهذا العمل يتكاثر رواد هذا البيت مما قد يلفت النظر للزائرين ومن يرى كثرة الداخل والخارج ولكن هذا بصفة مؤقتة ليس على الدوام ويكون عند الصرف فقط.

هذا وإني أشكر معالي وزير الشؤون الإسلامية الشيخ/ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ على ما بذله من تسهيلات لهذه الجالية كما أنه يساعد الجالية بصرف زكاة لهم في رمضان.

كما أشكر فضيلة الشيخ/ عبد الله المرزوقي مدير عام المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية على تجاوبه ومساعدته لهذه الجالية ومنها ما قد استلمته من نقود لصرفها على الجالية، كما أن مؤسسة الحرمين الخيرية قد ساعدت هذه الجالية بواسطتي.

هذا وإن العمل جار بكل هدوء وتنظيم وليس هناك ما يتخوف منه حول هذه الجالية الفقيرة الغريبة وإني أزكي الكثير منهم بأدبه وأخلاقه وعدم

تعاطيه أي محرم ظاهر فلا أعرف أحداً منهم يشرب الدخان أو يتعاطى المسكرات أو يروج المنكرات فهم جالية مسالمة كما هي طبيعة رعاة الغنم الذين وصفهم الرسول ﷺ: «**الخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم**» [متفق عليه].

جرى تحريره والأمر بتبييضه في ٢٦/٦/١٤٣٦هـ.

الفهرس

الموضوع رقم الصفحة

مذكرات وذكريات .....
ستون عاماً في سبعة وخمسين دولة .....
إهـــداء .....
استهلال .....
التقديم (أفريقيا) .....
مصر (القاهرة) .....
المغـرب .....
السودان .....
موريتانيا .....
تونس .....
الصومال .....
جيبوتي .....
تنزانيا .....
كينيا .....
الحبشة .....
نيجيريا .....
السنغال .....
سيراليون .....
غـانـا .....
غـامبيا .....

مـالـي.....
الفهرس.....

دول إفريقيا

جمهورية مصر العربية

جمهورية السودان

المغرب

موريتانيا

تونس

الصومال

جيبوتي

تنزانيا

كينيا

أثيوبيا

نيجيريا

السنغال

سريراليون

غانا

غامبيا

مالي

دار الصميعي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الريـــاض ص ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢

المركز الرئيسي : الريـاض - السـويدي - شـارع السويدي العام

هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم : عنيزة بجوار مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية

هاتف ٢٦٢٤٤٢٨ تلفاكس ٢٦٢١٧٢٨

الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية / جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨

شركة مطبعة النرجس - ت: ٠٥٠٥٢٧٨٤٦١

ردمك: ٤-٦٠٦١-٠٢-٦٠٣-٩٧٨